المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قضية الصفات الإلهية

رسالة مقدمة لنيل شهادة العالمية "الماجستير"
من شعبة العقيدة قسم الدراسات العليا
بالجامعة الإسلامية

إعداد الطالب : محمد يوسف هارون

إشراف الدكتور : عبد الله بن أحمد قادري

العام الدراسي ١٤٠٥/ ١٤٠٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله على توفيقه واحسانه، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله، وعلى آله وأصحابه وأتباعه. وبعد،

فاعترافا بالفضل لأهله، وعملا بالأدب الاسلامي، أتقدم بشكري وتقديري لأستاذي الجليل : فضيلة الدكتور عبد الله بن أحمد قادري، الذي تفضل بالاشراف على هذه الرسالة. فكان - حفظه الله - لم يدخر جهدا في ابداء توجيهاته القيمة، وملاحظاته السديدة، ورعايته المخلصة. وقد فتح لي صدره الرحب، ومنحني من وقته الكثير، اذ لم يكن يقتصر على ساعات الاشراف الرسمية، بل كان يستقبلني في منزله متى شئت بوجه مشرق و نفس راضية، مما جعلني أستسهل المصاعب التي صادفتني أثناء السير. فجزاه الله عني خير الجزاء، وبارك في أيامه، وأطال له العمر في العمل الصالح، ونفع به أبناء المسلمين.

كما أتقدم بجزيل الشكر ووافر الثناء للجامعة الاسلامية، التي أتاحت لي الفرصة لمواصلة دراستي بقسم دراساتها العليا، سائلا المولى تعالى أن يجعل هذه المؤسسة العلمية عامرة بالخير، وأن يأخذ بأيدي القائمين عليها الى مافيه عزة الاسلام ورفعة المسلمين.

كما لا يفوتني أن أسجل شكري لجميع الزملاء الذين ساعدوني وأسهموا في انجاز هذه الرسالة، أسأله تعالى أن يثيبهم أحسن الجزاء، انه سميع مجيب.

وما توفيقي الا بالله، هو ربي، لا اله الا هو، عليه توكلت، واليه متاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، (الرحمن على العرش استوى ،له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى)[١] ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وصلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه .

أما بعد ،

فان علم التوحيد أشرف العلوم وأجلها قدرا ، وأوجبها مطلبا ، لأنه أصل الدين ، وأساس الشريعة ، وزبدة الرسالة الالهية ، ولذا أجمعت الرسل على الدعوة اليه ، كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)[٢] ، وقال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[٣].

ولما كان هذا شأن التوحيد ، كان من حقه على المسلمين أن يلقى من العناية والاهتمام ما يناسب مكانته وشرفه ، ويليق بجلال قدره .

وموضوع الصفات الالهية ، الذى هو مبحث من مباحث التوحيد ، موضوع جليل عظيم ، وحسبه جلالة وعظمة أنه يبحث فى أسماء الله وصفاته .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان عبادته سبحانه تتوقف على المعرفة به . وقد تعرف الله الى عباده بأسمائه ، وتجلى لهم بصفاته ،

---

(١) سورة طه : ٥ ـ ٦ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٥ .

(٣) سورة النحل : ٣٦ .

ولذلك كثيرا ما نجد حكما من الأحكام قضاه الله لعباده وأعقبه بذكر اسم من أسمائه، أو صفة من صفاته.

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله، والله عزيز حكيم)[1]، فقد ذكر الله في هذه الآية أنه عزيز حكيم بعد حكمه بقطع يد السارق والسارقة، وذلك لبيان أنه عزيز في انتقامه منهما وغيرهما من أهل معاصيه، وأنه حكيم في أمره ونهيه، وحكمه وشرعه، وقضائه وقدره. [2]

وقوله تعالى (فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون. قال كلا، ان معي ربي سيهدين. فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم. وأزلفنا ثم الآخرين. وأنجينا موسى ومن معه أجمعين. ثم أغرقنا الآخرين. ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وان ربك لهو العزيز الرحيم)[3]. فقد ذكر الله اتصافه بالعزة والرحمة بعد ذكره قصة فرعون وموسى، حيث أغرق فرعون وجنوده اذ كذبوا برسوله موسى، وخالفوا أمره، وأنجى موسى ومن معه من المؤمنين، فقد ذكر اتصافه بهما لبيان أنه عزيز في انتقامه ممن كفر به وكذب رسله، رحيم بمن أنجى من رسله وأتباعهم من الغرق والعذاب الذي عذب به الكفرة. [4]

---

(١) سورة المائدة : ٣٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري : ٢٢٩/٦، تفسير ابن كثير : ٥٦/٢.

(٣) سورة الشعراء : ٦١ـ٦٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري : ٨٢/١٩ـ٨٣.

وكذلك قوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل، فريضة من الله ، والله عليم حكيم)[1]، فقد بين الله فى هذه الآية قسم الصدقات وحكمها ، فبين أنها لا تكون الا للأصناف الثمانية المذكورة ، وأن ذلك فريضة منه سبحانه لعباده ، ثم أعقب ذلك بقوله (والله عليم حكيم) لبيان أن هذا القسم والفريضة انما هو صادر منه تعالى عن علمه وحكمته. فهو " عليم بمصالح خلقه فيما فرض لهم ، وفى غير ذلك ، لا يخفى عليه شيء، فعلى علم منه فرض ما فرض من الصدقة ، وبما فيها من المصلحة ، حكيم فى تدبيره لخلقه ، لا يدخل فى تدبيره خلل ".[2]

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة فى كتابه تبارك وتعالى.

ومن الآيات التى سبق ايرادها يظهر أن الله سبحانه يعقب على أغلب أحكامه ، شرعية أم كونية ، بما يناسبها من أسمائه وصفاته. والله سبحانه لم يذكر ذلك لمجرد تقرير أنه متصف بصفات الكمال ، ولكن لتقرير كذلك أنه هو الرب المتفرد بالالهية ، المستحق للعبادة ، دون سواه.

فكيف اذا عطلت صفاته تعالى عن حقائقها اللائقة بجلاله ؟ وكيف اذا مثلت صفاته بصفات خلقه ؟ ان تعطيلها عن حقائقها يستلزم تعطيل ربوبيته وألوهيته ، كما أن تمثيلها بصفات خلقه يستلزم اثبات كونه تعالى من جنس خلقه. ولهذا كان هذا الموضوع حظى باهتمام العلماء والأئمة ، قديما وحديثا ، ولا سيما بعد ظهور بدعة التعطيل والتمثيل، وظهور البدعة

---

(١) سورة التوبة : ٦٠

(٢) تفسير الطبرى : ١٦٦/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٦/٢ .

الكلامية التى تبعد الأمة عن مصدر عقيدتها الصافية ، ألا وهو الكتاب والسنة .

وقد كان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ممن أولى اهتمامه فى هذا المجال ، بل وأسهم فيه اسهاما بارزا .

ولما كان نظام الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ملزما لطلاب الدراسات العليا الذين يريدون الحصول على شهادة العالمية " الماجستير" أن يكتبوا بحثا فى مجال تخصصهم ، فقد استخرت الله عز وجل ، واخترت أن يكون بحثى بعنوان : " موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من قضية الصفات الالهية ".

ويتمثل الدافع الذى حفزنى لدراسة هذا الموضوع فى الأمور الآتية :

١ ـ ان شيخ الاسلام ابن تيمية من أبرز الشخصيات الاسلامية التى كان لها دور فعال فى الدفاع عن الاسلام و حفظ تراثه و تنقيته من شوائب الشرك وأدران البدع .

٢ ـ انه جاهد بنفسه بكل ما أوتى من وسع لحفظ نقاء عقيدة هذه الأمة وصفائها ، وبخاصة عقيدتها فى أسمائه وصفاته تعالى، بدعوته الى العودة الى مصدرها الأصلى وهو الكتاب والسنة ، والى الالتزام بمنهج السلف الصالح رضى الله عنهم .

٣ ـ ان مؤلفاته فى هذا الموضوع تعتبر موسوعة فريدة تمتاز بكونها تمس حياة المسلمين .

٤ ـ انه ـ رحمه الله ـ رمى بالتشبيه والتجسيم واتهم بذلك فى نصره لمنهج السلف ونقده لمناهج المتكلمين . وهذا لا بد من بيان وجه زيفه على ضوء قواعد منهج البحث العلمى .

هذه من الأسباب التي دفعتني الى اختيار هذا الموضوع ، الذي يشتمل على تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

أما التمهيد : فخصصته للتعريف بحياة شيخ الاسلام ابن تيمية ، وقد قسمته الى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عصر ابن تيمية

الفصل الثاني : سيرة ابن تيمية

الفصل الثالث : ثقافته ومؤلفاته وأقوال العلماء فيه.

وأما الباب الأول : فتناولت فيه قضية الصفات الالهية بين منهجي السلف والخلف. وفيه فصلان :

الفصل الأول : السلف ومنهجهم في الصفات

الفصل الثاني : الخلف ومنهجهم في الصفات.

وأما الباب الثاني : فبحثت فيه عن موقف ابن تيمية من منهجي السلف والخلف. وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : موقفه من منهج السلف

الفصل الثاني : موقفه من منهج الخلف

الفصل الثالث : موقفه من شبهات الخلف

الفصل الرابع : موقفه من التأويل والمجاز.

وأما الباب الثالث : فدرست فيه موقف ابن تيمية من الصفات الالهية. وجعلته ستة فصول :

الفصل الأول : قواعد منهج ابن تيمية وأصوله

الفصل الثاني : موقفه من أسماء الله وصلتها بالصفات

الفصل الثالث : موقفه من علاقة الصفات بالذات وتقسيمها

الفصل الرابع : موقفه من الصفات المتفق على اثباتها

الفصل الخامس : موقفه من الصفات المختلف فى اثباتها

الفصل السادس : شبهة حول موقف ابن تيمية من قضية الصفات .

وأما الخاتمة ، فتناولت فيها النتائج التى توصلت اليهـا فى هذا البحث .

وكانت دراستى لكل قضية من القضايا السابقة مصدرة بذكر الآراء أو الأقوال أو المذاهب الواردة فيها ، ثم أتناول دراسة موقف ابن تيمية منها تفصيلا ، وبعد ذلك أردفها بخلاصة و بتقويم لموقفه رحمه الله بذكر موافقته للكتاب والسنة ومنهج السلف ، أو عدمهما . وكان قصدى من وراء ذلك تأييد الحق الذى نطق به الكتاب والسنة وسار على نهجه سلف هذه الأمة رضى الله عنهم .

وقد بذلت فى رسالتى هذه كل جهدى وطاقتى ، وتحريت فيها الانصاف والموضوعية ، والدقة والصواب ما أمكننى . ولا أزعم أنى قد بلغت فيها الكمال ، فان الكمال لله وحده .

وانني اذ أتقدم بهذه الرسالة لقسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية ، لأشكر القائمين عليه لما بذلوه من جهود مخلصة فى توفير جميع السبل الكفيلة بتسهيل مهمة الباحث .

كما أتقدم بشكرى للجامعة الاسلامية ، ممثلة فى المسئولين عنها والعاملين فيها ، وفى مقدمتهم رئيسها الموقر - زاده الله توفيقا - لما قاموا به من أعمال طيبة فى سبيل اعداد جيل مسلم مسلح بسلاح العقيدة والايمان وسلاح العلم والعرفان . فشكر الله لهم جميعـا وسدد خطاهم وأثابهم ثوابا عظيما .

والله أسأل أن يوفقنى ، وأن يهيء لى من أمرى رشدا ، وأن يجعل ما قدمت عملا صالحا ، وعلما نافعا ، انه نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

الباحث

تمهيد :

حياة شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عصر ابن تيمية

الفصل الثاني : سيرة ابن تيمية

الفصل الثالث : ثقافته ومؤلفاته وأقوال العلماء فيه

-((الفصل الأول))-

عصر ابن تيمية

١ـ الناحية الدينية .

٢ـ الناحية السياسية .

٣ـ الناحية الاجتماعية .

الفصل الأول

عصـــــر ابن تيميـــــــة

لقد أثبتت الدراسات أن الظروف التى تحيط بالرجل و البيئـــة التى يعيش فيها لها دور فعال فى تكييف حياته و صبغها بصبغة خاصة، فرأيت من الضرورى بين يدى دراستى لشيخ الاسلام ابن تيمية فى موقفه من الصفات الالهية ، أن أقدم فكرة موجزة عن سمات العصر الذى نشأ فيه ، و ترعرع فى أكنافه ، و عاش تحت ظله ، لكى نعرف مدى تأثره و تأثيره فى اتجاهات ذلك العصر و تقاليده ، حتى يمكن لنا بعد ذلك تقدير جهــوده و أعماله تقديـــرا صحيحا .

و سوف أعالج حال ذلك العصر الذى عايشه رحمه الله مـــن نواح ثلاث : دينية و سياسية و اجتماعيـة .

(١) الناحيـة الدينيـــة

من الظواهر المهمة التى ميزت حياة المسلمين الدينيـــة فى تلك الحقبة من الزمان هى ظهور البدع و الشركيات و الأمور المخالفـــة لدين الرسول صلى الله عليه و سلم .

فبدلا من أن يهتم المسلمون باقامة الدين الذى شرعه الله لهم على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم ، نرى أكثرهم يعدلون عن هذه الجادة القويمة ، التى لا يحيد عنها الا هالك .

فنرى طائفة من المسلمين فى ذلك العصر يهتمون بالبدع التى لا أساس لها من الدين ، و ذلك كبدعة صلاة الرغائب فى ليلة النصـــف من شعبان ، فانها لم تكن موجودة فى عهد الصحابة ولا التابعيـــن و لا

تابعيهم. وقد ذكر ابن كثير رحمه الله [١] هذه البدعة عندما تكلم عن حوادث سنة ٧٠٦ هـ فقال: "... وفي هذه السنة صليت صلاة الرغائب في النصف بجامع دمشق بعد أن كانت قد أبطلها ابن تيمية منذ أربع سنين ..." [٢] ويتبين من هذا أن هؤلاء قد أشربوا في قلوبهم هذه البدعة بسبب جهلهم بالدين واستحواذ الشيطان على عقولهم.

كما نرى طائفة من المسلمين يهتمون بتعظيم المشاهد وعبادة القبور، فمنهم من يتركون المساجد ويعمرون المشاهد، فنجد المسجد الذي بني للصلوات الخمس معطلا مخربا، والمشهد الذي بني على الميت عامرا، مكسوا بالستور، ومزينا بالذهب والفضة والرخام، والنذور تغدو وتروح اليه. [٣]

ومن هؤلاء من يرون أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الحج الى الكعبة، وأن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به أفضل من دعاء الله والاستغاثة به. [٤]

ومنهم من يذهبون الى القبور ويصلون الى الميت، ويدعو أحدهم الميت فيقول: "اغفرلي وارحمني" ونحو ذلك، ويسجد لقبره،

---

(١) عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ابن زرع القرشي البصري ثم الدمشقي الشافعي، حافظ مفسر فقيه مؤرخ، ولد سنة ٧٠١ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ. انظر في ترجمته: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٩٢، شذرات الذهب ٢٣١/٦، الأعلام للزركلي ٣٢٠/١، معجم المؤلفين ٢٨٣/٢.

(٢) البداية والنهاية ٤١/١٤ وانظر ٣٤/١٤ و ٤٦.

(٣) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري، لابن تيمية، ص ٣٥٠.

(٤) انظر: نفس المرجع، ص ٣٥٠.

و منهم من يستقبل القبر و يصلى اليه مستدبرا الكعبة و يقول: "القبر قبلة الخاصة و الكعبة قبلة العامة ".(١)

و من هؤلاء من يجعلون المقابر بمنزلة عرفات ، يسافرون اليها وقت الموسم ، وقد صنف بعضهم كتبا سموها " مناسك حج المشاهد".(٢)

و منهم أيضا من يعظمون شيخهم فيستغيثون به ، غائبا كان أو ميتا ، و يقولون : " يا شيخ فلان أنا فى حسبك ،يا سيدى فلان "، و نحو ذلك من العبارات .(٣)

فهكذا كان كثير من المسلمين فى ذلك العصر يتخذون القبور مساجد و أعيادا و أوثانا .

و لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل من الناس من يزورون الأحجار و يتبركون بها و يقبلونها ، و ينذرون لها النذور، و يلطخونها بالخلوق ، و يطلبون عندها قضاء حاجاتهم ، و يعتقدون أن فيها أولها سرّا وأن من تعرض لها بسوء - بقال أوفعال - أصابته فى نفسه آفة من الآفات .(٤) وقد كان بنهر قلوط فى ضواحى دمشق صخرة تزار و ينذر لها النذور ،(٥) و هذا من الشرك الذى حذرنا منه الرسول صلى الله عليه وسلم .

ان حالا كهذه تؤكد لنا بحق سوء الوضع الدينى الذى كان يعيشه المسلمون فى ذلك العصر، و عدم احساس كثير من العلماء بالمسئولية التى بها أصبحوا ورثة الأنبياء كان من الأسباب لانتشار أمثال هذه البدع و الشركيات .

---

(١) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة ، ص ٢٩٤ .

(٢) انظر : نفس المرجع ، ص ٢٩٥ و ٢٩٦ .

(٣) انظر : نفس المرجع ، ص ٣٢٥ و ٣٢٦ .

(٤) ناحية من حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ، للغيانى ، ص ٨ .

(٥) انظر : البداية والنهاية ١٤/٣٤ ، شذرات الذهب ٦/٩ .

وقد صاحب تلك الحالة الخطيرة اشتداد تيار التصوف وازدياد نفوذ رجاله لما كان يتمتع به عند بعض رجالات الدولة من احترام وتعظيم ، فقد كان السلطان الملك المظفر بيبرس الجاشنكير [١] يتغالى في حب الشيخ نصر المنبجي [٢] الذي يتعصب لابن عربي [٣] وكان من بين فرق التصوف من ينتحلون مذهب وحدة الوجود ويفضلون الأولياء على الأنبياء ، ويرون الخروج على الشريعة ، كما أن منهم من يفعلون أشياء من الأحوال الشيطانية ليفتنوا بها العامة حتى يبعدوا بهم عن هدى الكتاب والسنة . [٤]

هذا وقد ازداد في هذا العصر نشاط الفرق الضالة الخارجة عن الاسلام كالرافضة والنصيرية وغيرهما . أما الرافضة فقد تلقت الدعم والرعاية من ملك التتار خربندا [٥] ، وأما النصيرية فقد خرجوا سنة ٧١٧ هـ على الطاعة وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقا

---

(١) السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري ، أحد مماليك المنصور قلاوون، تسلطن سنة ٧٠٨ هـ بعد أن خلع الملك الناصر محمدبن قلاوون نفسه . وكانت مدة سلطنته ١٠ أشهر و٢٤ يوما . انظر: البداية والنهاية ٤٩/١٤ و ٥٥ ، خطط المقريزي ٢٣٩/٢ ، الأعلام للزركلي ٧٩/٢ .

(٢) أبو الفتح نصربن سليمان بن عمر المنبجي ، ولد سنة ٦٣٨ هـ وتوفي سنة ٧١٩ هـ . انظر: البداية والنهاية ٩٥/١٤، شذرات الذهب ٥٢/٦ ، الدرر الكامنة ١٦٥/١.

(٣) أبوبكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بابن عربي ، ولد في مرسية سنة ٥٦٠ هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨ هـ . انظر: الأعلام ٢٨١/٦ ، معجم المؤلفين ٤٠/١١ .

(٤) انظر: الدررالكامنة ١٦٤/١، البداية والنهاية ٣٦/١٤ ، تلخيص كتاب الاستغاثة ص ٢٥٢ و ٣٥٣.

(٥) الملك خربندا محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ،ملك العراق وخراسان وعراق العجم والروم وأذربيجان والبلاد الأرمينية وديار بكر، توفي سنة ٧١٦ هـ. انظر: البداية والنهاية ٧٧/١٤ ، فوات الوفيات لابن شاكرالكتبي ٩٧/٤.

من أهلها ورفعوا أصواتهم قائلين " لا اله الا علي ، ولا حجاب الا محمد ، ولا باب الا سلمان "، ولعنوا الشيخين وخربوا المساجد.[١]

ومن الظواهر التي ميزت حياة المسلمين الدينية أيضا هو مابلغه هذا العصر من التعصب المذهبي في نفوس المسلمين، وهذا أمر لا يبلغ مداه الا في حالة الضعف ، فقد صار لكل مذهب من المذاهب الأربعة أتباع ينصرونه ويؤيدونه ويتفانون لأجله ولو خالف الحق المؤيد بالدليل في غيره من المذاهب .

ومما يدل على ذلك أنه أصبح لكل مذهب قاض خاص يمثل مذهبه ، فيكون هناك قاضي الشافعية ، وقاضي الحنفية ، وقاضي المالكية ، وقاضي الحنابلة.[٢] وقد حدثت فتن كثيرة بسبب هذا التعصب المذهبي ، كما ذكر ابن كثير ما حدث سنة ٧١٦ هـ : " ... وقعت فتنة بين الحنابلة والشافعية بسبب العقائد، وترافعوا الى دمشق فحضروا بدار السعادة عند نائب السلطنة تنكز، فأصلح بينهم ...".[٣]

وثمة ظاهرة أخرى لا تقل أهمية ميزت هذا العصر من الناحية الدينية وهي انتشار المذاهب الفلسفية والكلامية. وقد كانت هذه المذاهب في بعض مباحثها الالهية مخالفة لمبادئ الكتاب والسنة ، بعيدة عن منهج السلف رضي الله عنهم .

ومثال ذلك : مباحثهم في قضية الصفات ، فقد ذهب بعضهم الى نفي الأسماء والصفات عن الله تعالى ، وذهب آخرون الى نفي الصفات دون الأسماء، وذهب غيرهم الى اثبات الأسماء وبعض الصفات

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٨٣/١٤ ، شذرات الذهب ٤٣/٦ .
(٢) انظر: البداية والنهاية ٢٤٥/١٣ .
(٣) نفس المرجع : ٧٥/١٤ .

مع التأويل في بقيتها . و غيرها من المباحث الالهية التي تشعبت فيها آراؤهم المخالفة لما نطق به الكتاب والسنة و أجمع عليه سلف الأمة .

و كان من أقوى تلك المذاهب نفوذا و أكثرها تمكنا في نفوس المسلمين - علماء و عامة - هو المذهب الأشعري ، لما كان يتمتع به من حماية الحكومة .

فقد كان السلطان صلاح الدين الأيوبي[1] وخلفاؤه حملوا الناس على الالتزام بالعقيدة الأشعرية و جعلوها مذهب الدولة في العقيدة.[2]

و قد بين المقريزي[3] رحمه الله بعد أن ذكر حال المذهب الأشعري و ما كان من انتشاره في مصر والشام على يد صلاح الدين الأيوبي و من بعده من ملوك الأيوبيين ، و في بلاد المغرب على يد محمد ابن تومرت[4]، فقال :

" ... فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعري و انتشاره في أمصار الاسلام بحيث نسي غيره من المذاهب و جهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه ، الا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الامام أبي عبدالله

---

(١) أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ، صلاح الدين الأيوبي ، الملقب بالملك الناصر ، ولد سنة ٥٣٢ هـ و توفي سنة ٥٨٩ هـ ، ولي السلطنة مدة عشرين سنة . انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ١٣٩/٧ - ٢١٨ ، شذرات الذهب ٢٩٨/٤ - ٣٠٠ ، الأعلام ٢٢٠/٨ .

(٢) انظر : خطط المقريزي ٣٥٨/٢ .

(٣) تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي الحنفي البعلي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة . ولد سنة ٧٦٦ هـ ، و توفي سنة ٨٤٥ هـ . انظر في ترجمته : شذرات الذهب ٢٥٤/٧ - ٢٥٥ ، الأعلام ١٧٧/١ - ١٧٨ ، معجم المؤلفين ١١/٢ .

(٤) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت المصمودي البربري ، المدعي أنه علوي حسني و أنه المهدي المعصوم . ولد سنة ٤٨٥ هـ وتوفي سنة ٥٢٤ هـ . انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ٤٥/٥ - ٥٥ ، شذرات الذهب ٧٠/٤ - ٧٢ ، الأعلام ٢٢٨/٦ .

أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه ، فانهم كانوا على ما كان عليه السلف لا يرون تأويل ما ورد من الصفات ، الى أن كان بعد السبعمائة من سنى الهجرة اشتهر بدمشق و أعمالها تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّانى ، فتصدى للانتصار لمذهب السلف و بالغ فى الرد على مذهب الأشاعرة و صدع بالنكير عليهم و على الرافضة و على الصوفية ....".(١)

فكان العالم الاسلامى آنذاك ، كما أشار اليه كلام المقريزى ، تحت سلطان العلماء و المتكلمين الأشعريين. و هؤلاء قد استغلوا هذا السلطان الذى تمتعوا به فى مواجهة من خالفهم فى مذهبهم ، و لذلك نراهم لما وجدوا شيخ الاسلام ابن تيمية يدعو الى مذهب السلف ألزموا الذين استجابوا دعوته بمخالفته.(٢)

و خلاصة القول ، فان حياة المسلمين الدينية فى العصر الذى عاش فيه شيخ الاسلام ابن تيمية كانت بعيدة عن حياة السلف الصالح الدينية ، و لم يبق على الجادة الا قلة من أهل العلم والصلاح ، حيث تكاثرت الشركيات و تفاقمت البدع و تراكمت الضلالات بشكل فظيع .

(٢) الناحية السياسية

بالاضافة الى سوء الحياة الدينية التى كان يعانى منها المسلمون فى ذلك العصر، كما اتضح لنا مما سبق ، فان حياتهم السياسية لم تكن بأحسن مما كانت عليه حياتهم الدينية ، فقد كانوا

---

(١) خطط المقريزى ٣٥٨/٢ - ٣٥٩ .

(٢) انظر: البداية والنهاية ٣٨/١٤ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٧/٢.

يهددهم خطران : خطر من الداخل وخطر من الخارج .

فأما الخطر الذى كان من الخارج فكانوا يواجهون كتلتين عظيمتين : كتلة من الغرب وهم الصليبيون ، وكتلة من الشرق وهم التتار.

وقد بدأ الصليبيون غاراتهم على المسلمين من أواخر القرن الخامس الهجرى[١]، واستمرت الحرب بينهم وبين المسلمين وظلت سجالا بين الطرفين الى نحو قرنين من الزمان الى أن أذن الله تعالى بانقضاء دولتهم وزوال خطرهم على يد الملك الأشرف بن المنصور قلاوون[٢] سنة ٦٩٠ هـ . [٣]

وبينما كانوا مشغولين بمجابهة الصليبيين ، دهمهم خطر التتار الذين قدموا من الشرق وهددوا البلاد جميعها تهديدا فاق تهديد الصليبيين ، فاستولوا على بغداد مركز الخلافة سنة ٦٥٦ هـ ، وقتلوا الآلاف من أهلها وعلى رأسهم الخليفة العباسى المستعصم بالله[٤] وجعلوا هذه العاصمة العامرة خرابا ودمارا .[٥]

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٥٥/١٢ .

(٢) السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى. ولد سنة ٦٦٦ هـ ، وولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩ هـ ، واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشامية وقاتل الصليبيين فاسترد منهم عكا وصورا وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع السواحل. توفى سنة ٦٩٣ هـ باغتيال بعض الأمراء . انظر: البداية والنهاية ٣١٦/١٣ و ٣٣٤، شذرات الذهب ٤٢٢/٥ ، فوات الوفيات ٤٠٦/١ـ٤١٠، خطط المقريزى ٢٣٨/٢ ، الأعلام ٣٢١/٢ .

(٣) انظر: البداية والنهاية ٣١٩/١٣، شذرات الذهب ٤١١/٥ .

(٤) المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبى جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد بن الناصر لدين الله العباسى ، آخر خلفاء بنى العباس بالعراق . ولد سنة ٦٠٩ هـ وبويع بالخلافة سنة ٦٤٠ هـ . انظر: البداية والنهاية ٢٠٤/١٣ـ٢٠٦ .

(٥) انظر: البداية والنهاية ٢٠٠/١٣ـ٢٠٢ .

وقد وصف لنا ابن كثير وصفا مؤثرا حالة هذه العاصمة بعد استيلاء التتار عليها، فقال :

" ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوما، بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد الا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم، وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء الى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فانا لله وانا اليه راجعون". (١)

ان زحف التتار على عاصمة الخلافة أكبر كارثة على العالم الاسلامي، بل وعلى العالم بأسره، اذ أزال معالم الحضارة والثقافة الاسلامية .

وقد ولد ابن تيمية بعد تدمير بغداد بخمس سنوات وهاجر به والده من مسقط رأسه حران الى دمشق، وهو ابن ست سنوات، فرارا من ظلم التتار، فلا بد أن يكون قد سمع أخبار هذا الدمار فيتأثر قلبه بهذه النكبة التي أصابت المسلمين.

ولذلك نرى له رحمه الله مشاركات جدية في الجهاد ضدهم، فانه لما حاصر التتار دمشق خرج في وفد من أعيانها لمقابلة قائد التتار قازان لأخذ الأمان منه لأهلها، كما سافر هو بنفسه على البريد الى مصر يستحث السلطان على الجهاد، ثم باشر القتال ضدهم في وقعة شقحب سنة ٧٠٢ هـ حيث كان يشجع المسلمين ويبشرهم بالنصر

---

(١) البداية والنهاية ٢٠٣/١٣ .

و جعل يحلف بالله الذى لا اله الا هو انكم منصورون عليهم فى هــذه المرة .(١)

ذلك كان الخطر الذى يهدد المسلمين من الخارج .

و أما الخطر الذى كان من الداخل، فكان حكمهم يضطرم بالفتن و المؤامرات ، فلم يكن يهدأ للسلطان بال و تستتبّ له الأمور حتــى يتطاول أمير من الأمراء محاولا اغتصاب السلطة ، فيعمد الحاكم الــى التخلص منه و ضم ممتلكاته . فالقوة كانت ميزة من ميزات ذلك العصر ، و هى التى توصل صاحبها الى منصب السلطنة .

واذا كان بعض السلاطين قدنجح فى توريث ابنه منصب السلطنة فلا يلبث أحد الأمراء الأقوياء أن يعزل ذلك الابن من سلطنته و يتــولى مكانه الحكــم .

ان ابن تيميــة رحمه الله ولد فى أيام السلطان الملـــك الظاهر بيبرس البندقدارى(٢)، الذى كان يتولى منصب السلطنة بعد قتله السلطان الملك المظفر قطز(٣) سنة ٦٥٨ هـ ، و كان ملكا قويا أمســك بزمام الأمر الى أن توفى ســنة ٦٧٦ هـ . (٤)

---

(١) انظر فى هذه الحوادث : البداية و النهاية ٧/١٤ ، ٩٥ ، ٢٥ ــ ٢٦.

(٢) بيبرس بن عبدالله ، السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتــح البندقدارى الصالحى التركى. ولد بأرض القبجاق سنة ٦٢٥ هـ تقريبا ، وتوفى سنة ٦٧٦ هـ . انظر فى ترجمته ، البداية والنهاية ٢٧٤/١٣ ــ ٢٧٦، فوات الوفيات ٢٣٥/١ ــ ٢٤٧ ، خطط المقريزى ٢٣٨/٢ ، الأعلام ٧٩/٢ .

(٣) السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبدالله المعزى ، تولى منصب السلطنة سنة ٦٥٧ هـ بعد أن خلع السلطان الملك المنصــور نورالدين على بن المعز أيبك . انظر فى ترجمته : البداية والنهاية ٢٢٥/١٣ ، خطط المقريزى ٢٣٨/٢ ، فوات الوفيات ٢٠٣/٣ ــ ٢٠٤ ، شذرات الذهب ٢٩٣/٥ ، الأعلام ٢٠١/٥ .

(٤) البداية والنهاية ٢٧٤/١٣ .

و يكفى أن أشير هنا الى سوء الحالة السياسية داخل البلاد فى العصر الذى عاش فيه ابن تيمية ، أنه بعد حكم السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى الفترة من سنة ٦٧٦ هـ الى سنة ٧٠٩ هـ ، أى فى خلال ثلاثة و ثلاثين عاما فقط ، تداول الحكم فى مصر و الشام سلاطين كثيرون ، حيث تربع ثمانية ملوك على عرش السلطنة فى هذه الفترة الوجيزة نسبيا ، وقد صاحب هذه الحالة بالطبع تطور الأحداث فى البلاد من عزل و تعيين فى المناصب الحكومية. (١)

و هكذا نجد أن حياة المسلمين السياسية فى ذلك العصر ، كانت مليئة بالأحداث الجسام و المصائب المتلاحقة من داخل البلاد و خارجها .

(٣) الناحية الاجتماعية

تبين لنا مما سلف ذكره أن الحياة السياسية فى العصر الذى عاصره ابن تيمية قد بلغت من الفوضى أقصاها . فليس لنا أن نتصور بعد ذلك أن تكون هناك حياة اجتماعية مستقرة.

فانه من المعلوم أن كثرة الغارات على البلاد الاسلامية وسوء الأوضاع السياسية داخل البلاد تحدث دائما جوّا من التوتر وعدم الاستقرار، لاضطراب حبال الأمن فى ربوع البلاد و وجود حالة من الرعب و الفزع فى قلوب الناس حتى لا يطمئن أحد على نفسه و ماله .

كما تؤدى هذه الأمور الى تدهور الوضع الاقتصادى و تشجع على اشاعة الفوضى فى المجتمع، فقد اشتد الغلاء فى الشام حتى بلغت

---

(١) انظر عن هذه الأحداث المتتالية : البداية والنهاية ٢٧٤/١٣ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٣١٦ و ٣٣٤ و ٣٣٨ و ٣٤٨ و ٣/١٤ و ٤٨ و ٥١ . خطط المقريزى ٢٣٨/٢ - ٢٣٩ .

الغرارة[١] فى ذلك الوقت مائتى درهم و أكثر، واللحم الرطل بنحو العشرة، و الخبز كل رطل بدرهمين ونصف، و البيض كل خمسة بدرهم.[٢]

ولم تكن الحال فى مصر بأحسن مما هى عليه فى الشام، فقد اضطر الناس من قلة الأقوات الى أكل الحمر و الخيل و البغال والكلاب، فمات بها فى شهر صفر سنة ٦٩٥ مائة ألف ونحو من ثلاثين ألفا.[٣]

كما انتشرت السرقة والنهب، فجاس بدمشق سنة ٧٠٢ اللصوص، و هم يخربون بساتين الناس، و ينهبون ما قدروا عليه، و يقطعون المشمس قبل أوانه والقمح و سائر الخضروات.[٤]

وقد صاحب هذه الحالة تفشى الرذيلة، و مما زاد الأمر سوءا أنه ضمن بعض حكام الشام الخمارت و مواضع الزنا من الحانات وغيرها، لأنه استطاع بذلك أن يكتسب فى كل يوم ألف درهم[٥]، فانتشر بذلك شرب الخمر و شاعت الفاحشة.

علاوة على ذلك فان الكوارث أيضا من حريق ووباء وزلزلة و سيل، لها أثرها فى تدهور الحياة الاجتماعية.

ففى سنة ٦٨١ كان بدمشق الحريق العظيم الذى لم يسمع بمثله، و قد أقامت النار ثلاثة أيام ليلا و نهارا، و ذهب للناس شيء كثير

---

(١) الغرارة: الجوالق، واحدة الغرائر، والجوالق: وعاء من الأوعية معروف معرّب. انظر: لسان العرب ١٨/٥ و ٣٦/١٠، مادة "غرر" ومادة "جلق".

(٢) انظر: البداية والنهاية ٣٤٣/١٣ و ١٠/١٤.

(٣) انظر: نفس المرجع ٣٤٣/١٣.

(٤) انظر: نفس المرجع ٢٤/١٤.

(٥) انظر: نفس المرجع ١٠/١٤.

وان لم يكن يحترق فيه أحد.[١]

وفى سنة ٧٠١ " قدم الى الشام جراد عظيم أكل الزرع والثمار وجرد الأشجار حتى صارت مثل العصى، ولم يعهد مثل هذا ".[٢]

كما حدثت فى آخر سنة ٧٠٢ زلزلة عظيمة، كان جمهورها بالديار المصرية ومنها طائفة بالشام، تلاطمت بسببها البحار فكسرت المراكب وتهدمت الدور ومات خلق كثير لا يعلمهم الا الله، ولم ير مثل هذه الزلزلة فى ذلك العصر.[٣]

ثم جاء فى سنة ٧١٧ سيل عظيم بمدينة بعلبك أهلك خلقا كثيرا من الناس وأتلف ما يزيد على ثلثها، ويقال " كان من جملة من هلك فى هذه الكائنة من أهل بعلبك مائة وأربعة وأربعون نفسا سوى الغرباء، وجملة الدور التى خربها والحوانيت التى أتلفها نحو من ستمائة دار وحانوت، وجملة البساتين التى جرف أشجارها عشرون بستانا، ومن الطواحين ثمانية ... وأما الأماكن التى دخلها وأتلف ما فيها ولم تخرب فكثير جدا ".[٤]

ومن تلك الأمور التى استعرضتها يتبين لنا مدى تدهور الحالة الاجتماعية التى عايشها المسلمون فى تلك الحقبة من الزمان، فهى فترة عسرة اتسمت حياة أهلها بالخوف والجوع، والبأساء والضراء .

---

(١) شذرات الذهب ٣٧٠/٥ .

(٢) البداية والنهاية ١٩/١٤ .

(٣) نفس المرجع ٢٧/١٤ .

(٤) نفس المرجع ٨١/١٤ - ٨٢ .

وبالجملة فقد كانت حياة المسلمين من النواحي الدينية والسياسية والاجتماعية في ذلك العصر الذي عاش فيه شيخ الاسلام ابن تيمية فاسدة ومتدهورة الى حد كبير، فهي بذلك في حاجة ماسة الى اصلاح تام شامل يقوم به مصلح مخلص جريء ، بصير بمواطن الداء وكيفية العلاج .

وقد كان لما أجملناه من سمات ذلك العصر له أثر قوي في نفس ابن تيمية رحمه الله ، فتقدم للاصلاح يتصدى البدع والشركيات والمعتقدات الزائفة والأوضاع السياسية والاجتماعية السيئة ، ليخلص المسلمين مما كانوا يعانون منه بكل ما يستطيعه بلسانه ويده وماله ونفسه وقلمه وسيفه .

وقد قام رحمه الله بهذا الاصلاح الشامل ،لأن غايته العليا في هذه الحياة هي العبادة ، كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون).[1]. وكانت العبادة في مفهومه شاملة لكل نشاط الانسان في حياته مادام مريدا به رضا الخالق سبحانه وتعالى ، ولذلك قال في تعريفها : " العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ...".[2]

فمفهوم العبادة عنده واسع الآفاق ، شامل لجميع مناحي الدين والحياة ، لا تقتصر على الشعائر التعبدية من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، بل هي تشمل جميع الأمور التي يحبها الله ويرضاها

---

(١) سورة الذاريات : ٥٦

(٢) العبودية ، لابن تيمية ، ص ٣٨ .

من الدعاء والذكر والصبر والشكر والرضى بقضائه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والاحسان للجار واليتيم والمسكين، وحب الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله وغير ذلك. (١)

فانطلاقا من ذلك المفهوم الشامل للعبادة قام شيخ الاسلام ابن تيمية بدعوته الاصلاحية فى كل مجالات الحياة: الدينية والسياسية والاجتماعية.

وكان فهمه رحمه الله تعالى لحقيقة الجهاد فى سبيل الله أيضا شاملا كشمول فهمه لحقيقة العبادة، حيث عرف الجهاد بأنه " بذل الوسع - وهو كل ما يملك من القدرة - فى حصول ما يحبه الله من الايمان والعمل الصالح وفى دفع ما يبغضه من الكفر والفسوق والعصيان". (٢)

فالجهاد - فى رأيه - لا تقتصر على قتال المشركين، بل يشمل أيضا الجهاد بالقلم وباللسان وبالمال وبغيرها، بحيث يبذل الانسان كل ما يقدر عليه لحصول ما يحبه الله.

وبهذا المفهوم لم يترك رحمه الله أى مجال يرى أنه يحقق رضا الله الا بذل فيه غاية جهده وطاقته ليحقق لله تعالى معنى عبادته والجهاد فى سبيله.

وخلاصة القول، فاننا نرى شيخ الاسلام ابن تيمية يقوم باصلاح شامل فى جميع مجالات الحياة: الدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها، انطلاقا من شمول مفهوم العبادة والجهاد.

---

(١) انظر: العبودية ص ٣٨ و ٦١.

(٢) انظر: نفس المرجع، ص ١٠٤ و ١٠٦.

ـ((الفصل الثانى))ـ

سيرة ابن تيمية

١ ـ مولده

٢ ـ اسمه ونسبه

٣ ـ كنيته ولقبه

٤ ـ نسبته

٥ ـ أهل بيته

٦ ـ صفاته وأخلاقه

٧ ـ نبذة موجزة عن حياته

٨ ـ وفاته

==========

الفصل الثاني

سيرة ابن تيمية

(١) مولده :

ولد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله بحرّان[1]، يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول سنة احدى و ستين وستمائة . وقد أجمع المترجمون له على ذلك[2] ، الا أن هناك رواية أخرى ضعيفة أنه ولد في الثاني عشر من ربيع الأول.[3]

(٢) اسمه ونسبه :

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية .

ولم يتفق المترجمون له على سرد نسبه بهذه الطريقة ، فمنهم

---

(١) حران - بتشديد الراء وآخره نون - : مدينة مشهورة بالجزيرة (جزيرة أقور). قيل: سميت بهاران - أخي ابراهيم الخليل عليه السلام - لأنه أول من بناها ، فعربت فقيل: حرّان. وكانت منازل الصابئة ، وهم الحرانيون الذين يذكرهم أصحاب كتب الملل والنحل. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٣٥/٢ ، وفيات الأعيان ٣١٥/١.

(٢) الوافي بالوفيات ١٥/٧ ، فوات الوفيات ٧٤/١ ، البداية والنهاية ٢٤١/١٣ ، ١٣٦/١٤ ، الدرر الكامنة ١٥٤/١ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٧/٢ ، العقود الدرية ص: ٤ و١٠ و٢٤٨ ، الأعلام العلية للبزار ص ٢١ ، النجوم الزاهرة ١٧١/٩ ، شذرات الذهب ٨٠/٦ ، تاريخ ابن الوردي ٢٨٦/٢ ، معجم المؤلفين ٢٦١/١.

(٣) العقود الدرية ص ٤ .

من اقتصر على ذكر جده الأول[١]، ومنهم من اقتصر على ذكر جده الثاني[٢]، ومنهم من وقف عند جده الثالث[٣]، وجماعة رابعة استوفت ذكر نسبه[٤]. وهذا الاختلاف لا يعني شيئاً سوى إرادة الاختصار من بعضهم وإرادة الاستيفاء من الآخرين .

إلا أن هناك خلافاً في أبي القاسم ، فذكر في البداية والنهاية لابن كثير أنه محمد بن الخضر بن محمد[٥]، وفي الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب[٦] أنه ابن الخضر بن محمد[٧]. وهذا خطأ . ولعله سهو من المؤلفين أو تحريف من بعض النساخ، لأنهما ذكرا في نفس الكتابين عن أبي القاسم أنه الخضر بن محمد ...[٨]

---

(١) الأعلام العلية للبزار ص ١٨ .

(٢) شذرات الذهب ٨٠/٦ .

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ترجمة رقم (١١٧٥) ١٤٩٦/٤ ، الوافي بالوفيات ١٥/٧ ، البداية والنهاية ٢٤١/١٣ ، الدرر الكامنة ١٥٤/١ ، فوات الوفيات ٧٤/١ ، تاريخ ابن الوردي ٢٨٤/٢ .

(٤) العقود الدرية ص ٣ ، والنجوم الزاهرة ٢٧١/٩ ، الأعلام للزركلي ١٤٤/١ ، معجم المؤلفين ٢٦١/١ .

(٥) البداية والنهاية ١٣٥/١٤ .

(٦) زين الدين وكمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود البغدادي الدمشقي الحنبلي. محدث حافظ فقيه أصولي مؤرخ. ولد سنة ٧٣٦ هـ وتوفي سنة ٧٩٥ هـ . انظر في ترجمته : شذرات الذهب ٣٣٩/٦ ، الأعلام ٢٩٥/٣ ، معجم المؤلفين ١١٨/٥ .

(٧) الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٧/٢ .

(٨) البداية والنهاية ١٠٩/١٣ و ١٨٥ و ٢٦٤ ، الذيل على طبقات الحنابلة ١٥١/٢ و ٣١٠ ، وانظر أيضاً : الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص ١٠٦ .

وقد اشتهر أحمد باسم: ابن تيمية . واختلف في سبب هذه التسمية، فقيل: ان جده محمدبن الخضر حج وكانت امرأته حاملا، فلما مر على درب تيماء رأى جارية طفلة قد خرجت من خباء، فلما رجع الى حران وجد امرأته قد ولدت له بنتا، فلما رآها قال: ياتيمية، يا تيمية، يعني أنها تشبه التي رآها بتيماء[1]، فلقب بذلك.[2]

وقيل: ان جده محمدا كانت أمه تسمى تيمية، وكانت واعظة، فنسب اليها و عرف بها.[3]

(٣) <u>كنيته ولقبه</u>:

أما كنيته فأبو العباس، وأما لقبه فيلقب بتقي الدين . و لم تختلف المصادر في اطلاق تلك الكنية و هذا اللقب اللذين اشتهر بهما ابن تيمية .

كما يلقب ابن تيمية أيضا بشيخ الاسلام . وقد ذكر ابن ناصر الدين[4] جما غفيرا من العلماء الذين لقبوه بشيخ الاسلام، حيث ذكر رحمه

---

(١) تيماء: بليدة في بادية تبوك . وتيمية منسوبة الى هذه البليدة، وكان ينبغي أن تكون تيماوية لأن النسبة الى تيماء: تيماوي، لكنه هكذا قال و اشتهر كما قال. وفيات الأعيان ٣٨٨/٤، وانظر: معجم البلدان ٦٧/٢ .

(٢) وقد ذكر ابن خلكان عن محمد بن أبي القاسم - عم عبد السلام، جد شيخ الاسلام ابن تيمية - نفس هذا السبب، الا أن محمدا شك فيمن سمي بها هل هو أبوه أي أبو القاسم، أو جده أي محمد بن الخضر. انظر: وفيات الأعيان ٣٨٨/٤ .

(٣) العقود الدرية ص ٤، الشهادة الزكية لمرعي بن يوسف الكرمي ص ٢٣ .

(٤) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، الشهير بابن ناصرالدين، محدث حافظ مؤرخ، ولد سنة ٧٧٧ هـ و توفي سنة ٨٤٢ هـ. انظر في ترجمته: شذرات الذهب ٢٤٣/٧ - ٢٤٥، الأعلام ٢٣٧/٦، معجم المؤلفين ١١٢/٩ - ١١٣ و ٢٣٦/١٠ - ٢٣٧ .

الله خمسة وثمانين منهم ، مما يؤكد أنه بحق " شيخ الاسلام ".[١]

و معنى شيخ الاسلام - المعروف عند الجهابذة النقاد ، المعلوم عند أئمة الاسناد - هو: " المتبع لكتاب الله عزوجل، المقتفى لسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، الذى تقدم بمعرفة أحكام القرآن و وجوه قراءاته ، و أسباب نزوله ، وناسخه و منسوخه ، و الأخذ بالآيات المحكمات ، و الايمان بالمتشابهات ، قد أحكم من لغة العرب ما أعانه على علم ما تقدم ، و علم السنة نقلا واسنادا ، و عملا بما يجب العمل به اعتمادا ، و ايمانا بما يلزم من ذلك اعتقادا ، و استنباطا للأصول والفروع من الكتاب والسنة ، قائما بما فرض الله عليه ، متمسكا بما ساقه الله من ذلك اليه ، متواضعا لله العظيم الشان، خائفا من عثرة اللسان، لا يدعى العصمة و لا يفرح بالتبجيل، عالما أن الذين أوتوا من العلم قليل " ، فمن كان بهذه المنزلة استحق أن يقال له : شيخ الاسلام .[٢]

(٤) نسبته :

و ينسب شيخ الاسلام ابن تيمية الى حرّان ، ثم الى دمشق[٣] ، فيقال : الحرانى ثم الدمشقى .

أما نسبته الى حران، فلأنها هى البلدة التى كانت مسقط رأسه ، و أما نسبته الى دمشق فلأنه فيها نشأ و تعلم ، و عنها دافع ،

---

(١) انظر: الرد الوافر ص ٢٦ - ١٣٥ .

(٢) انظر: نفس المرجع ص ٢٢ - ٢٣ ، وهناك معان أخرى ذكرها رحمه الله .

(٣) دمشق: بكسر أوله وفتح ثانيه ، هكذا رواه الجمهور، والكسر لغة فيه ، وشين معجمة وآخره قاف : البلدة المشهورة قصبة الشام . قيل: سميت بذلك لأنهم دمشقوا فى بنائها أى أسرعوا . معجم البلدان ٢/٤٦٣ .

وفى قلعتهـــا مات .

وقد ذكر بعض المصادر[١] أنه نسب الى نمير ، فيقال: نميرى ، ونمير فرع من بنى يوسف من الجيص (القيس) احدى قبائل العـــرب بالجزيـــرة .[٢]

(٥) أهل بيتـــه :

وأما أهل بيت الشيخ تقى الدين فهم على ما يلى:

أ - جده : مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبدالله بن أبى القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله بن تيمية الحرانـى ، الفقيه الحنبلى الامام المقرئ المحدث المفسر الأصولى النحـــوى ، شيخ الاسلام ، و أحد الحفاظ الأعلام ، وفقيـــه الوقت .

ولد فى حدود سنة تسعين و خمسمائة بحران ، وتفقه فى صغره على عمه الخطيب فخرالدين[٣] ، وسمع الكثير ورحل الى البلاد .

كان اماما حجة بارعا فى الفقه والحديث وله يد طولى فـــى

---

(١) الأعلام للزركلى ١٤٤/١ .

(٢) معجم قبائل العرب ، لكحالة ، مادة "نمير" ، ١١٩٥/٣ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله المعروف بابن تيمية ، الحرانى ، الملقب فخر الديـــن الخطيب . واعظ فقيه حنبلى . كان فاضلا ، تفرد فى بلده بالعلـــم ، وكان المشار اليه فى الدين . ولد بحران سنة ٥٤٢ هـ ، وتوفى بهـــا سنة ٦٢٢ هـ . انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ٣٨٦/٤ - ٣٨٨ ، البداية والنهاية ١٠٩/١٣ ، الذيل على طبقات الحنابلة ١٥١/٢ ، شذرات الذهب ١٠٢/٥ - ١٠٣ ، معجم المؤلفين ٢٨٠/٩ - ٢٨١ .

التفسير ومعرفة تامة فى الأصول والاطلاع على مذاهب الناس ، وله ذكاء مفرط ، ولم يكن فى زمانه مثله.

وله مصنفات منها : " أطراف أحاديث التفسير" و " الأحكام الكبرى " و " المنتقى من أحاديث الأحكام " و " المحرر" في الفقه و " منتهى الغاية فى شرح الهداية " و " مسودة " فى أصول الفقه و " أرجوزة " فى علم القراءات .

توفى رحمه الله بحران فى سنة اثنتين وخمسين وستمائة.(١)

ب - والده : شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله ابن تيمية الحرانى ، نزيل دمشق ، الحنبلى ، الشيخ الامام ، مفتى الفرق ، الفارق بين الفرق .

ولد سنة سبع و عشرين و ستمائة بحران. تفقه وسمع من والده و غيره ، ورحل فى صغره الى حلب . كان اماما محققا ، كثير الفنون، له يد طولى فى الفرائض و الحساب والهيئة ، دينا ، متواضعا ، حسن الأخلاق ، جودا ، من حسنات العصر.

تفقه عليه ولداه : الشيخ تقى الدين أبو العباس و الشيخ شرف الدين أبو محمد. و كان له كرسى بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظاهر قلبه ، وولى مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين ، وبها كان سكنه ، ولما توفى خلفه فيهما ولده الشيخ تقى الدين.

---

(١) انظر فى ترجمته : البداية والنهاية ١٨٥/١٣ ، فوات الوفيات ٣٢٣/٢ - ٣٢٤ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٢٤٩/٢ - ٢٥٤ ، الأعلام للزركلى ٦/٤ ، معجم المؤلفين ٢٢٧/٥ .

توفى رحمه الله بدمشق سنة اثنتين و ثمانين وستمائة. وله تعاليق و فوائد و مصنف فى علوم عدة.[1]

جـ - والدته: ست المنعم بنت عبد الرحمن بن على بن عبدوس الحرانية.

وهى شيخة صالحة، عمرت أكثر من سبعين سنة، ولم ترزق بنتا قط، توفيت بدمشق سنة ست عشرة وسبعمائة، و حضر جنازتها خلق كثير و جم غفير، رحمها الله.[2]

د - أخوه: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الحليم، الحرانى ثم الدمشقى الحنبلى.

ولد سنة ثلاث و ستين وستمائة بحران.

كان عالما فاضلا يكتسب من التجارة، وكان مشهورا بالديانة و الأمانة و حسن السيرة، وله فضيلة ومعرفة.

حبس نفسه مع أخيه شيخ الاسلام تقى الدين بالقاهرة والاسكندرية ودمشق محبة له و ايثارا لخدمته، ولم يزل عنده ملازما معه للتلاوة و العبادة الى أن مات الشيخ وخرج هو.

توفى رحمه الله سنة سبع وأربعين و سبعمائة.[3]

هـ - أخوه: شرف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحليم، الحرانى ثم الدمشقى الحنبلى.

---

(١) انظر فى ترجمته: البداية والنهاية ٣٠٣/١٣، الذيل على طبقات الحنابلة ٣١٠/٢ - ٣١١، شذرات الذهب ٣٧٦/٥.

(٢) البداية والنهاية ٧٩/١٤.

(٣) انظر فى ترجمته: البداية والنهاية ٢٢٠/١٤، شذرات الذهب ١٥٢/٦.

ولد سنة ست وستين وستمائة بحران ، وقدم مع أهله الى دمشق رضيعا . كان فقيها اماما متقنا ، صاحب صدق واخلاص ، قانعا باليسير، شريف النفس، شجاعا ، مقداما ، مجاهدا ، زاهدا ، عابدا ، ورعا .

تفقه في المذاهب، وبرع في الفرائض و الحساب وعلم الهيئة وفي الأصلين و العربية ، وكان له يد طولى في معرفة تراجم السلف و وفياتهم وفي التواريخ المتقدمة والمتأخرة.

حبس رحمه الله مع أخيه الشيخ تقي الدين بالديار المصرية مدة . توفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة .(١)

و - أخوه لأمه : بدر الدين أبو القاسم محمد بن خالد بن ابراهيم الحراني الحنبلي .

ولد سنة خمسين و ستمائة تقريبا بحران. كان فقيها عالما اماما بالجوزية ، وكان خيرا متواضعا ، وله رأس مال يتجر به . تفقه و لازم الاشتغال على الشيوخ ، وأفتى بالمدرسة الجوزية و بمسجد الرماحين ، ودرّس بالمدرسة الحنبلية مدة نيابة عن أخيه الشيخ تقي الدين.

توفي رحمه الله بدمشق سنة سبع عشرة وسبعمائة .(٢)

هؤلاء هم أهل بيت شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى ، بيت علم وفضل وصلاح . و مما سبق ذكره يظهر أن هذه

---

(١) انظر في ترجمته : الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٢/٢ - ٣٨٤ ، شذرات الذهب ٧٦/٦ - ٧٧ .

(٢) انظر في ترجمته : الذيل على طبقات الحنابلة ٣٧٠/٢ ، شذرات الذهب ٤٥/٦ - ٤٦ .

الأسرة كانت شديدة الاهتمام بالعلم ، مما كان له أثره البالغ في اتجاه ابن تيمية الى العلم و نبوغه في شتى مجالاته .

ولم يكن للشيخ ابن يرثه ويرث آل تيمية علما وفضلا ، لأنه - كما يذكر المترجمون له - لم يتزوج و لا تسرى ،(١)

(٦) صفاته و أخلاقه :

كان شيخ الاسلام ابن تيمية أبيض ، أسود الرأس و اللحية ، قليل الشيب ، شعره الى شحمة أذنيه ، كأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال ، بعيد ما بين المنكبين ، جهوري الصوت ، فصيح اللسان ، سريع القراءة ، تعتريه حدة ثم يقهرها بحلم و صفح .(٢)

و كان رحمه الله حاضر البديهة ، قوي الذاكرة ، متواضعا ، كريما ، شجاعا ، قوي النفس ، صالحا ، برًّا بوالديه ، صاحب صدق واخلاص ، و عفة وصيانة ، مقتصدا في المأكل و الملبس ، تقيا ، ورعا ، عابدا ، زاهدا ، صواما ، قواما ، ذاكرا الله تعالى في كل أمر و على كل حال ، رجاعا الى الله في سائر الأحوال و القضايا ، وقافا عند حدود الله تعالى و أوامره و نواهيه ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، ميالا الى نفع الخلق والاحسان اليهم ، شغوفا الى العلم والمطالعة .(٣)

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٥/٢ ، تاريخ ابن الوردي ٢٨٩/٢ .

(٢) انظر: تاريخ ابن الوردي ٢٨٩/٢ ، الوافي بالوفيات ١٨/٧ ، الدرر الكامنة ١٦١/١ ، فوات الوفيات ٧٥/١ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٥/٢ .

(٣) انظر: الأعلام العلية ص ٤١ و ٤٤ و ٤٧ و ٥١ و ٥٩ و ٦٣ ، فوات الوفيات ٧٤/١ و ٧٥ ، العقود الدرية ص ٥ و ٦ و ٧ ، تاريخ ابن الوردي ٢٨٧/٢ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٠/٢ و ٣٩٥ ، شذرات الذهب ٨١/٦ ، الدرر الكامنة ١٦١/١ ، ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية لمحمد كرد على ص ١٠ - ١١ .

(٧) نبذة موجزة من حيـــاته :

ان حياة الشخص يمكن أن تقسم الى مراحل بحيث تمتاز كل مرحلة من غيرها بميزتها الخاصة. وهكذا كانت حياة شيخ الاســـلام تقى الدين رحمه الله. وقد قسمتها الى أربع مراحل آتيـــة :

المرحلة الأولى :

وتبدأ هذه المرحلة من مولده الى سنة ٦٧٨ تقريبا ، وتتمـــيز هذه المرحلة بالدراســة وتلقى العلوم.

وقد هاجر به والده الى الشام عند جور التتــار سنة ٦٦٧ [(١)]، فما أن استقر المقام بعائلته فى دمشق ، وهو مازال غلاما يافعـــا فى باكورة الصبا ، اذلم يكن يتجاوز السابعة من عمره ، حتى انصـــرف الى تحصـيل العلوم. فعنى بدراسة الحديث وتلقيه من رجاله ، وقرأ بنفســه الكثير، ولازم السماع مدة سنين ، وانتقــى ونسخ عدة أجزاء ، وتعلـــم الخط والحساب ، وحفظ القرآن الكريـــم ، ثم أقبل على الفقه فأخـــذه عن والده وغيره حتى برع فيه ، وقرأأياما فى العربية على ابن عبد القوى[(٢)] حتى فهمها ، ثم أخذ كتاب سيبـــويه فتأمله ففهمه ، وأقبل على التفســـير

---

(١) البداية والنهاية : ٢٢٥/١٣ .

(٢) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القوى بن بدران بن عبد الله ، المقدسى المرداوى الحنبلى. فقيه محدث نحوى. ولد سنة ٦٠٣ هـ ، وتوفى سنة ٦٩٩ هـ . انظر، فى ترجمته : الذيل على طبقات الحنابلة ٣٤٢/٢ ـ ٣٤٣، شذرات الذهب ٤٥٢/٥ ـ ٤٥٣ ، الأعـــلام ٢١٤/٦ ، معجـــم المؤلفين ١٨٥/١٠ .

اقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق ، و أحكم أصول الفقه و الفرائض وغير ذلك من العلوم ، و نظر فى علم الكلام و الفلسفة و برز فى ذلك على أهلـه و رد على أكابرهم ، كل هذا و هو ابن بضع عشرة سنة .(١)

المرحلة الثانية :

و تشمل هذه المرحلة الفترة الممتدة ما بين سنة ٦٧٩ الى سنة ٦٩٧ ، و تتميز بدوره الفعال فى المجال العلمى ، حيث تأهل للفتوى و التدريس ، و شرع فى الجمع و التأليف ، وله من العمر تسع عشرة سنة .(٢)

وفى مستهل سنة ٦٨٣ خلف والده فى وظائفه بعد وفاته ، فتولى التدريس بدار الحديث السكرية التى بالقصاعين ، ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع الأموى بعد صلاة الجمعة على منبر قد هيُء له لتفسير القرآن الكريم ، فشرع من أول القرآن ، وكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الغفير ، و استمر على ذلك مدة سنين متطاولة .(٣)

وفى سنة ٦٩٢ أدى رحمه الله تعالى مناسك الحج.(٤)

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ ١٤٩٧/٤ ، العقود الدرية ص ٤ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٨/٢ ، فوات الوفيات ٧٤/١ ، شذرات الذهب ٨٠/٦ - ٨١ ، البداية والنهاية ١٣٧/١٤ ، تاريخ ابن الوردى ٢٨٦/٢.

(٢) انظر: العقود الدرية ص ٥ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٨/٢ .

(٣) انظر: البداية والنهاية ٣٠٣/١٣ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٨/٢ ، شذرات الذهب ٨١/٦ .

(٤) البداية والنهاية ٣٣٣/١٣ .

ثم في سنة ٦٩٥ تولى التدريس في المدرسة الحنبلية عوضا عن الشيخ زين الدين ابن المنجى[١] المتوفى.[٢]

المرحلة الثالثة :

وهذه المرحلة من سنة ٦٩٨ الى سنة ٧٠٥ ، و تمثل هذه المرحلة في رأيي بداية حركته الاصلاحية و حياته الجهادية.

ففي سنة ٦٩٨ ألف رحمه الله عقيدته الحموية جوابا لسؤال ورد من أهل حماة في الصفات [٣]، كما ألف أيضا عقيدته الواسطية اجابة لطلب بعض قضاة واسط من أصحاب الشافعي[٤]، وقد رجح فيهما مذهب السلف على مذهب المتكلمين ، فجرى بسبب ذلك أمور و محن .[٥]

و في سنة ٦٩٩ اشترك الشيخ في وفد من أعيان البلد لمقابلة قازان ملك التتار ، لعقد مباحثات معه ، لأخذ الأمان لأهل دمشق.

---

(١) زين الدين أبو البركات بن المنجى بن عثمان بن أسعد بن المنجى ابن بركات بن المتوكل التنوخي، المعرى الأصل، الدمشقي. شيخ الحنابلة وعالمهم. ولد سنة ٦٣١ هـ. كان عالما بفنون شتى من الفقه و الأصلين والنحو والتفسير. أخذ عنه الشيخ ابن تيمية الفقه ، و خلفه في التدريس بعد وفاته. انظر: البداية والنهاية ٣٤٥/١٣ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٣٢/٢ - ٣٣٣، معجم المؤلفين ١٩٤/٤ .

(٢) البداية والنهاية ٣٤٤/١٣ .

(٣) نفس المرجع ٤/١٤ .

(٤) انظر: العقود الدرية ص ١٣٧ ، و مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١٦٣/٣ و ١٦٤ و ١٩٤ و ٢٠٣ .

(٥) انظر: البداية والنهاية ٤/١٤ ، العقود الدرية ص ١٣٢ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٦/٢ ، الدرر الكامنة ١٥٥/١ ، البدر الطالع ٦٥/١ .

كما اشترك فى قتال أهل جبال الجرد وكسروان بسبب فساد نيتهم وعقائدهم ومعاملتهم لجيش المسلمين حين اجتازوا ببلادهم لما كسرهم التتار.[١]

وفى سنة ٧٠٠ وردت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام وأنهم عازمون على دخول مصر، فانزعج الناس لذلك وشرعوا يتركون البلاد هربا من التتار، فحرض شيخ الاسلام على القتال ورغب المسلمين فى ذلك، ثم سافر بنفسه الى مصر راكبا على البريد يستحث السلطان على الجهاد.[٢] وقد باشر رحمه الله بنفسه الجهاد ضد التتار فى وقعة شقحب فى رمضان سنة ٧٠٢، وبشر جيش المسلمين بالنصر فى هذه المرة وأفتى لهم بالفطر مدة قتالهم.[٣]

هذا وقد قام الشيخ أيضا بمحاربة المنكرات وقمع البدع والشركيات. نفى سنة ٦٩٩ دار هو وأصحابه على الخمارات والحانات فكسروا آنية الخمور وأراقوها وعزروا جماعة من أصحاب الحانات المتخذة لهذه الفواحش.[٤]

وفى سنة ٧٠٤ لما أحضر اليه شيخ كان يلبس دلقا كبيرا متسعا جدا يسمى المجاهد ابراهيم القطان، وكان ذا شعر طويل وأظفار طوال وشارب مسبل على فمه، يكثر من كلام الفحش وأكل ما يغير العقل من الحشيشة وما لا يجوز من المحرمات، فأمر ابن تيمية بتقطيع ذلك الدلق وحلق رأسه وشاربه وتقليم أظافره واستتابه من كلام الفحش

---

(١) انظر : البداية والنهاية ٧/١٤ و ١٢ .

(٢) انظر: نفس المرجع ١٤/١٤ و ١٥ .

(٣) انظر عن وقعة شقحب : نفس المرجع ٢٥/١٤ - ٢٦ .

(٤) نفس المرجع : ١١/١٤ .

و أكل الحرام .[1]

كما ذهب الشيخ ابن تيمية مع جماعة من الحجارين الى صخرة كانت بنهر قلوط ، يزورها الناس و ينذرون لها النذور ولهم فيها اعتقاد فقطعها و أراح المسلمين منها و من الشرك بها ، و بنى مسجد النارنج.[2]

قال ابن كثير رحمه الله : " وبهذا و أمثاله حسدوه و أبرزوا له العداوة ، وكذلك بكلامه بابن عربى و أتباعه ، فحسد على ذلك و عودى ، و مع هذا لم تأخذه فى الله لومة لائم ، و لا بالى ، ولم يصلوا اليه بمكروه ، و أكثر ما نالوا منه الحبس مع أنه لم ينقطع فى بحث لا بمصر ولا بالشام ، و لم يتوجه لهم عليه ما يشين، و انما أخذوه و حبسوه بالجاه ..." .[3]

وفى سنة ٧٠٥ أبطل الشيخ تقى الدين حيل أهل الطرق التى يتحيلون بها فى دخول النار وغيره ، وألزمهم باتباع الشريعة .[4] كما عقدت فى هذه السنة مجالس ثلاثة عند نائب السلطنة للبحث عن عقيدة الشيخ الواسطية . وقد انتهت هذه المجالس بالرضى بالعقيدة ، وأنها عقيدة سنية سلفية .[5]

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٣٣/١٤.

(٢) انظر: نفس المرجع ٣٤/١٤ ، شذرات الذهب ٩/٦ .

(٣) البداية والنهاية ٣٤/١٤ .

(٤) نفس المرجع ٣٦/١٤ ، العقود الدرية ص ١٣١ .

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١٦٠/٣ ـ ١٩٣، ١٩٤ ـ ٢٠١ ، ٢٠٢ ـ ٢١٠ ، العقود الدرية ص ١٣٧ ـ ١٣٨ ، ١٤٠ ـ ١٦٤، البداية والنهاية ٣٦/١٤ ـ ٣٧ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٦/٢ .

المرحلة الرابعة :

وهي من رمضان سنة ٧٠٥ الى أن لقى ربه الأعلى سنة ٧٢٨ .

و هذه المرحلة عبارة عن امتداد للمرحلة السابقة ، وقد تميزت هذه الفترة بكثرة تعرضه للمحن ، منها تنقله رحمه الله بين غياهب السجون حسدا وظلما .

ففي رمضان سنة ٧٠٥ جاء كتاب من السلطان يطلب منه الذهاب الى مصر ، فلما وصل مصر عقدله مجلس بالقلعة اجتمع فيه القضاة وأكابر الدولة ، فادعوا عليه أشياء في العقيدة ولم يسمح له بالدفاع عن نفسه ، بل أودع الحبس ، وقرئ كتاب من السلطان في الجامع الأموي بالحط على الشيخ تقي الدين و مخالفته في العقيدة ، وأن ينادى ذلك في البلاد ، و ألزم أهل مذهبه بمخالفته.[1]

ولم يزل الشيخ في الحبس الى أن أخرج منه في ربيع الأول سنة ٧٠٧ . وفي شوال منها شكا الصوفية من الشيخ تقي الدين أنه تكلم في ابن عربي و غيره من مشايخ الصوفية . فعقد له مجلس وادعى عليه بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء ، لكنه اعترف أنه قال : " لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم ، استغاثة بمعنى العبادة ، ولكن يتوسل به ".[2] الا أن حساده لا يرضون الا بحبسه ، فحبس الى أن أخرج من الحبس في مستهل سنة ٧٠٨ .[3]

الا أنه في صفر سنة ٧٠٩ سيّر الشيخ الى الاسكندرية و حبس

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٣٨/١٤، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٧/٢ ، العقود الدرية ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٨/٢ ، البداية والنهاية ٤٥/١٤ .

(٣) البداية والنهاية ٤٧/١٤ .

بالثغر ثمانية أشهر الى أن عاد الملك الناصر[1] الى السلطنة فأمر باحضاره فاجتمع به فى ثامن عشر شوال سنة ٧٠٩، فأكرمه و أصلح بينه و بين القضاة، ثم سكن بالقاهرة وعاد الى بث العلم ونشره.[2]

وفى سنة ٧١٢ خرج الشيخ من مصر بصحبة السلطان، بنية الغزاة، فلما تحقق عدم الغزاة و أن التتار رجعوا الى بلادهم فارق الجيش من غزة، و زار القدس و أقام به أياما ثم عاد الى دمشق فلم يزل ملازما بها لنشر العلم وتصنيف الكتب وافتاء الناس.[3]

ولكن فى سنة ٧١٨ ورد كتاب من السلطان منع فيه الشيخ تقى الدين من الافتاء فى مسألة الحلف بالطلاق، الا أنه عاد الى الافتاء بها وقال: " لا يسعنى كتمان العلم"، و استمر الحال الى أن حبس فى القلعة فى رجب سنة ٧٢٠، و بقى فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوما، ثم خرج من القلعة فى يوم عاشوراء سنة ٧٢١ و رجع الى عادته من الاشتغال و التعليم.[4]

---

(١) السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى، أبو الفتح، من كبار ملوك الدولة القلاوونية، له آثار عمرانية ضخمة و تاريخ حافل بجلائل الأعمال. و كان يعظم شيخ الاسلام ابن تيمية، ولد سنة ٦٨٤ هـ، وتوفى سنة ٧٤١ هـ، وتولى السلطنة ثلاث مرات. انظر فى ترجمته: فوات الوفيات ٣٥/٤ - ٣٦، شذرات الذهب ١٣٤/٦، الأعلام ١١/٧.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٤٩/١٤ - ٥٠ و ٥٣ و ٥٤، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٩/٢ - ٤٠٠، العقود الدرية ١٨٠ و ١٨٤ - ١٨٥.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٦٧/١٤، الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٠/٢ - ٤٠١، العقود الدرية ص ١٩٢.

(٤) انظر: البداية والنهاية ٩٧/١٤ و ٩٨، الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠١/٢، العقود الدرية ص ٢١٥ - ٢١٦.

وفى سنة ٧٢٦ ، يوم الاثنين سادس شعبان ، ورد مرسوم من السلطان باعتقاله بقلعة دمشق، ولم يزل رحمه الله معتقلا بها الى أن توفاه الله. وكان هذا الاعتقال سببه فتيا وجدت بخطه فى تحريم السفر واعمال المطى الى زيارة قبور الأنبياء والصالحين.(١)

ومما أسلفت ذكره يتبين لنا أن المرحلتين الأخيرتين من حياة شيخ الاسلام ابن تيمية، قام فيهما بحركته الاصلاحية ونشاطاته الجهادية ، و من العجيب أن هاتين المرحلتين كانتا فى آواخر المائة السابعة وبداية المائة الثامنة، فلعله بذلك من المجددين الذين أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله: " ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها ".(٢)

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٩٧/١٤ و ٩٨ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠١/٢ ، العقود الدرية ص ٢١٨ .

و فتيا شيخ الاسلام فى هذه المسألة ليس فيها منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وانما فيها ذكر قولين فى شد الرحل والسفر الى مجرد زيارة القبور. وزيارة القبور من غير شد رحل اليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى. والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل، بل يستحبها و يندب اليها ، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض الشيخ الى هذه الزيارة فى الفتيا ، ولا قال: انها معصية ، ولا حكى الاجماع على المنع منها. البداية والنهاية ١٢٤/١٤، العقود الدرية ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) رواه أبوداود فى كتاب الملاحم ، باب ما يذكر فى قرن المائة ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه. ٣٨٥/١١ - ٣٨٦ . وهو حديث حسن ، لأن رجال اسناده ثقات الا شراحيل بن يزيد المعافرى ، صدوق. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ٣٤٨/١ .

(٨) وفاتـــــــه :

أجمعت المصادر على أن وفاته كانت ليلة الاثنين ، العشرين من ذى القعدة ، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، بقلعة دمشق ، بالقاعة التى كان معتقلا بها .[1]

وقد مرض رحمه الله قبل وفاته بضعة و عشرين يوما ، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه ولم يفجأهم الا وفاته .[2] وكان يوما مشهودا لم يعهد بدمشق مثله ، و حزر من حضر جنازته من الرجال بستين ألفا وأكثر، الى مائتى ألف ، ومن النساء بخمسة عشر ألفا .[3] ودفن بمقابر الصوفية الى جنب أخيه الامام شرف الدين عبد الله ، رحمهما الله تعالى.[4]

---

(١) تذكرة الحفاظ ١٤٩٧/٤ ، البداية والنهاية ١٣٥/١٤ ، العقود الدرية ص ١٠ و ٢٤٦ ، الأعلام العلية ص ٧٣ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٥/٢ ، الدرر الكامنة ١٦١/١ ، تاريخ ابن الوردى ٢٨٤/٢ ، شذرات الذهب ٨٥/٦ ، النجوم الزاهرة ١٧١/٩ ، البدر الطالع ٧٠/١ .

(٢) شذرات الذهب ٨٥/٦ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٥/٢ ، تاريخ ابن الوردى ٢٨٩/٢ .

(٣) انظر: البداية والنهاية ١٣٦/١٤ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٧/٢ ، شذرات الذهب ٨٦/٦ ، العقود الدرية ص ٢٤٧ ، تاريخ ابن الوردى ٢٨٤/٢ .

(٤) البداية والنهاية ١٣٦/١٤، تذكرة الحفاظ ١٤٩٧/٤، فوات الوفيات ٧٥/١ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٧/٢ ، العقود الدرية ص ٢٤٧ ، شذرات الذهب ٨٦/٦ .

((الفصل الثالث))

ثقافته ومؤلفاته وأقوال العلماء فيه

١ _ ثقافتــــــــــــــه .

٢ _ مؤلفاتـــــــــــه .

٣ _ أقوال العلماء فيــه .

============

الفصل الثالث

ثقافته ومؤلفاته وأقوال العلماء فيه

(١) ثقافته :

نشأ ابن تيمية منذ صغره محبا للعلم ، حريصا على الطلب ، مجدّا على التحصيل ، راتعا في رياض الكتب ، لا يلوى على شيء غير الاشتغال بالعلم ، حتى برع في جوانب شتى من العلوم الاسلامية ، فذاع صيته في العالم ، وبعد ذكره في الآفاق.

و كان نبوغه في مجالات العلوم الاسلامية ، أصولا وفروعا ، محل اعجاب كثير من العلماء ، قديما وحديثا ، حتى ان ابن عبد الهادي[1] ، أحد تلاميذه وصفه بأنه " الامام الرباني، امام الأئمة ، ومفتي الأمة ، و بحر العلوم ، وسيد الحفاظ ، و فارس المعاني والألفاظ ، فريد العصر ، وحيد الدهر ، شيخ الاسلام ، بركة الأنام ، علامة الزمان ، ترجمان القرآن ، علم الزهاد ، وأوحد العباد ، قامع المبتدعين ، و آخر المجتهدين" .[2]

وقد بذل رحمه الله أقصى جهده من أجل تحصيل أكبر قدر من

---

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبدالحميد ابن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي الأصلي ثم الصالحي ، الحنبلي. فقيه مقرئ محدث حافظ ناقد نحوي متفنن . ولد رحمه الله سنة ٧٠٤ هـ ، وتوفي سنة ٧٤٤ هـ . لازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية مدة وقرأ عليه قطعة من الأربعين في أصول الدين للرازي . انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٤٣٦/٢ - ٤٣٩ ، الرد الوافر ص ٢٩ - ٣٠ ، شذرات الذهب ١٤١/٦ .

(٢) العقود الدرية ص ٣، الرد الوافر ص ٣٠ .

العلم ، لذلك نراه تتلمذ على كثير من الشيوخ الذين عاصروه . وقد ذكر بعض المصادر أن شيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ.(١)

ولكي تتضح لنا ثقافته بغزارتها وسعتها ، أستعرض بعض الفنون التي برع فيها .

أ - العقيدة :

وقد تمتع شيخنا في العقيدة بثقافة عالية ، لم يكن له نظير من علماء عصره في هذا المجال. فكان رحمه الله صاحب معرفة بالملل والنحل والفرق الكلامية والمذاهب الفلسفية التي تشعبت آراؤها واختلفت أقوالها .

قال عنه البرزالي(٢): "... وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام ، فلا أعلم له فيه نظيرا ...".(٣)

وقال الذهبي(٤): " وأما أصول الدين ومعرفة أقوال الخوارج

---

(١) انظر: العقود الدرية ص ٤ و ١٩، الرد الوافر ص ٣٣ .

(٢) علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يداس البرزالي، الاشبيلي الأصل، الدمشقي، الشافعي . محدث حافظ مؤرخ فقيه . ولد سنة ٦٦٥ هـ وتوفي سنة ٧٣٩ هـ . انظر في ترجمته : البداية والنهاية ١٨٥/١٤ ، الرد الوافر ص ١١٩، الأعلام ١٨٢/٥، طبقات الشافعية ٢٤٦/٦ - ٢٤٧، شذرات الذهب ١٢٢/٦ .

(٣) الرد الوافر ص ٣٣ ، العقود الدرية ص ١٩ .

(٤) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني، الفارقي الأصل، الدمشقي، الذهبي، الشافعي . محدث حافظ مؤرخ . وكان آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل، عالما بالتفريع والتأصيل، اماما في القراءات، فقيها في النظريات ، له دربة بمذاهب الأئمة وأرباب المقالات . ولد سنة ٦٧٣ هـ ، وتوفي سنة ٧٤٨ هـ. انظر في ترجمته : البداية والنهاية ٢٢٥/١٤، طبقات الشافعية ٢١٦/٥ - ٢١٧، الرد الوافر ص ٣١ - ٣٦ ، شذرات الذهب ١٥٣/٦ ، معجم المؤلفين ٢٨٩/٨ - ٢٩٠ .

والروافض والمعتزلة والمبتدعة، فكان لا يشق غباره ...". (١)

ولم يقف به الأمر عند حد الاطلاع والمعرفة، بل تعداه الى دراستها على ضوء الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة، فوجد كثيرا منها بمنأى عن العقيدة الاسلامية الصافية الأصيلة، فألف في ذلك مؤلفات كثيرة، وكتب ورسائل وافرة، وأفتى فتاوى عديدة دعا فيها الى العودة الى الكتاب والسنة ونصر فيها الطريقة السلفية، لا يخاف في الله لومة لائم.

قال الذهبي: "... وعرف أقوال المتكلمين، ورد عليهم، ونبه على خطئهم، وحذر منهم، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين ...". (٢)

وقال أيضا في موضع آخر: "ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات، وأمور لم يسبق اليها ...". (٣)

وبالجملة، فقد كان للشيخ اطلاع واسع، ومعرفة دقيقة في هذا العلم، ويكفينا دليلا على ذلك، تلك المصنفات التي خلفها، فانه لم يكد يخلو مصنف من مصنفاته من مادة العقيدة.

ب - التفسير:

وقد أولاه الشيخ تقي الدين عناية فائقة، حتى أصبح فيه اماما ذا مكانة كبيرة، حيث لقبه الذهبي "حبر القرآن" (٤)، وقال عنه:

---

(١) الوافي بالوفيات ١٦/٧.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٩/٢، شذرات الذهب ٨٢/٦.

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٤/٢، الرد الوافر ص ٣٤.

(٤) الرد الوافر ص ٣٣.

"... وكان آية من آيات الله فى التفسير و التوسع فيه ، لعله يبقى فى تفسير الآية المجلس و المجلسين ".[1] و قال أيضا : " وأما التفسير فمسلم اليه ، وله فى استحضار الآيات من القرآن - وقت اقامة الدليل بها على المسألة - قوة عجيبة ، واذا رآه المقرئ تحير فيه ، ولفرط امامته فى التفسير وعظمة اطلاعه بيّن خطأ كثير من أقوال المفسرين ، ويوهى أقوالا عديدة ، و ينصر قولا واحدا موافقا لما دل عليه القرآن و الحديث ".[2]

و قال عنه البرزالى: " ... وكان اذا ذكر التفسير بهت الناس من كثرة محفوظه و حسن ايراده ، واعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح و التضعيف و الابطال، وخوضه فى كل علم ، كان الحاضرون يقضون منه العجب ... ".[3]

و كان الشيخ ابن تيمية رحمه الله يفسر القرآن الكريم أيام الجمع فى الجامع الأموى على كرسي هيأله عن ظاهر قلبه ،[4] مما يدل على تبحره فى هذا العلم .

ولم يكتف رحمه الله بالتدريس و التعليم فقط ، بل اتجه كذلك الى الكتابة والتأليف فى هذا العلم . وذكر ابن عبد الهادى أن ما جمعه فى تفسير القرآن العظيم و ماجمعه من أقوال مفسرى السلف الذين

---

(١) الوافى بالوفيات ١٧/٧ .

(٢) العقود الدرية ص ٢٠ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩١/٢ .

(٣) العقود الدرية ص ١٠ - ١١ ، الرد الوافر ص ١٢١ .

(٤) انظر: البداية والنهاية ٣٠٣/١٣ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٨/٢، شذرات الذهب ٨١/٦ ، تاريخ ابن الوردى ٢٨٦/٢ .

يذكرون الأسانيد فى كتبهم كان ذلك فى أكثر من ثلاثين مجلدا ، وقد بيض أصحابه بعض ذلك ، و كثيرا منه لم يكتبوه بعد.(١)

وكان رحمه الله يقول: " ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم ...".(٢) وهذا يدل ، بلا شك ، على سعة اطلاعه وعمق ثقافته فى هذا الجانب .

وقصارى القول ، فان ابن تيمية كان بارعا فى التفسير متمتعا فيه بثقافة واسعة ، ولذلك لما توفى رحمه الله نودى بأقص الصين للصلاة عليه يوم الجمعة : " الصلاة على ترجمان القرآن".(٣) مما يدل على شهرته بالتفسير و امامته فيه .

ج - الحديث :

وكان شيخ الاسلام ابن تيمية صاحب معرفة واسعة فى الحديث و علومه ، كما قال عنه الذهبى :

" وله خبرة تامة بالرجال ، وجرحهم وتعديلهم ، وطبقاتهم ، ومعرفة بفنون الحديث ، و بالعالى والنازل، وبالصحيح والسقيم ، مع حفظه لمتونه الذى انفرد به ، فلا يبلغ أحد فى العصر رتبته ولا يقاربه . و هو عجيب فى استحضاره ، واستخراج الحجج منه ، واليه المنتهى فى عزوه الى الكتب الستة والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ". (٤)

---

(١) العقود الدرية ص ٢١ .

(٢) نفس المرجع ص ٢١ .

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٧/٢ ، الرد الوافر ص ١٠٦ .

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩١/٢ ، العقود الدرية ص ٢٠ .

وقال عنه البرزالي: " ... وأما الحديث فكان حامل رايتـــه ، حافظا له ، مميزا بين صحيحه وسقيمه ، عارفا برجاله ، متضلعـــا من ذلك ... ".(١)

فهذه النصوص تدل على غزارة علم ابن تيمية في الحديث وسعـة معرفتـــه في ذلك .

د - الفقـــــه :

و أحرز رحمه الله في هذا العلم قصب السبق، فقد فاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب و فتاوى الصحابة والتابعين بحيث أنـه اذا أفتى لم يلتزم بمذهب معين ، بل بما يقوم دليله عنده.(٢) ولذلـــك يقال : " انه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانـه و غيـــره ".(٣)

وكانت ثقافته في هذا الجانب محل اعجاب كثير من العلمـــاء ، حتى قال كمال الدين ابن الزملكاني(٤): " اجتمعت فيه شروط الاجتهـــاد على وجهها ".(٥) وقال الذهبي: "... وان عدّ الفقهاء فهو مجتهـــدهم

---

(١) البداية والنهاية ١٣٧/١٤ .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٩/٢ ، شذرات الذهب ٨١/٦ .

(٣) البداية والنهاية ١٣٧/١٤ .

(٤) كمال الدين أبو المعالي محمد بن علي بن عبدالواحد بن عبد الكريم الزملكاني الأنصاري السماكي الدمشقي ، كبير الشافعية في عصره . ولد سنة ٦٦٧ هـ ، وتوفي سنة ٧٢٧ هـ . كان من أذكياء زمانه ، فصيحا مناظرا ، تولى مناظرة شيخ الاسلام ابن تيمية غيرما مرة و مع ذلك كان يعترف بامامته ولا ينكر فضله . انظرفي ترجمته : البداية والنهاية ١٣١/١٤ - ١٣٢ ، فوات الوفيات ٧/٤ - ١١ ، طبقات الشافعية ٢٥١/٥ - ٢٥٩ ، الردالوافر ص ٥٦ - ٥٨، معجم المؤلفين ٢٥/١١ .

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٠/٢ ، تاريخ ابن الوردي ٢٨٦/٢ .

المطلق ٠٠٠٠". [1] وهذا انما يدل على المكانة العالية التى كان يحتلها ابن تيمية فى الفقه .

ولذلك نجده قد أفتى فى بعض الأحكام بما أدى اليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة وفى بعضها قد يفتى بخلافهم أو بخلاف المشهور من مذاهبهم . ومن اختياراته التى خالفهم فيها ، أوخالف المشهور من أقوالهم ، على سبيل المثال :

- القول بقصر الصلاة فى كل ما يسمى سفرا ، طويلا كان أوقصيرا ، كما هو مذهب الظاهرية وقول بعض الصحابة .

- والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء ، كما يشترط للصلاة ، كما هو مذهب ابن عمر واختيار البخارى أيضا .

- والقول بأن من أكل فى شهر رمضان معتقدا أنه ليل فبان نهارا ، لا قضاء عليه ، كما هو الصحيح عن عمربن الخطاب رضى الله عنه واليه ذهب بعض التابعين وبعض الفقهاء بعدهم .

- ومن أقواله المعروفة المشهورة التى جرى بسبب الافتاء بها محن : قوله بالتكفير فى الحلف بالطلاق ، وأن الطلاق الثلاث لا يقع الا واحدة .

الى غير ذلك من اختياراته وفتاواه فى الفقه . [2]

هـ - التاريخ :

وهذا العلم أيضا كان لشيخ الاسلام ابن تيمية نصيب الأسد ،

---

(١) العقود الدرية ، ص ١٩ .

(٢) انظر : نفس المرجع ص ٢١٢ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٤٠٤-٤٠٥ ، شذرات الذهب ٦/٨٤-٨٥ .

ومن كان له اهتمام بشؤون المسلمين فلا بد أن يكون لديه معرفة واسعة بسيرة نبيهم و تاريخ سلفهم، و لاينبغى اغفال هذا العلم لأنه وشيجة بين المسلمين ماضيهم وحاضرهم ·

قال عنه الذهبى: " وأما معرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب ".(١)

وقال البزار(٢): " أما معرفته و بصره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وقضاياه، ووقائعه وغزواته، وسراياه وبعوثه، وماخصه الله تعالى من كراماته و معجزاته، ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه، والمنقول عن الصحابة رضى الله عنهم فى أقوالهم وأفعالهم و قضاياهم وفتاويهم وأحوالهم وأحوال مجاهداتهم فى دين الله وما خصوا به من بين الأمة، فانه كان رضى الله عنه من أضبط الناس لذلك، و أعرفهم فيه، وأسرعهم استحضارا لما يريده منه ...".(٣)

فهذه النصوص من كلام معاصريه ترينا مدى سعة ثقافته فى التاريخ ·

---

(١) انظر: العقود الدرية ص ١٩ ·

(٢) سراج الدين أبوحفص عمر بن على بن موسى بن الخليل البغدادى الأزجى البزار، الحنبلى· فقيه محدث، كان حسن القراءة للقرآن والحديث· صحب الشيخ ابن تيمية و أخذ عنه· ولد رحمه الله سنة ٦٨٨ تقريبا، وتوفى سنة ٧٤٩ هـ · انظرفى ترجمته: الذيل على طبقات الحنابلة ٤٤٤/٢ ـ ٤٤٥، الرد الوافر ص ١١٧ ، شذرات الذهب ١٦٣/٦ ، معجم المؤلفين ٣٠٢/٧ ·

(٣) الأعلام العلية للبزار ص ٢٤ ·

و - اللغـــة :

و هذا العلم أيضا كان الشيخ تقي الدين أتقنه وتضلع منـه وبرع فيه ، كما قال عنه الذهبي: "... وله يد طولى في معرفة العربيـة والصرف و اللغـة ...".(١)

ولا أدل على ذلك مما جرى بينه وبين أبي حيان النحوي (٢) لما اجتمع به في مصر، فقد تكلم أبو حيان مع الشيخ تقي الدين ابن تيميـة في مسألة في النحو، فقطعه ابن تيمية فيها وألزمه الحجة ، فذكر أبـو حيان كلام سيبويه ، فقال ابن تيمية - يفشر سيبويه - :" أسيبويه نبي النحو أرسله الله به حتى يكون معصوما ؟ سيبويه أخطأ في القرآن في ثمانـين موضعا ، لا تفهمها أنت ولا هو".(٣) وهذا ، بلا شك ، يدل على عمق فهمه ودقـة معرفته في اللغـة .

و مما سبق ذكره يتضح لنا أن شيخ الاسـلام ابن تيميـة كان يتمتع بثقافة عالية ويلمّ بجوانب شتى من العلوم الاسلامية .

---

(١) العقود الدرية ص ١٩ .

(٢) أثير الدين أبوحيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي الجياني الغرناطي ثم المصري الظاهري . نحوي ، لغوي ، أديب ، مفسر، مقرئ ،مؤرخ. ولد سنة ٦٥٤، وتوفى سنة ٧٤٥ هـ . انظر في ترجمته : طبقات الشافعية ٣١/٦ - ٤٤ ، الرد الوافر ٦٢ - ٦٧ ، فوات الوفيات ٧١/٤ - ٧٩ ، شذرات الذهب ١٤٥/٦ - ١٤٧ ، معجم المؤلفين ١٣٠/١٢ .

(٣) الرد الوافر ص ٦٥ ، الشهادة الزكية للكرمي ص ٣٢ ، وانظـر: الدرر الكامنة ١٦٢/١ - ١٦٣ ، البدر الطالع ٧٠/١ .

(٢) مؤلفـــــاته :

لقد كان لشيخ الاسلام ابن تيمـيـة نتاج علمى وافر، أغنـى به المكتبة الاسـلامية . ولا غرابة فى ذلك ، فانه كان واسع الثقافة ، بعيد المعرفة ، غزير المادة . وقد شرع رحمه الله فى الجمع والتأليف وله مـن العمر حوالى تسع عشرة سـنة ،[١] وعكف على ذلك الى أن توفاه الله تعالى، حتى انه لما حبس فى آخر أيامه ، وأخرج من عنده كل شئ من القلم والدواة والورق ، كتب رحمه الله بالفحـــم .[٢]

وكان للشيخ من المؤلفات ما لا ينضبط ، مع أن أكثرها انمـا أملاها من حفظه ، وكثير منها ألفه فى الحبس ، وليس عنده ما يحتاج اليه من الكتب للمراجعة .[٣]

قال الذهبى : " ويكتب فى اليوم والليل من التفسير، أو من الفقه ، أو من الأصلين ، أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحـوا من أربعة كراريس أو أزيد . وما أبعد أن تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمـائة مجلدة . وله فى غير المسألة مصنف مفرد فى مجلد" .[٤] وقال فى موضع آخر: " جمعت مصنفات شيخ الاسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيميـة رضى الله عنه ، فوجدتها ألف مصنف ، ثم رأيت له أيضا مصنفـــات أخر" .[٥]

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢٨٦/٢ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٩/٢ ، العقود الدرية ص ٥ .

(٢) انظر: العقود الدرية ص ٢٤٢ .

(٣) انظر: نفس المرجع ص ٢١ .

(٤) نفس المرجع ص ٢٠ .

(٥) الرد الوافـر ص ٣٥ .

وقال البرزالي: "... ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر...".(١)

وقال البزار: " وأما مؤلفاته و مصنفاته فانها أكثر من أن أقدر على احصائها ، أو يحضرني جملة أسمائها ، بل هذا لا يقدر عليه غالبا أحد، لأنها كثيرة جدّا ، كبارا وصغارا ، وهي منشورة في البلدان، فقلّ بلد نزلته الا ورأيت فيه من تصانيفه ".(٢)

فهذه النصوص التي أوردتها من كلام العلماء المعاصرين له تدل على ماكانت عليه مؤلفاته من الوفرة والكثرة. وهذه المؤلفات شملت كل الميادين الاصلاحية التي بذل شيخ الاسلام جهده فيها .

و من مؤلفاته رحمه الله، أسوقها على سبيل المثال لا الحصر، هي :(٣)

أ - في العقيدة :

ولقد أكثر شيخ الاسلام التأليف في هذا العلم فضلا عن غيره من بقية العلوم ، لذا لم نكد نجد كتابا من كتبه ورسالة من رسائله خالية من مادة العقيدة التي هي أساس بناء الشخصية المسلمة .

وقد سأله الحافظ أبوحفص البزار عن سبب ذلك و التمس منه تأليف نص في الفقه يجمع اختياراته وترجيحاته ، ليكون عمدة في الافتاء ،

---

(١) الرد الوافر ص ٣٣ .

(٢) الأعلام العلية ص ٢٥ .

(٣) انظر: أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن قيم الجوزية ، الوافي بالوفيات ٢٣/٧ - ٣٠ ، العقود الدرية ص ٢٠ و ٢٢ - ٢٣ و ٢٦ - ٤٩ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٣/٢ - ٤٠٤ ، الأعلام العلية ص ٢٦ - ٢٧ .

فقال له فى معناه :

" الفروع أمرها قريب ، فاذا قلد المسلم فيها أحد العلماء المقلدين جاز له العمل بقوله ، مالم يتيقن خطأه . وأما الأصول فانى رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء كالمتفلسفة،والباطنية ، والملاحدة ، والقائلين بوحدة الوجود، والدهرية ، والقدرية ، والنصيرية ، والجهمية ، والحلولية ، والمعطلة ، والمجسمة ، والمشبهة ، والراوندية ، والكلابية ، والسلمية ، وغيرهم من أهل البدع، قد تجاذبوا فيها بأزمة الضلال، وبان لى أن كثيرا منهم انما قصد ابطال الشريعة المقدسة المحمدية ، الظاهرة على كل دين، العلية . وأن جمهورهم أوقع الناس فى التشكيك فى أصول دينهم ، ولهذا قلّ أن سمعت أو رأيت معرضا عن الكتاب والسنة ، مقبلا على مقولاتهم الا وقد تزندق أو صار على غير يقين فى دينه أو اعتقاده . فلما رأيت الأمر على ذلك ، بان لى أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم وقطع حجتهم وأضاليلهم أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم ويزيّف دلائلهم ، ذبّا عن الملة الحنيفية ، والسنة الصحيحة ...".(١)

فما نقله البزار يعطينا فكرة عن سبب اهتمامه رحمه الله بالتأليف فى العقيدة وهو بيان الحق فيها والدفاع عنها ، لأن صفاء العقيدة ينبنى عليه صحة التصور للاله والانسان والكون ، ومنها ينطلق الانسان فى تصرفه ونشاطه الذى يحقق رضا الله ولايخرج عن منهاجه .

ومن المؤلفات التىخلفها فى العقيدة :

كتاب " الايمان" مجلد، كتاب " الاستقامة " مجلدان ، كتاب "جواب الاعتراضات المصرية على الفتاوى الحموية " أربع مجلدات ، كتاب

---

(١) الأعلام العلية ص ٣٤ - ٣٥ .

" درء تعارض العقل والنقل" أربع مجلدات كبار وبعض النسخ أكثر من ذلك [١]، كتاب " الجواب عما أورده كمال الدين ابن الشريشي على كتابه درء تعارض العقل والنقل" مجلد، كتاب " بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية " ست مجلدات ، كتاب " منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية " أربع مجلدات ، كتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" مجلدان ، كتاب تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل" مجلد، كتاب " شرح أول المحصل للرازي" مجلد، كتاب " شرح مسائل من الأربعين للرازي" مجلدان، كتاب " شرح أول كتاب الغزنوي في أصول الدين" مجلد، كتاب " شرح العقيدة الأصفهانية " مجلد، كتاب " اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم " مجلد، كتاب " الرد على البكري في مسألة الاستغاثة " مجلد، كتاب " الرد على الأخنائي في مسألة الزيارة " مجلد، كتاب " الصارم المسلول على شاتم الرسول" مجلد، كتاب " مسائل الاسكندرية في الرد على الملاحدة و الاتحادية " ويعرف بالسبعينية " لاشتمالها على الرد على ابن سبعين وأضرابه ، مجلد، كتاب " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" مجلد، كتاب " الرد على المنطقيين" مجلد كبير، كتاب " نقض المنطق " مجلد، كتاب " التحفة العراقية في الأعمال القلبية " مجلد، كتاب " الرد على أهل كسروان" مجلدان ، كتاب " الصفدية " في الرد على الفلاسفة .

وله فتاوى ورسائل وقواعد، منها :

---

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، على نفقة جامعة الامام محمدبن سعود الاسلامية بالرياض ، في عشرة أجزاء، والجزء الحادي عشر فهرس عام .

" الفتوى الحموية "، " المراكشية "، " الواسطية "، " التدمرية "، " الكيلانية "، " البغدادية "، " الرسالة الأزهرية "، وغيرها .

ب - في التفسير :

وله في التفسير مؤلفات كثيرة وقواعد وأجوبة وغير ذلك ، بحيث اذا جمعت بلغت مجلدات كثيرة ، منها :

"قاعدة في فضائل القرآن" ، " قاعدة في أقسام القرآن"، " قاعدة في أمثال القرآن"، " قاعدة في الاستعاذة "، " قاعدة في البسملة والكلام على الجهر بها "، " قاعدة في قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)"، " تفسير سورة المائدة" مجلد لطيف ،" تفسير سورة يوسف" مجلد كبير، " تفسير سورة النور" مجلد لطيف ، " تفسير سورة القلم " مجلد ،" تفسير سورة الكافرون" مجلد، " تفسير سورة الاخلاص " مجلد ، "تفسير سورتي المعوذتين" .

ج - في الفقه وأصوله :

وقد ترك ابن تيمية رحمه الله في هذا المجال آثارا جليلة منها :

" السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية "، " الحسبة في الاسلام "، " رفع الملام عن الأئمة الأعلام "، " الرد الكبير على من اعترض عليه في مسألة الحلف بالطلاق" ثلاث مجلدات ، " تحقيق الفرقان بين التطليق والأيمان"، " شرح العمدة للشيخ موفق الدين" كتب منه أربع مجلدات ، " تعليقة على المحرر" لجدّه ، في عدة مجلدات ، " ابطال الحيل ونكاح المحلل"، " قواعد في السنة والبدعة "، " قاعدة في

الاجماع"، " قاعدة فى تقرير القياس"، " قاعدة فى الاستحسان"، " قاعدة فى الاجتهاد والتقليد فى الأحكام"، " الماردانية"، " الطرابلسية".

وقد جمع بعض أصحابه قطعة كبيرة من فتاويه الفروعية وبوّبها على أبواب الفقه فى مجلدات كثيرة، تعرف بـ " الفتاوى المصرية"، سماها بعضهم: " الدرر المضية من فتاوى ابن تيمية".

وغير ذلك من المؤلفات فى الفقه والأحكام.

د ـ فى الحديث:

وللشيخ تقى الدين فى الأحاديث وشرحها شئ كثير جدا منها:

" الكلم الطيب " جمع فيه الأذكار المستعملة طرفى النهار، " شرح حديث النزول" ، " شرح حديث: انما الأعمال بالنيات "، " شرح حديث: بدأ الاسلام غريبا " ، " شرح حديث جبريل فى الايمان والاسلام" ، " شرح حديث أبى ذر الذى أوله: يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى" ، وغير ذلك من أحاديث كثيرة.

وله أجوبة كثيرة فى أحاديث يسأل عنها من صحيح يشرحه، وضعيف يبين ضعفه، وباطل ينبه على بطلانه.

وقد كتب رحمه الله كثيرا من مسند الامام أحمد وغيره على أبواب الفقه.

تلك هى نبذة عن مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية، وقد حاول بعض العلماء جمع فتاويه ورسائله وغيرها، منها:

" مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية"، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى. جمعها فى خمسة

وثلاثين مجلدا ، و المجلدان: السادس والثلاثون والسابع والثلاثون فهارس عامـــة .

" مجموعة الرسائل والمسائل ، تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية " بتعليق السيد محمد رشيد رضا ، فى خمسة أجزاء .

" مجموعة فتاوى ابن تيميـــة "، فى خمس مجلدات ، طبـــع : مطبعة كردستان العلمية بالقاهرة ، سنة ١٣٢٩ هـ .

" مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية "، نشر مكتبـــة و مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالقاهرة .

" جامع الرسائل لابن تيميـة "، جمع وتحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم ، وصدر منه المجموعة الأولى.

هذا ، و تمتـــاز مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية بأنها تمس حياة الناس وواقعهم، فى زمنه وفى غيره ، وذلك لأنه رحمه الله تعالى يربط المسائل الفرعية بأصولها من الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، و يعيـــد كل فرع الى أصله .

(٣) أقوال العلماء فيه :

سأذكر في هذه المناسبة أقوال بعض العلماء في شيخ الاسلام ابن تيمية ، لتكون بمثابة عنصر من عناصر التقويم لشخصيته .

قال فيه الحافظ الذهبي :

" ...وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته ، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت : اني ما رأيت بعيني مثله ، و لا والله ما رأى هو مثل نفسه في العلم ".(١)

وقد رثاه بقصيدة ، منها :(٢)

يا موت خذ من أردت أو فدع	محوت رسم العلوم والورع
أخذت شيخ الاسلام وانفصمت	عرى التقى واشتفى منه أولو البدع
غيّبت بحرا مفسرا جبلا	حبرا تقيا مجانب الشيع

وقال فيه شيخ النحاة أبو حيان :

" ما رأت عيناي مثل ابن تيمية " ، ثم مدحه أبو حيان على البديهة في المجلس :(٣)

لما أتانا تقي الدين لاح لنا	داع الى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الأولى صحبوا	خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا	بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا	مقام سيّد تيم(٤) اذ عصت مضر

---

(١) الرد الوافر ص ٣٥ ، الشهادة الزكية ص ٤٢ .

(٢) الرد الوافر ص ٣٥ ـ ٣٦، الشهادة الزكية ٤٣ .

(٣) الرد الوافر ص ٦٣ ـ ٦٤، تاريخ ابن الوردي ٢٨٨/٢، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٢/٢ ، الشهادة الزكية ص ٣١ ـ ٣٢ .

(٤) سيد تيم هو : أبو بكر الصديق، رضى الله عنه ، والمقصود تشبيه ابن تيمية به لموقفه العظيم في أمر الردة .

فأظهر الحق اذ آثاره درست | وأخمد الشر اذ طارت له الشرر
كنا نحدث عن حبر يجيء - فها | أنت - الامام الذى قدكان ينتظر

وقال فيه ابن دقيق العيد[1]:

" لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه ، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد".[2]

وقال فيه ابن الوردي[3]:

" وتركت التعصب و الحمية ، وحضرت مجالس ابن تيمية ، فاذا هو بيت القصيدة ، و أول الخريدة . علماء زمانه فلك هو قطبه ، و جسم هو قلبه ، يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر".[4]

---

(١) تقى الدين أبو الفتح محمد بن على بن وهب بن مطيع بن أبى طاعة القشيرى المنفلوطى المالكى الشافعى ، المعروف بابن دقيق العيد، كان اماما حافظا ذا تحرير، مالكيا شافعيا ليس له نظير، وكان يفتى بالمذهبين ويدرّس فيهما ، له اليد الطولى فى معرفة الأصلين. ولد رحمه الله سنة ٦٢٥ هـ ، و توفى سنة ٧٠٢ هـ .
انظر فى ترجمته : البداية والنهاية ٢٧/١٤، فوات الوفيات ٤٤٢/٣ - ٤٤٣ ، الرد الوافر ص ٥٨ - ٥٩ ، شذرات الذهب ٥/٦ - ٦ ، معجم المؤلفين ٧٠/١١ .

(٢) تاريخ ابن الوردى ٢٨٨/٢ ، الرد الوافر ص ٥٩، الشهادة الزكية ص ٢٩.

(٣) زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس المعرى الحلبى الشافعى، المعروف بابن الوردى. كان اماما بارعا فى اللغة والفقه والنحو والأدب متفننا فى العلم ونظمه . توفى رحمه الله سنة ٧٤٩ هـ . انظر فى ترجمته : فوات الوفيات ١٥٧/٢ ، شذرات الذهب ١٦١/٦ - ١٦٢ ، معجم المؤلفين ٣/٨ .

(٤) الشهادة الزكية ص ٣٠ .

وقال فيه الحافظ المزي[1]:

" مارأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أتبع لهما منه".[2]

وقال أيضا: " لم ير مثله منذ أربعمائة سنة".[3]

وقال فيه العلامة كمال الدين ابن الزملكاني:

" كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لايعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدا لا يعرف مثله. وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه مالم يكونوا عرفوه قبل ذلك. ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم - سواء كان من علوم الشرع أو غيرها - الا فاق فيه أهله والمنسوبين اليه". [4]

وقال فيه أيضا:[5]

---

(١) جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي بن أبي الزهر القضاعي الكلبي الحلبي الدمشقي، ثم المزي، الشافعي، حافظ، محدث، أستاذ أئمة الجرح والتعديل، ولد سنة ٦٥٤ هـ، وتوفي سنة ٧٤٢ هـ.
انظرفي ترجمته: الرد الوافر ص ١٢٨ - ١٣٠، فوات الوفيات ٣٥٣/٤، شذرات الذهب ١٣٦/٦ - ١٣٧، معجم المؤلفين ٣٠٨/١٣.

(٢) العقود الدرية ص ٧، الرد الوافر ص ١٢٨ - ١٢٩، الشهادة الزكية ص ٤٥.

(٣) الرد الوافر ص ١٢٩، الشهادة الزكية ص ٤٥.

(٤) تاريخ ابن الوردي ٢٨٦/٢، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٠/٢، العقود الدرية ص ٧، الرد الوافر ص ٥٨، الشهادة الزكية ص٣٦.

(٥) تاريخ ابن الوردي ٢٨٨/٢، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٢/٢، الرد الوافر ص ١٦٠، العقود الدرية ص ٨، الشهادة الزكية ص ٣٨.

ماذا يقول الواصفـــــون له　　　وصفـــاته جلت من الحصـــر
هو حجة لله قاهـــــــرة　　　هو بيننـــا أعجوبـــة الدهر
هو آيـــة للخلق ظاهـــــرة　　　أنوارهـــا أربت على الفجـــر

وبعد، فهذا قليل من كثير ، غيض من فيض ، قطر من بحـر، لكنه مجرد نماذج تشهد وتحمل الثناء على شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية .

الباب الأول

قضية الصفات الالهية بين منهجي السلف والخلف

وفيه فصلان :

الفصل الأول : السلف ومنهجهم في الصفات

الفصل الثاني : الخلف ومنهجهم في الصفات

ــ(الفصل الأول)ــ

السلف ومنهجهم في الصفات

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تحديد مفهوم السلف .

المبحث الثاني : نبذة عن منهج السلف في أمور الدين .

المبحث الثالث : منهج السلف في الصفات .

============

الفصل الأول

السلف ومنهجهم في الصفات

وقبل الخوض في موقف ابن تيمية رحمه الله من قضية الصفات الالهية، فانه من الضروري البحث عن هذه القضية بين السلف و الخلف، حتى يتبين لنا بوضوح الموقف الذي اتخذه ابن تيمية منها .

المبحث الأول : تحديد مفهوم السلف .

أصبح لفظ السلف في عرف كثير من المتأخرين يطلق على أئمة المذاهب المختلفة التي ينتسبون اليها، وأكابر الطوائف التي ينتسبون اليها . ولهذا كان سلف الأشعرية غير سلف المعتزلة، وسلف المعتزلة غير سلف الشيعة، وسلف الشيعة غير سلف الخوارج . فلا بد من تحديد مفهوم هذا اللفظ، ليتضح الفرق بينه وبين لفظ الخلف .

والمقصود بالسلف هم السابقون الأولون من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان - رضوان الله عليهم أجمعين - المتمسكون بكتاب الله الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.(١) فانهم خيار هذه الأمة بعد نبيها، وهم القرون المفضلة، كما روى ذلك عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ان خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثة، " ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، و يخونون ولا يؤتمنون،

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى: ٦/٥، الامام ابن تيمية وقضية التأويل، للدكتور محمد السيد الجليند: ص ٥٢، في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة، للدكتور محمود أحمد خفاجي : ٢٠/١ .

وينذرون و لا يوفون ، و يظهر فيهم السمن".[(١)]

فهؤلاء هم سلف هذه الأمة الذين يقتدى بهم وتقتفى آثارهم ، كما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ·

وكل من سلك طريقهم واتبع منهجهم من بعدهم ، جيلا بعد جيل ، فهو منهم · فالسلفي هو الذى اتبع السلف ، فى عقيدتهم وسلوكهم وجهادهم ، فدلت أفعاله وأقواله وسلوكه على أنه منهم · وليس هو الذى يدعى أنه منهم ، وعقيدته تخالف عقيدتهم ، أو سلوكه يخالف سلوكهم · ولو كانت الدعوى كافية فى الكون منهم لكانت كل الطوائف المعادية لمنهجهم منهم ، ولعدّ كل فرد انتمى اليهم منهم ، ولو كان من أبعد الناس عن منهجهم وسلوكهم ، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)[(٢)]، وقال: (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم)[(٣)].

المبحث الثانى : نبذة عن منهج السلف فى أمور الدين·

ولما كان منهج السلف رضى الله عنهم يدعى الانتساب اليه كثير من المذاهب والطوائف ، فانه لا بد من بيان منهجهم · وليس المقصود هنا بيان منهج السلف فى أمور الدين كلها مفصلة ، وانما ذكر منهجهم فى بعض أصول الدين المهمة ، حتى يمكن بذلك أخذ فكرة عن منهجهم ثم تمييزه عن

---

(١) رواه أحمد فى المسند ٤٢٧/٤ ، والبخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ٣/٧ ، ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ١٩٦٤/٤ ، و أبوداود فى كتاب السنة باب فضل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ١٢/٤٠٩ - ٤١١ ·

(٢) سورة الصف : ٢ - ٣ ·

(٣) سورة آل عمران : ٣١ ·

غيره من منهج سائر مدعى الانتساب اليه .

ومن منهج السلف رضى الله عنهم :

(١) الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . كما قال تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين)[١]، وقال تعالى: (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)[٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عن الايمان : " أن تؤمن بالله وملائكته و كتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ".[٣]

(٢) الاقرار و الاثبات لما وصف الله به نفسه فى كتابه ولما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم من مواضعه ، ولا يلحدون فى أسماء الله وآياته ، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ، بل يؤمنون بأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير،[٤] كما قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو

---

(١) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٢) سورة التوبة : ٥١ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الايمان باب تعريف الاسلام والايمان ٣٧/١، وأبو داود فى كتاب السنة باب فى القدر ٤٥٩/١٢ـ ٤٦٤ ، والترمذى فى كتاب الايمان باب ما جاء فى وصف جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم الايمان والاسلام ٦/٥ـ ٧ ، وابن ماجه فى المقدمة باب فى الايمان ٢٤/١ ، من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢٩/٣ ـ ١٣٠، لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص ٧ ، التحف فى مذاهب السلف للشوكانى ص ٧ و ١١ .

السميع البصير)[١]، وقال تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)[٢].

(٣) الايمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ واليه يعود ، وأنه كلام الله حقيقة لا كلام غيره ، بل اذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك فى المصاحف ، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة.[٣] قال تعالى: (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)[٤]، وقال تعالى : (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)[٥]، وقال تعالى: (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين)[٦].

(٤) الايمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عيانا بأبصارهم[٧] كما قال جل ثناؤه : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)[٨] ،

---

(١) سورة الشورى : ١١ .

(٢) سورة الأعراف : ١٨٠ .

(٣) انظر: الشريعة للآجرى ص ٧٥، عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابونى ص ٧، لمعة الاعتقاد ص ١٨ ، مجموع الفتاوى ١٤٤/٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢١ ـ ١٢٢ ، لوامع الأنوار البهية للسفارينى ١٦١/١ .

(٤) سورة التوبة : ٩

(٥) سورة البقرة : ٧٥ .

(٦) سورة النحل : ١٠٢ .

(٧) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٦٥ ، لمعة الاعتقاد ص ٢٣ ، مجموع الفتاوى ١٤٤/٣، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٦، لوامع الأنوار البهية ص ٢٤٠/٢ .

(٨) سورة القيامة : ٢٢ ـ ٢٣ .

بخلاف أعداء الله الكفار فانهم لايرون ربهم كما قال : (كلا انهم من ربهم يومئذ لمحجوبون)[١]، وقال عليه الصلاة والسلام : " انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا "[٢].

(٥) الايمان بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء، وأن مشيئته عامة فلا يقع شيء الا بمشيئته ، و أن خلقه الأشياء بمشيئته انما يكون وفقا لما علمه منها بعلمه الأزلى ولما كتبه وقدره فى اللوح المحفوظ ، وأن العباد لهم قدرة وارادة تقع بهما أفعالهم ، وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم ، ولهذا يستحقون عليها الجزاء اما بالمدح والمثوبة ، واما بالذم والعقوبة ، وأن نسبة هذه الأفعال الى العباد فعلا لاتنافى نسبتها الى الله خلقا ، لأن الله خالقهم وخالق قدرتهم وارادتهم[٣]، كما قال تعالى :(والله خلقكم وما تعملون)[٤].

---

(١) سورة المطففين : ١٥ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر ٣٣/٢، وباب فضل صلاة الفجر ٥٢/٢، وفى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ٤١٩/١٣، ومسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما ٤٣٩/١ ، وأبو داود فى كتاب السنة باب فى الرؤية ٥١/١٣ - ٥٣ ، و الترمذى فى كتاب صفة الجنة باب ماجاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى ٦٨٧/٤، من حديث جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه .

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٤) سورة الصافات : ٩٦

(٦) أن الايمان عقد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان ، يزيدبالطاعة وينقص بالعصيان، وهم مع ذلك لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب ولا يقولون: انه لا يضر مع الايمان ذنب . بل انه مؤمن ناقص الايمان ، أو مؤمن بايمانه فاسق بذنبه ، فلا يسلبونه مطلق الايمان ولا يعطونه الايمان المطلق ، وانه ان مات على ذنبه ولم يتب فهو فى مشيئة الله ، ان شاء غفر له وأدخله الجنة ، وان شاء عذبه ثم أدخله الجنة[1]، كما قال تعالى: (ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[2].

(٧) اخلاص العبادة لله تعالى وحده فى دينه الذى شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا يخرجون عنه زيادة ولا نقصا . قال تعالى: (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)[3] ، وقال: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)[4]. وأن العبادة لا تقتصر على اقامة الشعائر التعبدية كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، بل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فهو داخل فى مسمى العبادة . فالصلاة، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين، وصلة الأرحام ، والأمربالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والذكر والدعاء، والخشية والصبر

---

(١) انظر: الشريعة ص ١١١ و ١١٦ ، عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٦٧، لمعة الاعتقاد ص ٢٧، مجموع الفتاوى ١٥١/٣ .

(٢) سورة النساء ٤٨ و ١١٦ .

(٣) سورة البينة : ٥

(٤) سورة الكهف : ١١١

والشكر والتوكل والرجاء والخوف ، وأمثال ذلك من العبادة . فالدين كله من العبادة .[١]

(٨) موالاة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وذكر محاسنهم والاستغفار لهم ، كما قال تعالى (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم)[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام : " لا تسبوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه "[٣]، والاقرار بما جاء به الكتاب والسنة والاجماع من فضائلهم ومراتبهم ، و محبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات ، أمهات المؤمنين، والترضى عنهم ، و موالاتهم .[٤]

(٩) اتباع الكتاب وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا، والاقرار والايمان بأن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، فيؤثرون كلام الله على غيره من كلام أخيار

---

(١) انظر: العبودية لابن تيمية ص ٣٨ و ٤٣ .

(٢) سورة الحشر: ١١ .

(٣) رواه أحمد فى المسند ١١/٣، والبخارى فى كتاب فضائل الصحابة باب قول النبى صلى الله عليه وسلم "لوكنت متخذا خليلا" ٢١/٧ ، و مسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضى الله عنهم ١٩٦٧/٤ ـ ١٩٦٨ ، وأبوداود فى كتاب السنة باب فى النهى عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤١٣/١٢ ، والترمذى فى كتاب المناقب ٦٩٦/٥ ، من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

(٤) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٩٠ و ٩٣ ، لمعة الاعتقاد ص ٤٠ ـ ٤١ ، مجموع الفتاوى ١٥٢/٣ ـ ١٥٤ .

الناس ، ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد[1].
قال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)[٢]، وأنه لا ايمان لمن لم يحكم شرع الله ، كما قال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)[٣].

(١٠) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة ، لقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)[٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان ".[٥] و مع ذلك يرون عدم الخروج على الأئمة وولاة الأمور وان جاروا مالم يأمروا بمعصية ويرون اقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارا كانوا أو فجارا[٦] قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[٧]، وقال رسول الله صلى الله

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٥٧/٣ .

(٢) سورة آل عمران : ٣١ .

(٣) سورة النساء : ٦٥ .

(٤) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٥) رواه أحمد في المسند ٢٠/٣ و ٤٩ ، و مسلم في كتاب الايمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان ... ٦٩/١ ، و الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أوباللسان أوبالقلب ٤٦٩/٤ - ٤٧٠ ، والنسائي في كتاب الايمان باب تفاضل أهل الايمان ١١١/٨ - ١١٢ ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٦) انظر: مجموع الفتاوى ١٥٨/٣، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٨.

(٧) سورة النساء : ٥٩ .

عليه وسلم : " من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني "[١]، وقال أيضا : " على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، الا أن يؤمر بمعصية، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة "[٢]، وقال: " من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فانه من فارق الجماعة شبرا فمات الا مات ميتة جاهلية "[٣]. وقد كان الصحابة يصلون خلف من يعرفون فجوره ولا يعيدون، كما كان عثمان بن عفان رضي الله عنه، لما حصر على بالناس شخص، فدخل على عثمان رجل فقال: انك امام عامة ونزل بك ما نرى ويصلي لنا امام فتنة ونتحرج، فقال عثمان: " الصلاة أحسن ما يعمل الناس فاذا أحسن الناس فأحسن معهم، واذا أساؤوا فاجتنب اساءتهم "[٤]. وقال عليه الصلاة والسلام : " يصلون لكم، فان أصابوا فلكم ولهم، وان أخطأوا فلكم وعليهم "[٥].

---

(١) رواه أحمد في المسند ٢٥٢/٢ - ٢٥٣، و ٣١٣، والبخاري في كتاب الأحكام باب قول الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ١١١/١٣، ومسلم في كتاب الامارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ١٤٦٦/٣، والنسائي في كتاب البيعة باب الترغيب في طاعة الامام ١٥٤/٧، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند ١٧/٢ و ١٤٢، والبخاري في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية ١٢١/١٣ - ١٢٢، ومسلم في كتاب الامارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ١٤٦٩/٣، والترمذي في كتاب الجهاد باب ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ٢٠٩/٤، والنسائي في كتاب البيعة باب جزاء من أمر بمعصية فأطاع ١٦٠/٧، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " سترون بعدي أمورا تنكرونها " ٥/١٣، ومسلم في كتاب الامارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ١٤٧٧/٣٠٠٠، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأذان باب امامة المفتون والمبتدع ١٨٨/٢.

(٥) رواه البخاري في كتاب الأذان باب اذا لم يتم الامام وأتم من خلفه ١٨٧/٢، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تلك هى نبذة عن منهج السلف رضى الله عنهم فى أمور الدين .

ويتبين من خلال ما سبق ذكره أن منهجهم يمتاز بسمات بارزة ، من هذه السمات :

(١) التمسك بالكتاب والسنة .

فكان السلف رضي الله عنهم يتمسكون بالكتاب وما صح من السنة لأنهما مصدران للدين وأساسان له ، فيقرون بما جاءت به النصوص منهما ، ويقبلونها ولا يعدلون عنها ، ولا يخضعونها لأهوائهم ، بل يخضعون أهواءهم لهما .

(٢) الشمول .

فالاسلام عقيدة وشريعة ، دين ودولة ، عبادة ومعاملة ، يضمن للمسلم سعادته فى الدنيا والآخرة . وكان فهم السلف رضى الله عنهم للاسلام راسخا عميقا ، شاملا عاما ، فيأخذون الاسلام بكل تعليماته ويعملون بها ، لا يفرقون بينها ، ولا يؤمنون ببعضها ويكفرون ببعض ، بل كانوا يقبلون كل ما جاء به الاسلام ، ويعتقدونه فى قلوبهم ، ويقولونه بألسنتهم ، ويطبقونه فى سلوكهم ، ويتخذونه منهجا وحيدا لحياتهم ، لا يرون العدول عنه الى منهج سواه .

(٣) الوسط بين الافراط والتفريط .

فالسلف رضي الله عنهم كان منهجهم وسطا بين الغلو والتقصير ، فلا يفرطون ولا يفرّطون ، ولا يزيدون ولا ينقصون . فمنهجهم فى الصفات وسط بين المعطلة والمشبهة ، وفى أفعال الله بين القدرية والجبرية ، وفى أسماء الايمان والدين بين الخوارج والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية ، وفى العبادة بين البدعيين والمقصرين ، وفى صحابته صلى الله عليه

وسلم بين الروافض والنواصب ، الى غير ذلك فى أمور الدين.[١] فهم كما قال تبارك وتعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[٢].

المبحث الثالث : منهج السلف فى الصفات .

وردت فى القرآن الكريم آيات كثيرة فيها اثبات الصفات لله تبارك وتعالى ، ومن هذه الآيات :

قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) الى آخر الآية[٣]، وقوله (قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد)[٤]، وقوله (وهو العزيز الحكيم)[٥]، وقوله (وهو العليم القدير)[٦]، وقوله (وهو السميع البصير)[٧]، وقوله (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير)[٨]، وقوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه)[٩]، وقوله (ومن يقتل مؤمنا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١٤١/٣ . (٢) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥ . (٤) سورة الاخلاص : ١ - ٤ .

(٥) سورة ابراهيم : ٤، سورة النحل : ٦٠، سورة العنكبوت : ٤٢، سورة لقمان : ٩، سورة فاطر: ٢، سورة الجاثية : ٣٧، سورة الحديد: ١ ، سورة الحشر : ١ و٢٤، سورة الصف : ١، سورة الجمعة : ٣ .

(٦) سورة الروم : ٥٤ . (٧) سورة الشورى : ١١ .

(٨) سورة الحديد : ٣ - ٤ . (٩) سورة البينة : ٨ .

متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)[١]، وقوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر والى الله ترجع الأمور)[٢]، وقوله (وكلم الله موسى تكليما)[٣]، وقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)[٤]، وقوله (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ)[٥]، وقوله (يوم نطوى السماء كطيّ السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين)[٦]، وقوله (وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى)[٧]، وغير ذلك من الآيات .

كما وردت فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث صحاح وحسان فيها اثبات الصفات له تعالى ، كقوله صلى الله عليه وسلم : " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عزوجل "[٨]، وقوله : " ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، يدّعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم "[٩]، وقوله :

---

(١) سورة النساء : ٩٣ .
(٢) سورة البقرة : ٢١٠ .
(٣) سورة النساء : ١٦٤ .
(٤) سورة الرحمن : ٢٧ .
(٥) سورة ص : ٧٥ .
(٦) سورة الأنبياء : ١٠٤ .
(٧) سورة طه : ٣٩ .

(٨) رواه أحمد فى المسند ٣٦٠/٤ و٣٦١ و٣٦٢ و٣٦٥ و٣٦٦، والبخارى فى كتاب التوحيد باب قول الله تبارك وتعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) ٣٥٨/١٣، ومسلم فى كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ١٨٠٩/٤، والترمذى فى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى رحمة المسلمين ٣٢٣/٤، من حديث جرير بن عبد الله البجلى رضي الله عنه .

(٩) رواه البخارى فى كتاب الأدب باب الصبر على الأذى ٥١١/١٠، وفى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ٣٦٠/١٣، ومسلم فى كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب لا أحد أصبر على أذى من الله عزوجل ، من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه .

"يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟"(١) ، وقوله صلى الله عليه وسلم لما رفع أصحابه بالذكر: " أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، انه معكم ، انه سميع قريب "(٢) ، الى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه .

ومن الأمثلة التي سبق ايرادها يظهر أن القرآن والسنة في باب صفات الله تبارك وتعالى كانا ينهجان منهج اثبات وجودها ، من غير تكييف ولا تمثيل . وذلك لأن الصفات تابعة للذات ، وانا لا نعلم كيفية ذاته تعالى فلا نعلم أيضا كيفية صفاته ، كما قال تعالى : (ولا يحيطون به علما)(٣) ، وقال: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(٤) ، وقال أيضا : (هل تعلم له سميًّا)(٥).

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣٧٤/٢ ، والبخاري في كتاب التفسير باب (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) ٥٥١/٨ ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (ملك الناس) ٣٦٧/١٣ ، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٨/٤ ، وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٦٨/١ - ٦٩ ، والدارمي في كتاب الرقاق باب في شأن الساعة ونزول الرب تعالى ٣٢٥/٢ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد في المسند ٣٩٢/٤ و ٤٠٢ و ٤١٨ ، والبخاري في كتاب الجهاد باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير ١٣٥/٦ ، وفي المغازي باب غزوة خيبر ٤٧٠/٧ ، والدعوات باب الدعاء اذا علا عقبة ١٨٧/١١ ، وفي كتاب التوحيد باب (وكان الله سميعا بصيرا) ٣٧٢/١٣ ، وأبوداود في كتاب الوتر باب في الاستغفار ٢٨٦/٤ ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٣) سورة طه : ١١٠ .

(٤) سورة الشورى : ١١ .

(٥) سورة مريم : ٦٥ .

واذا كان هذا هو منهج القرآن والسنة فى صفاته تبارك وتعالى، فما منهج السلف رضي الله عنهم فيها ؟ فهل كان السلف ينهجون منهج تأويل تلك النصوص الواردة ، أومنهج التوقف ، أو منهج الاثبات بدون تكييف و لا تمثيل ؟

ولا يكفى فى هذا مجرد الادعاء أن منهجهم هوهذا ، أوذاك ، بل لا بد لتقرير منهج السلف رضي الله عنهم من ذكر أقوال السلف وألفاظهم بأعيانها حتى يتبين الأمر بذلك .

أ - ذكر أقوال الصحابة رضي الله عنهم :

والجدير بالاشارة أن أقوال الصحابة رضي الله عنهم فى هذه القضية ليست بكثرة كما هو الحال فى عصر من بعدهم ، وذلك لأن الصحابة هم العرب الخلص الذين كانوا يفهمون معانى القرآن الكريم ، لأن القرآن نزل بلسانهم ، لسان عربي مبين ، ولأن شوائب البدعيات الفلسفية والكلامية الوافدة فى هذه القضية لم تكن موجودة فى زمانهم فلم تدعهم الحاجة الى البحث عن هذه القضية والحديث عنها بكثير، لذلك كان الأسلوب الذى استخدموه غير الأسلوب الذى استخدمه من بعدهم .

ومن أقوال الصحابة رضي الله عنهم فى ذلك :

(١) قول أبى بكر الصديق رضي الله عنه :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا بكر رضي الله عنه خرج وعمر رضي الله عنه يكلم الناس ، فقال: اجلس ، فأبى ، فقال: اجلس ، فأبى. فتشهد أبوبكر رضي الله عنه ، فمال اليه الناس وتركوا عمر، فقال: " أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ،

قال الله تعالى[١]: (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ،أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)."[٢]

(٢) قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

عن أبي يزيد المدني قال:" لقيت امرأة عمريقال لها خولة بنت ثعلبة - وهو يسير مع الناس - فاستوقفته ، فوقف لها ، ودنا منها ، وأصغى اليها رأسه حتى قضت حاجتها وانصرفت . فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، حبست رجالات قريش على هذه العجوز، فقال: ويلك وهل تدري من هـــذه ؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله لولم تنصرف عني الى الليل ماانصرفت عنها حتى تقضي حاجتها ، الا أن تحضر صلاة فأصليها ، ثم أرجع اليها حتى تقضي حاجتها"[٣]

(٣) قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

عن حسين بن علي رضي الله عنهما أن علي بن أبي طالب أخبره أن رسول الله صلى الله عليهوسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ، فقال لهم :" ألا تصلون" قال علي: فقلت: يا رسول الله انما أنفسنا بيد الله ،فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف رســول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الي شيئا ، ثم سمعته وهــو

---

(١) سورة آل عمران : ١٤٤ .

(٢) رواه البخاري في الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت اذا ادرج في كفنه ١١٣/٢ .

(٣) رواه الدارمي في كتاب الرد على الجهمية ص ٢٦، و البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص ٥٢٩.

مدبر يضرب فخذه ويقول : " وكان الانسان أكثر شيء جدلا " (1).

(٤) قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء بن مسيرة خمسمائة عام ، و بين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي الى الماء خمسمائة عام ، والعرش على الماء ، والله تعالى فوق العرش ، وهو يعلم ماأنتم عليه " (2)

(٥) قول ابن عباس رضي الله عنهما :

وروى أن ابن عباس رضي الله عنهما دخل على عائشة وهي تموت فقال لها : " كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الا طيبا ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات ، جاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله تعالى يذكر فيه الله الا وهي تتلى فيه آناء الليل والنهار " (3).

(٦) قول عائشة رضي الله عنها :

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : " وايم الله ، انى لأخشى لوكنت أحب قتله لقتلت - تعنى عثمان - ولكن علم الله من فوق عرشه أنى لم أحب قتله " (4).

---

(١) رواه البخاري فى كتاب التوحيد باب فى المشيئة والارادة ٤٤٦/١٣ .

(٢) رواه الدارمى فى كتاب الرد على الجهمية ص ٢٧ ، وفى كتاب الرد على بشر المريسى ص ٧٣ ، وابن خزيمة فى كتاب التوحيد ص ١٠٥ و ١٠٦ ، واللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣٦٦/٣ .

(٣) رواه الدارمى فى كتاب الرد على الجهمية ص ٢٧ ، والذهبى فى العلو ص ٩٦ .

(٤) رواه الدارمى فى كتاب الرد على الجهمية ص ٢٧ .

(٧) قول زينب بنت جحش رضي الله عنها :

عن أنس رضي الله عنه : كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: " زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات ".[1]

هذه نصوص من أقوال الصحابة رضي الله عنهم . ويظهر من ذلك أنهم كانوا يقرون بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يخوضون في شيء مما خاض المتأخرون ، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ولا تأويل، بل ايمان وتسليم .

ب - ذكر أقوال التابعين رحمهم الله :

ومن أقوال التابعين في صفات الله تعالى:

(١) قول كعب الأحبار رحمه الله[2]:

وعن كعب قال: " ان للكلام الطيب حول العرش لدويا كدوي النحل يذكر بصاحبه ".[3]

(٢) قول مسروق رحمه الله[4]:

وعن مسروق أنه كان اذا حدث عن عائشة قال:" حدثتني الصديقة

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء) ١٣/ ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٢) كعب بن ماتع الحميري ،أبو اسحاق المعروف بكعب الأحبار ، توفي سنة ٣٢ عن مائة وأربع في خلافة عثمان. انظر: تهذيب التهذيب ٨/ ٤٣٨ - ٤٣٩ ، الأعلام ٥/٢٢٨ .

(٣) العلو للذهبي ص ٩٣ .

(٤) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني الوداعي الكوفي ، أبو عائشة . مات سنة ٦٣ هـ . انظر: تهذيب التهذيب ١٠/١٠٩ - ١١١ ، الأعلام ٧/٢١٥ .

بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سماوات ".[1]

(٣) قول مجاهـد رحمه الله[2]:

وعن مجاهد في قوله تعالى (وقربناه نجيا)[3] قال: " بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب، فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب، فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم، قال(رب أرني أنظر اليك)[4]".[5]

(٤) قول الضحـاك رحمه الله[6]:

وعن الضحاك في قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هـو رابعهم)[7] قال: " هو على عرشه وعلمه معهم ، وفي لفظ : هو فوق العرش وعلمه معهم أينما كانوا ".[8]

(٥) قول قتادة رحمه الله[9]:

وعن قتـادة في قوله تعالى (للذين أحسـنوا الحسنى

---

(١) العلو للذهبي ص ٩٢ .

(٢) مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرئ ، مولى السائب ابن أبي السائب . ولد سنة ٢١ هـ وتوفي سنة ١٠٣ هـ . انظر: تهذيب التهذيب ١٠/٤٢-٤٣، شذرات الذهب ١/١٢٥، الأعلام ٥/٢٧٨ .

(٣) سورة مريـم : ٥٢ .

(٤) سورة الأعراف : ١٤٣ .

(٥) العلو للذهبي ص ٩٧-٩٨، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥٠٨ .

(٦) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم ، أو أبومحمد الخراساني. توفي سنة ١٠٢ هـ ، وقيل سنة ١٠٥ هـ . انظر: تهذيب التهذيب ٤/٤٥٣ - ٤٥٤ ، شذرات الذهب ١/١٢٤-١٢٥، الأعلام ٣/٢١٥ .

(٧) سورة المجادلة : ٧ .

(٨) العلو للذهبي ص ٩٨ - ٩٩ .

(٩) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري . ولد سنة ٦١ هـ وتوفي سنة ١١٨ هـ . انظر: تهذيب التهذيب ٨/٣٥١-٣٥٦، شذرات الذهب ١/١٥٣، الأعلام ٥/١٨٩ .

وزيادة)[١] قال: " ذكر لنا أن المؤمنين اذا دخلوا الجنة ناداهم ربهم: ان الله وعدكم الحسنى وهي: الجنة ، والزيادة: النظر الى وجه الرحمن".[٢]

(٦) قول عكرمة رحمه الله[٣]:

عن عكرمة في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة)[٤] قال: "مسرورة فرحة الى ربها ناظرة".

قال عكرمة: " انظروا ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه اذ لو جعل جميع ما خلق الله من الانس والجن والدواب والطير وكل شيء خلق الله فجعل نور أعينهم في عيني عبد من عباده ثم كشف عن الشمس سترا واحدا ودونها سبعون سترا ما قدر على أن ينظر الى الشمس ، والشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الله".[٥]

هذه بعض نصوص أقوال التابعين رحمهم الله ، ويتبين منها أن منهج التابعين فيما وصف الله به نفسه هو نفس منهج الصحابة رضي الله عنهم ، وهو الاقرار والاثبات لما وصف الله به نفسه في كتابه وسنة رسوله

---

(١) سورة يونس : ٢٦ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤٦٣/٣ ، كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٨٤ – ١٨٥ ، تفسير الطبري ١٠٦/١١ – ١٠٧ .

(٣) عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، أبو عبد الله ، مولى ابن عباس. توفي سنة ١٠٥ هـ وقيل في التي قبلها أو بعدها . انظر: تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧ – ٢٧٣ ، شذرات الذهب ١٣٠/١ ، الأعلام ٢٤٤/٤ .

(٤) سورة القيامة : ٢٢ .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤٦٦/٣ .

صلى الله عليه وسلم. وقد حكى الأوزاعي[1] شهرة منهجهم هذا حيث قال: " كنا والتابعون متوافرون نقول ان الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته ".[2]

جـ - <u>ذكر أقوال تابعي التابعين</u>:

وتنبغي الاشارة الى أنه حدث في أواخر عصر التابعين مشكلات لم تكن موجودة من قبل بالنسبة لقضية الصفات الالهية، وذلك بسبب ظهور جهم بن صفوان[3] ببدعه، حيث أنكر أن يكون الله عزوجل فوق عرشه ونفى صفاته الواردة في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فوجه تابعو التابعين اهتمامهم للرد على هذه البدع التي ظهرت بين أظهرهم. وقد كانت الأقوال المنقولة عنهم كثيرة مستفيضة، وهي في أكثرها تمثل ردودا على أسئلة توجه اليهم حول هذه القضية. ومن أقوالهم في ذلك:

(١) قول عبد الله بن المبارك رحمه الله[4]:

قال ابن المبارك: " لا نقول كما قالت الجهمية انه في الأرض

---

(١) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي. امام الديار الشامية في الفقه والزهد. ولد سنة ٨٨ وتوفي سنة ١٥٧ هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٢٣٨/٦ - ٢٤٢، شذرات الذهب ٢٤١/١، الأعلام ٣٢٠/٣.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي: ص ٥١٥.

(٣) جهم بن صفوان السمرقندي، أبومحرز، مولى لبني راسب من الأزد. أصله من بلخ. رأس الجهمية، وأول ما ظهر ببدعته كان بترمذ. أخذ الكلام عن الجعد بن درهم. وكان كاتبا للحارث بن سريج من زعماء خراسان وخرج معه على الأمويين. قتل عام ١٢٨ هـ بمرو، قتله سلم بن أحوز المازني. انظر: مقالات الاسلاميين ٣١٢/١، الفرق بين الفرق ص: ٢١١-٢١٢، الملل والنحل ٨٦/١، خطط المقريزي ٣٤٩/٢، لسان الميزان ١٤٢/٢، الأعلام ١٤١/٢، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ص ١٤-١٨، جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الاسلامي لخالد العسلي ص ٦١ - ٦٨.

(٤) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي أبو عبد الله المروزي. ولد سنة ١١٨ وتوفي سنة ١٨١ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٣/ ٣٢-٣٤، تهذيب التهذيب ٣٨٢/٥-٣٨٧، شذرات الذهب ٢٩٥/١، الأعلام ١١٥/٤.

ها هنا ، بل على العرش استوى ". وقيل له : كيف تعرف ربنا ؟ قال : "فوق سماواته على عرشه ".(١)

(٢) قول الأوزاعي رحمه الله :

سئل الأوزاعي عن قوله تعالى (ثم استوى على العرش)(٢) قال: " هو على عرشه كما وصف نفسه ". وسئل أيضا عن أحاديث الصفات ، فقال: " أمرّها كما جاءت ". ومن كلامه : " عليك بآثار من سلف وان رفضك الناس ، واياك وآراء الرجال وان زخرفوه لك بالقول ".(٣)

(٣) قول سفيان الثوري رحمه الله(٤):

سئل سفيان الثوري عن قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم)(٥) قال: " علمه ".(٦) وقال في أحاديث الصفات : " أمروها كما جاءت ".(٧)

(٤) قول حماد بن زيد رحمه الله(٨):

قال حماد بن زيد: " الجهمية انما يحاولون أن يقولوا ليس في

---

(١) خلق أفعال العباد (ضمن عقائد السلف) ص ١٢٠، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥٣٨، الرد على الجهمية للدارمي ص ٥٠ ، العلو للذهبي ص ١١٠ .

(٢) سورة الأعراف :٥٤، سورة يونس : ٣، سورة الرعد: ٢، سورة الفرقان:٥٩، سورة السجدة: ٤، سورة الحديد: ٤.

(٣) العلو للذهبي ص ١٠٢ .

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي ، ولد سنة ٩٧ وتوفي سنة ١٦١ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٣٨٦/٢-٣٩١، تهذيب التهذيب ١١١/٤-١١٥، شذرات الذهب ٢٥٠/١-٢٥١، الأعلام ١٠٤/٣-١٠٥ .

(٥) سورة الحديد: ٤ .

(٦) خلق أفعال العباد للبخاري ص ١٢٢ .

(٧) العلو للذهبي ص ١٠٣ .

(٨) حماد بن زيد بن درهم الأزدي، أبو اسماعيل البصري الأزرق . ولد سنة ٩٨ وتوفي سنة ١٧٩ هـ . انظر: تهذيب التهذيب ٩/٣-١١، شذرات الذهب ٢٩٢/١، الأعلام ٢٧١/٢ .

السماء شيء".(١)

(٥) قول وهب بن جرير رحمه الله(٢):

قال وهب بن جرير: "الجهمية الزنادقة انما يريدون أنه ليس على العرش استوى".(٣)

(٦) قول الفضيل بن عياض رحمه الله(٤):

وقال الفضيل بن عياض: "اذا قال لك جهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل: أنا أومن برب يفعل ما يشاء".(٥)

(٧) قول سفيان بن عيينة رحمه الله(٦):

قال سفيان بن عيينة: "كل ما وصف الله تعالى من نفسه في كتابه، فتفسيره تلاوته والسكوت عليه".(٧)

---

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم ص ٤٥ .

(٢) وهب بن جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله بن شجاع الأزدي، أبو العباس البصري الحافظ . توفي سنة ٢٠٦ هـ . انظر: تهذيب التهذيب: ١٦١/١١-١٦٢، شذرات الذهب ١٦/٢.

(٣) خلق أفعال العباد ص ١١٩ .

(٤) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي، أبو علي . الزاهد المشهور، شيخ الحجاز. ولد سنة ١٠٥ هـ وتوفي سنة ١٨٧ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٤٧/٤-٥٠ ، تهذيب التهذيب ٢٩٤/٨-٢٩٧ ، شذرات الذهب ٣١٦/١ ، الأعلام ١٥٣/٥ .

(٥) خلق أفعال العباد ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٦) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي . شيخ الحجاز وأحد الأعلام . ولد سنة ١٠٧ وتوفي سنة ١٩٨ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٣٩١/٢-٣٩٣ ، تهذيب التهذيب ١١٧/٤-١٢٢ ، شذرات الذهب ٣٥٤/١-٣٥٥ ، الأعلام ١٠٥/٣ .

(٧) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥١٦ .

ومن نصوص أقوال تابعي التابعين التي سبق ايرادها يتضح أن منهجهم فيما وصف الله به نفسه هو نفس منهج سابقيهم من الصحابة والتابعين . ويؤكد هذا ما قاله أبو داود[1]: " كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدون ، ولا يشبهون ، ولا يمثلون ، يروون الحديث لا يقولون : كيف ، واذا سئلوا أجابوا بالأثر ".[2]

د - ذكر أقوال الأئمة الأربعة :

(١) قول الامام أبي حنيفة رحمه الله[3].

عن نوح بن أبي مريم يقول : " كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر، اذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما ، فدخلت الكوفة ، فأظنني أقل ما رأيت عليها عشرة آلاف من الناس تدعو الى رأيها ، فقيل لها : ان ههنا رجل قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة ، فأتته ، فقالت : أنت الذي تعلم المسائل وقد تركت دينك ، أين الهك الذي تعبده ؟ فسكت عنها ، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ، ثم خرج اليها وقد وضع كتابا : ان الله تبارك وتعالى في السماء دون الأرض ، فقال له رجل : أرأيت قول الله عز وجل

---

(١) سليمان بن داود بن الجارود، أبو داود الطيالسي البصري الحافظ . ولد سنة ١٣٣ هـ ، وتوفي سنة ٢٠٤ هـ . انظر: تهذيب التهذيب ١٨٢/٤ - ١٨٦ ، الأعلام ١٢٥/٣ .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥٣٧ .

(٣) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه الكوفي، التيمي بالولاء . الفقيه المجتهد، أحد الأئمة الأعلام. ولد سنة ٨٠ بالكوفة ، وتوفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٤٠٥/٥ - ٤١٥ ، البداية والنهاية ١٠٧/١٠، تهذيب التهذيب ٤٤٩/١٠ - ٤٥٢، شذرات الذهب ٢٢٧/١ - ٢٢٨، الأعلام ٣٦/٨، معجم المؤلفين ١٠٤/١٣ .

(وهو معكم) قال : هو كما تكتب الى الرجل : انى معك وأنت غائب عنه ".[1]

وعن أبى مطيع الحكم بن عبد الله البلخى، صاحب الفقه الأكبر، قال : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربى فى السماء أوفى الأرض، فقال : " قد كفر لأن الله تعالى يقول (الرحمن على العرش استوى)[2]، وعرشه فوق سمواته "، فقلت : انه يقول، أقول على العرش استوى، ولكن لا أدرى العرش فى السماء أو فى الأرض، قال : اذا أنكر أنه فى السماء فقد كفر".[3] ففى هذا الكلام كفر الامام أبو حنيفة الواقف الذى يقول، لا أعرف ربى فى السماء أو فى الأرض، ثم أردف ذلك بكفر من توقف فى كون العرش فى السماء أو فى الأرض، فكيف بالجاحد النافى الذى يقول : ليس فى السماء ولا فى الأرض.[4]

(٢) قول الامام مالك بن أنس رحمه الله[5]:

روى يحيى بن يحيى التميمى : " كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) فكيف استوى ؟ قال، فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال، الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك الا مبتدعا.

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى ص ٥٤٠، العلو للذهبى ص ١٠١ .

(٢) سورة طـه : ٥ .

(٣) العلو للذهبى ص ١٠١ .

(٤) اجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم ص ٤٧ .

(٥) أبو عبد الله مالك بن أنس الحميرى الأصبحى المدنى، امام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام. ولد بالمدينة سنة ٩٥ وتوفى بها سنة ١٧٩ هـ . انظر، وفيات الأعيان ١٣٥/٤ ـ ١٣٩، البداية والنهاية ١٧٤/١٠ـ١٧٥، تهذيب التهذيب ٥/١٠ـ٩، شذرات الذهب ٢٨٩/١ـ٢٩٢، الأعلام ٢٥٧/٥ـ٢٥٨، معجم المؤلفين ١٦٨/٨ .

فأمره أن يخرج".[1] وروى فى ذلك أيضا عن ربيعة بن أبى عبدالرحمن[2]، أستاذ مالك بن أنس رضى الله تعالى عنهما.[3]

وقال الوليد بن مسلم: " سألت الأوزاعى ومالك بن أنس وسفيان الثورى والليث بن سعد عن الأحاديث التى فيها الصفات، فكلهم قالوالى: أمروها كما جاءت بلا تفسير ".[4] وفى لفظ آخر: " أمضها بلا كيف ".[5]

(٣) قول الامام محمد بن ادريس الشافعى رحمه الله[6].

روى أبو شعيب وأبو ثور عن أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى رحمه الله قال: " القول فى السنة التى أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم، مثل: سفيان ومالك وغيرهما، الاقرار بشهادة أن لا اله الاالله وأن محمدا رسول الله، وأن الله على عرشه فى سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل الى السماء الدنيا كيف شاء ".[7]

وعن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن

---

(١) الأسماء والصفات ص ٥١٦، الرد على الجهمية للدارمى ص ٣٣، العلو للذهبى ص ١٠٤، لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص ١٤ .

(٢) أبو عثمان ربيعة بن أبى عبد الرحمن فروخ التيمى بالولاء المدنى المعروف بربيعة الرأى . فقيه أهل المدينة . توفى سنة ١٣٦ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٢٨٨/٢ ـ ٢٩٠، تهذيب التهذيب ٢٥٨/٣ ـ ٢٥٩، شذرات الذهب ١٩٤/١، الأعلام ١٧/٣ .

(٣) الأسماء والصفات ص ٥١٦، العلو ص ١٠٤ .

(٤) العلو ص ١٠٤ .

(٥) كتاب الصفات للدارقطنى ص ٤٤، التمهيد لابن عبد البر ١٤٩/٧ .

(٦) أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى المطلبى الشافعى، أحد الأئمة الأعلام . ولد فى غزة سنة ١٥٠ وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ . انظر: وفيات الأعيان ١٦٣/٤ـ١٦٦، البداية والنهاية ٢٥١/١٠ـ٢٥٤، تهذيب التهذيب ٢٥/٩ـ٣٠، شذرات الذهب ٩/٢ـ١١، الأعلام ٢٦/٦، معجم المؤلفين ٣٢/٩ـ٣٤ .

(٧) اجتماع الجيوش الاسلامية ص ٥٩، العلو ص ١٢٠ .

ادريس الشافعى يقول : لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته لا يسع أحدا قامت عليه الحجة ردها ". (١)

(٤) قول الامام أحمد بن حنبل رحمه الله (٢).

والمنقول عن هذا الامام فى هذه القضية طيب كثير، فهو حامل لواء السنة والصابر فى المحنة (٣)، ومما نقل عنه فى ذلك :

قال يوسف بن موسى القطان ، شيخ أبى بكر الخلال : " قيل لأبى عبد الله : الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان . قال: نعم، هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه ". (٤)

وقال المروزى : " قلت لأبى عبد الله : ان رجلا قال: أقول كما قال الله (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) أقول هذا ولا أجاوزه الى غيره، فقال : هذا كلام الجهمية، بل علمه معهم، فأول الآية تدل على أنه علمه ". (٥)

هذا شيء مما نقل من كلام السلف رضى الله عنهم فى باب الصفات، والمنقول عنهم فى هذا الباب أكثر من أن يحصى، وهذا الحشد الهائل من

---

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية ص ٥٩، العلو ص ١٢١ .

(٢) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى المروزى البغدادى، أحد الأئمة الأعلام . ولد سنة ١٦٤ هـ وتوفى سنة ٢٤١ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٦٣/١ - ٦٥، البداية والنهاية ٣٢٥/١٠ - ٣٤٣، تهذيب التهذيب ٧٢/١ - ٧٦، شذرات الذهب ٩٦/٢ - ٩٨، الأعلام ٢٠٣/١، معجم المؤلفين ٩٦/١ - ٩٧ .

(٣) بالاضافة الى كثرة مانقله عنه أصحابه فى باب الصفات، فان الامام أحمد ألف كتابا مفردا فى الرد على الزنادقة والجهمية سماه: كتاب " الرد على الزنادقة والجهمية "، وهو مطبوع عدة مرات .

(٤) اجتماع الجيوش الاسلامية ص ٧٧، العلو ص ١٣٠ .

(٥) العلو ص ١٣٠ .

نصوص أقوالهم يدل دلالة واضحة على أن منهجهم في الصفات ليس هو التأويل ولا التوقف ، بل كان منهجهم هو الاقرار والاثبات لصفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير تكييف ولا تمثيل ، وبدون تحريف ولا تعطيل .

يقول ابن قدامة المقدسي [1]: "... كلهم متفقون على الاقرار والامرار والاثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله ، من غير تعرض لتأويله ...". [2]

ويقول ابن رجب : " والصواب ما عليه السلف الصالح من امرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت ، من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل ، ولا يصح من أحد منهم خلاف ذلك ألبتة ". [3]

ويقول ابن كثير : " وأما قوله تعالى (ثم استوى على العرش) [4] فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًا ليس هذا موضع بسطها ، وانما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد واسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين ، قديما وحديثا ، وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا

---

(١) موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم المقدسي الصالحي الحنبلي . عالم فقيه مجتهد . ولد سنة ٥٤١ وتوفي سنة ٦٢٠ هـ . انظر : البداية والنهاية ١٣/٩٩ - ١٠٠ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/١٣٣-١٤٩ ، شذرات الذهب ٥/٨٨-٩٢ ، معجم المؤلفين ٦/٣٠ .

(٢) لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص ٧ .

(٣) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب ص ٨ .

(٤) سورة الأعراف : ٥٤ .

تعطيل ...".(١)

ويقول الشوكاني(٢): " ... مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو ايراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ، ولا جبر، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، يفضي اليه كثير من التأويل ...".(٣)

والخلاصة : يتضح لنا مما سبق ذكره أن منهج السلف في الصفات هو اثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة على ظاهرها اللائق بجلاله تعالى من دون تعطيل ولا تمثيل ولا تحريف ولا تكييف ، كما يتبين لنا أن السلف رضي الله عنهم كانوا متفقين على هذا المنهج، كلمتهم واحدة ، لم يقابلوا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالتأويل والتحريف ولم يعارضوها بعقولهم بل تلقوها بالقبول والتسليم،وقابلوها بالاجلال والتعظيم .

فهكذا كان السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين لهم باحسان و أئمة المسلمين ومن سلك سبيلهم ، لا يتكلم أحد منهم في شيء من أمور الدين الا تبعا لما قاله الله عز وجل ولما نطق به رسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٢٠/٢ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن علي بن عبد الله الشوكاني الخولاني ثم الصنعاني، مفسر محدث فقيه أصولي مؤرخ نحوي . ولد سنة ١١٧٣ وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ . انظر: الأعلام ٢٩٨/٦ ، معجم المؤلفين ٥٣/١١ .

(٣) التحف في مذاهب السلف للشوكاني ص ٧ .

ـ((الفصل الثانى))ـ

ـ الخلف ومنهجهم فى الصفات ـ

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : اختلاف الخلف فى الصفات ومنشأ ذلك .

المبحث الثانى : منهج الخلف فى الصفات .

١) منهج النفى

٢) منهج الوقف

٣) منهج التشبيه .

============

الفصل الثانى

الخلف ومنهجهم فى الصفـــات

اتضح لنا فيما تقدم أن المقصود بالسلف هم السابقون الأولون من الصحـــابة والتابعين وتابعيهم باحسان - رضوان الله عليهـــم أجمعين - المتمسكون بكتاب الله الكريم وسنة رسوله صلى الله عليـــه وسلم.

ومن هنا يظهر لنا المقصود بالخلف، فهم الذين جاؤوا من بعد ولم يسلكوا السبيل الذى سلكه السلف ولم ينهجوا منهجهـــم.

المبحث الأول : اختلاف الخلف فى الصفات ومنشأ ذلك.

انقضى عصر الصحـــابة رضى الله عنهم بالتسليم والقبول لما جاء فى الكتاب والسنة عن الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته. فلـــم يتنازعوا فى مسألة من مسائل الأسماء والصفـــات، كلمتهم فيها واحدة، من أولهم الى آخرهم، لم يؤولوها تعطيلا، ولم يحرفوها تبديلا، ولـــم يشبهوها تمثيلا، بل أثبتوا بلا تمثيل و نزهوا بلا تعطيـــل.

وكان الأصل الذى أسسوه هو ما أمرهم الله تعالى به فى قولـــه (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم)[1]، فلا يقولون فى الله الا بما قاله الله، ولا يخبرون عن شيء من صفاته وغيرها الا بما أخبر به سبحانه، فيكون قولهـــم تبعا

---

(١) سورة الحجرات : ١ .

لقوله ، وخبرهم تبعا لخبره[١] ، كما قال تعالى (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)[٢].

هكذا عصر الصحابة رضي الله عنهم في قضية صفاته سبحانه وتعالى .

ثم حدث بعد عصر الصحابة ، في أوائل المائة الثانية ، مذهب جهم بن صفوان[٣]. فقد ظهر جهم ببدعه التي تثير الشكوك في نفوس المسلمين وتفرق كلمتهم . ومن البدع التي جاء بها هي القول بخلق القرآن ونفي رؤية الله في الآخرة ونفي الصفات من الله تعالى.[٤]

ومقالة نفي الصفات أول ما ظهر في الاسلام من الجعد بن درهم[٥]، فان الجعد هذا كان يزعم أن الله تعالى لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ، فأخذه خالد بن عبد الله القسري[٦] وذبحه على ذلك ، فانه

---

(١) انظر: مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ، ٤٥/١ -

(٢) سورة الأنبياء ، ٢٧ .

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية ، ٨٤/١ ، خطط المقريزي ، ٣٥٧/٢ .

(٤) انظر من آرائه ، مقالات الاسلاميين ، ٣١٢/١ ، الفرق بين الفرق ، ص ٢١١ - ٢١٢ ، التبصير في الدين ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، الملل والنحل ، ٨٦/١ - ٨٨ ، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ص ١٩ ، جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الاسلامي لخالد العسلي ص ٧١ و ٩٦ و ١٠٠ .

(٥) مجموع الفتاوى ، ٢٠/٥ ، منهاج السنة النبوية ، ٨٤/١ ، مجموعة الرسائل الكبرى ، ١٣٢/١ .

والجعد بن درهم ، هو مولى سويد بن غفلة ، مبتدع له أخبار في الزندقة ، سكن الجزيرة وأخذ عنه مروان بن محمد لما ولي الجزيرة ، في أيام هشام بن عبد الملك ، فنسب اليه . قتل نحو سنة ١١٨ هـ . انظر: لسان الميزان ١٠٥/٢ ، اللباب ٢٨٢/٢ ، تاج العروس ٣٢١/٢ ، الأعلام ١٢٠/٢ .

(٦) أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري ، من بجيلة ، أمير العراقين (الكوفة والبصرة) . ولد سنة ٦٦ وتوفي سنة ١٢٦ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٢٢٦/٢ - ٢٣١ ، الأعلام ٢٩٧/٢ -

لما صلى بالناس يوم الأضحى بواسط، قام وخطب ومما قال في آخر خطبته:
" ارجعوا فضحوا تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله علوا كبيرا عما يقول ابن درهم "، ثم نزل فذبحه.(١)

فالجعد بن درهم هو أول من قال بنفي الصفات، ثم أخذ عنه هذه المقالة جهم بن صفوان، فقام بصوره يظهرها وينشرها ويدافع عنها، فنسب بذلك الجهمية اليه.(٢)

" وقد قيل: ان الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم: اليهودي الساحر(٣) الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم ".(٤)

---

(١) خلق أفعال العباد للبخاري: ص ١١٨، الرد على الجهمية للدارمي: ص ٧، منهاج السنة النبوية: ٨٤/١، مجموعة الرسائل الكبرى: ١٣٢/١ .

(٢) انظر: خلق أفعال العباد: ص ١١٨، الرد على الجهمية للدارمي: ص ٧، مجموع الفتاوى: ٢٠/٥، منهاج السنة النبوية: ٨٤/١ .

(٣) لبيد بن الأعصم: يهودي من يهود بني زريق .
وأما سحره للرسول صلى الله عليه وسلم فقد رواه أحمد في المسند ٥٧/٦ و ٦٣ و ٩٦، والبخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس وجنوده ٣٣٤/٦، وفي كتاب الطب باب السحر ٢٢١/١٠، وباب هل يستخرج السحر؟ ٢٣٢/١٠ـ٢٣٣، وباب السحر ٢٣٥/١٠ـ٢٣٦، وفي كتاب الأدب باب قول الله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ...) ٤٧٩/١٠، وفي كتاب الدعوات باب تكرير الدعاء ١٩٢/١١ـ١٩٣، ورواه مسلم في كتاب السلام باب السحر ١٧١٩/٤ ـ ١٧٢٠، وابن ماجه في كتاب الطب باب السحر ١١٧٣/٢ .
وانظر أيضا: الروض الأنف للسهيلي: ٢٩٠/٢ .

(٤) مجموع الفتاوى: ٢٠/٥ .

كما قيل: ان الجعد هذا كان من أهل حران، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة، وكانت الصابئة آنذاك، الا قليلا منهم، على الشـرك وعلماؤهم هم الفلاسفـة.(١)

فيظهر مما سبق ذكره أن أصل مقالة التعطيل التى قام جهم بن صفوان باظهارها انما هو مأخوذ من تلامذة اليهـود والمشركين وضلال الصابئين. (٢)

وقد كان لظهور جهم بن صفوان ببدعة نفى الصفات آثار قبيحة تولد عنها بلاء كبير بين صفوف المسلمين. فمنهم من أخذ مقالته فهذبها وطورها كالمعتزلة ومن وافقهم(٣)، ومنهم من قابله ببدعة مثلها، فأثبت لله تعالى صفات كصفات خلقه وهم المجسمة والمشبهة(٤)، ومنهم من خالفه وناقشه وبيّن تناقضه، لكن بطريقة لم يعتمد فيها على منهج السلف رضى الله عنهم وذلك كالكلابية والأشعرية وغيرهم.(٥)

فاختلف المسلمون - بظهوره - أحزابا، وتفرقوا شيعا، بعد أن كانوا متفقين، غير مختلفين، فى قضية الصفـات. فأصبحت المناهج التى سلكها الناس من ذلك العهد تختلف باختلاف آرائهم وتتعدد تبعا لأهوائهم.

وخلاصـة القول، فقد اختلف الخلف فى منهجهم فى الصفـات،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٠/٥ - ٢١، وانظر أيضا: الأعلام ١٢٠/٢، معجم البلدان: ٢٣٥/٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٠/٥.

(٣) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للامام أحمد ص ٦٦-٦٧، منهـاج السنة النبوية ٨٤/١، خطط المقريزى ٣٥٧/٢، تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٥٩، جهم بن صفوان ومكانته فى الفكر الاسلامى ص ١٦٧.

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية: ٨٤/١ - ٨٥.

(٥) انظر: نفس المرجع: ٨٥/١.

وكان منشأ هذا الاختلاف هو ظهور جهم بن صفوان ببدعة نفي الصفات عن الله عز وجل .

المبحث الثاني : منهج الخلف في الصفات .

أشرت في المبحث السابق أن الخلف اختلفوا في مناهجهم في قضية الصفات الالهية بسبب ظهور جهم بن صفوان ببدعة نفي الصفات .
و مناهج الخلف في الصفات يمكن حصرها في ثلاثة :

(١) منهج النفي
(٢) منهج الوقف
(٣) منهج التشبيه

(١) منهج النفي :

والمراد بهذا المنهج هو نفي جميع ما أثبته الله تعالى في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، أو نفي بعضها دون بعض .

وأصحاب هذا المنهج يقولون : " ان آيات الصفات ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط ، وأن الله لا صفة له ثبوتية ، بل صفاته اما سلبية ، واما اضافية ، واما مركبة منهما ، أو يثبتون بعض الصفات دون بعض ".(١)

وهؤلاء قسمان :

قسم يسلكون منهج التأويل ، وقسم يسلكون منهج التخييل .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١١٦/٥ .

أ - منهج التأويل :

وأصحاب هذا المنهج يقولون : " ان النصوص الواردة فى الصفات لها تأويلات تخالف مادلت عليه ظواهر الألفاظ . وان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين لهم مرادها ولم يدلهم على الحق الذى يجب اعتقاده ، ولكن أراد أن يبحثوا بعقولهم حتى يعرفوا الحق ، ثم يجتهدوا فى تأويل النصوص عن مدلولها . ومقصوده هو امتحانهم وتكليفهم واتعاب عقولهم ليثابوا على ذلك ".(١)

وهؤلاء على مراتب :

١ - نفى الأسماء والصفات :

وهذا هو منهج الجهمية.(٢) فانهم تأولوا القرآن على غير تأويله ، وكذبوا بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعموا أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه فى كتابه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فى حديثه كان كافرا وكان من المشبهة.(٣)

تقول الجهمية : " ان الله تعالى لا يوصف بما وصف به العباد ، فلا يجوز أن يقال فى حقه انه حي، أو عالم ، أو مريد ، أو موجود ، لأن هذه الصفات تطلق على العبيد ... وانما يقال فى وصفه انه قادر ، موجد ، فاعل ، خالق ، محيى ، مميت ، لأن هذه الصفات لا تطلق على العبيد".(٤)

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى : ٦٧/٤ ، ٣٢/٥ ، ٣٥٧/١٧ ، درء تعارض العقل والنقل : ١٢/١ .

(٢) أتباع جهم بن صفوان السمرقندى . وتقدمت ترجمته ، فى : ص ٨٥ .

(٣) انظر : الرد على الزنادقة والجهمية للامام أحمد : ص ٦٦ .

(٤) التبصير فى الدين : ص ١٠٨ ، وانظر : مقالات الاسلاميين ٢٣٨/١ و ٣١٢ ، الفرق بين الفرق ص ٢١١ ، الملل والنحل : ٨٦/١ .

وهؤلاء الجهمية الذين ينفون أسماء الله تعالى وصفاته، لم ينكروا إطلاقها على الله، ولكنهم يزعمون أن إطلاقها عليه تعالى على سبيل المجاز، لا حقيقة لها، فهو سبحانه - عندهم - ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم.(١)

٢ - نفي الصفات وإثبات الأسماء:

وهذا منهج المعتزلة(٢) ومن وافقهم. وسموا منهجهم هذا بالتوحيد.(٣) فإنهم يقولون: "هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به، لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الالهية".(٤)

وكان أكثر المعتزلة يقولون بهذه المقالة،(٥) ومنهم من يقول: "... عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدرة وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته".(٦) ومعنى هذا أن علم الله سبحانه هو الله، وقدرته هي هو، وحياته هي هو.(٧)

---

(١) انظر: التسعينية لابن تيمية: ص ٤٠.

(٢) المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة، المتوفى سنة ١٣١ هـ. انظر في ترجمته: وفيات الأعيان ٧/٦-١١، لسان الميزان ٢١٤/٦، شذرات الذهب ١٨٢/١-١٨٣، فرق وطبقات المعتزلة ص ٤١ - ٤٨، الأعلام ١٠٩/٨، معجم المؤلفين ١٥٩/١٣.
وسموا معتزلة لاعتزال زعيمهم قول الأمة في مرتكب الكبيرة من المسلمين، وزعمه أنه لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين منزلتي الكفر والايمان. انظر: الملل والنحل ٤٨/١، الفرق بين الفرق ص: ٢١ و ١١٨، خطط المقريزي ٣٤٥/٢ - ٣٤٦.

(٣) انظر: فرق وطبقات المعتزلة ص ١٣٧، شرح الأصول الخمسة ص ١٤٩، الملل والنحل ٤٥/١، مجموع الفتاوى ٩٩/٣.

(٤) الملل والنحل ٤٤/١، وانظر مقالات الاسلاميين ٢٢٤/١.

(٥) مقالات الاسلاميين ٢٢٤/١.

(٦) الملل والنحل ٤٩/١ - ٥٠.

(٧) مقالات الاسلاميين ٢٢٥/١، الفرق بين الفرق ص ١٢٧.

والفرق بين القولين - الأول والثاني - هو "أن الأول نفي الصفة، والثاني ... اثبات صفة هي بعينها ذات"(١). ولكن لازم القولين واحد وهو نفي الصفات عن الله تبارك وتعالى .

ولذلك كان المعتزلة في توحيدهم لله تعالى - على حد تعبيرهم - يقولون بأن الله سبحانه وتعالى :

" ... واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وليس بجسم، ولا شبح، ولا جثة، ولا صورة، ولا لحم، ولا دم، ولا شخص، ولا جوهر ولا عرض، ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسّة، ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة، ولا طول ولا عرض ولا عمق، ولا اجتماع ولا افتراق، ولا يتحرك ولا يسكن، ولا يتبعض، وليس بذي أبعاض وأجزاء، وجوارح وأعضاء، وليس بذي جهات، ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم، ولا يوصف بأنه متناه، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات، وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود، ولا تحيط به الأقدار، ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الحواس، ولا يقاس بالناس، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه، ولا تجري عليه الآفات، ولا تحل به العاهات، وكل ما خطر بالبال وتصوّر بالوهم فغير مشبه له، لم يزل أولا سابقا متقدما للمحدثات، موجودا قبل المخلوقات، ولم يزل عالما قادرا حيا، ولا يزال كذلك، لا تراه العيون، ولا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأوهام، ولا يسمع بالأسماع، شيء لا كالأشياء، عالم قادر حي لا كالعلماء القادرين الأحياء، وأنه القديم وحده، ولا قديم غيره، ولا إله سواه، ولا شريك له في ملكه، ولا وزير له في سلطانه، ..."(٢)

---

(١) الملل والنحل : ٥٠/١ .

(٢) مقالات الاسلاميين : ٢١٦/١ .

فهذه من جملة قولهم فى التوحيد، خلطوا فيها الحق بالباطل، وحقيقة مرادهم نفى الصفات التى أثبتها الله فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. ويظهر مما تقدم نقله أنهم وصفوا الله تعالى بالصفات السلبية.

وقد شاركهم فى جملة قولهم هذا الخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشيعة.[١]

وشبهة هؤلاء فى نفى صفاته تعالى هى أن الصفات أعراض لا تقوم الا بجسم، وما قام به الصفات لا يكون الا جسما.[٢] وعلى ذلك تأولوا النصوص الواردة فى اثبات صفاته عزوجل، اما بجعلها مخلوقة، أو بجعلها نفس ذات الله تعالى،[٣] واما بصرف النصوص من مدلولها كتأويلهم الاستواء بالاستيلاء، واليد بمعنى النعمة أو القدرة.[٤]

وقد وافق المعتزلة الجهمية فى مسألة نفى الصفات وفى غيرها من المسائل، كنفى رؤية الله والقول بخلق القرآن. ولعل هذه الموافقة والاشتراك بينهما هو الذى دعا الى تسمية المعتزلة بالجهمية، لأن أفكار الجهمية نابت فى المعتزلة وسرت فيهم أكثر منهم فى غيرهم.

يقول جمال الدين القاسمى[٥]: " ان تلقيبهم - أى المعتزلة -

---

(١) مقالات الاسلاميين : ٢١٧/١ .

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية: ١٧٣/١ .

(٣) انظر: مقالات الاسلاميين : ٢٢٥/١ .

(٤) انظر: الابانة للأشعرى : ص ٨٦ و ٦٩ و ١٠٠ .

(٥) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمى، الحلاق. عالم مشارك فى أنواع من العلوم. ولد بدمشق سنة ١٢٨٣ وتوفى بها سنة ١٣٣٢ هـ . انظر: الأعلام ١٣٥/٢ ، معجم المؤلفين ١٥٧/٣ - ١٥٨ .

بالجهمية انما كان لما وجد من موافقتهم فى تلك المسائل مع مراعاة سبقهم فيها على المعتزلة وتمهيدهم السبيل للتوسع فيها ".(١)

٣ - اثبات الأسماء وبعض الصفات دون بعض :

وهذا منهج الكلابية(٢) والأشعرية(٣) ومن وافقهم . فان هؤلاء يثبتون الصفات العقلية(٤) كالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام . وأما الصفات الأخرى التى لا يمكن اثباتها - فى زعمهم - بطريق العقل ، كالاستواء والنزول واليد والوجه والعين وغيرها ، فهم يؤولونها ويجعلونها من المجاز .

---

(١) تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمى، ص ٤٥ .

(٢) الكلابية هم أتباع أبى محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصرى ، المتوفى سنة ٢٤٥ هـ . انظر فى ترجمته : طبقات الشافعية ٥١/٢ - ٥٢، لسان الميزان ٢٩٠/٣ - ٢٩١ ، الأعلام ٩٠/٤، معجم المؤلفين ٥٩/٦ .

(٣) الأشعرية هم أتباع أبى الحسن على بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم ابن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى . ولد سنة ٢٦٠ وقيل سنة ٢٧٠ ، وتوفى سنة ٣٢٤ وقيل سنة ٣٣٠ وقيل سنة نيف و ٣٣٠ هـ . انظر فى ترجمته : تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٣٤ - ٥٦، وفيات الأعيان ٢٨٤/٣ - ٢٨٦ ، طبقات الشافعية ٢٤٥/٢ - ٢٥٤ ، البداية والنهاية ١٨٧/١١، خطط المقريزى ٣٥٩/٢ ، شذرات الذهب ٣٠٣/٢ - ٣٠٥ ، الأعلام ٢٦٣/٤، معجم المؤلفين ٣٥/٧ .

وكان للأشعرى ثلاثة أطوار، أولها : انتماؤه الى المعتزلة ، الثانى: خروجه عليهم ومعارضته لهم بسلوك طريقة ابن كلاب ، الثالث: انتقاله الى مذهب السلف وتأليفه فى ذلك مثل كتاب الابانة عن أصول الديانة وكتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . فهو بذلك برىء من أقوال الأشعرية المتأخرين . انظر: أبو الحسن الأشعرى وعقيدته ، للشيخ حماد بن محمد الأنصارى ، ص : ١٦ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى : ١٠٣/٣ .

يقول اللقانى[1] صاحب جوهرة التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيها أوّله أو فوّض و رم تنزيها[2]

ويقول شارحه : " وقوله " أوله " أى احمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد، فالمراد: أوله تأويلا تفصيليا بأن يكون فيه بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف ... وقوله " أو فوض " أى بعد التأويل الاجمالى الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره، فبعد هذا التأويل فوّض المراد من النص الموهم اليه تعالى على طريقة السلف ...".[3]

فهو يشير هنا الى أن منهج الخلف هو التأويل ، وأن منهج السلف هو التفويض . وليس الأمر كذلك بالنسبة لمنهج السلف، فان منهجهم واضح كما مر بيانه وهو اثبات الصفات على ظاهرها اللائق بجلال الله بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، وليس منهجهم هو التفويض الذى هو فى الحقيقة التجهيل ، بل يعرفون معانى أسماء الله وصفاته ولكن بدون تكييف .

وقد ذكر الشارح أمثلة من الصفات التى ظاهرها يوهم التشبيه ، ثم أولها على طريقة الخلف ، مثل تأويل الاستواء بالاستيلاء و الملك ، والنزول بنزول الملك ، والوجه بالذات، واليد بالقدرة .[4]

---

(١) برهان الدين أبو الامداد ابراهيم بن ابراهيم بن حسن اللقانى المالكى المصرى . توفى سنة ١٠٤١ هـ . انظر: الأعلام ٢٨/١، معجم المؤلفين ٢/١ .

(٢) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجورى ، ص ٩١ .

(٣) نفس المرجع ، بنفس الصفحة .

(٤) انظر: نفس المرجع ، ص : ٩٢ و ٩٣ .

وبالجملة فان هؤلاء يثبتون الصفات العقلية ، وأما الصفات الخبرية وهى التى لا يمكن اثباتها - فى زعمهم - بطريق العقل فهم لا يثبتونها .

وقد سموا " الصفاتية " لأنهم يثبتون الصفات لله تعالى خلافا للمعتزلة.[1]

وهؤلاء وان كانوا فى قضية الصفات أقرب الى السلف من غيرهم ، لاثباتهم جملة من الصفات ، الا أنهم لم يسلكوا فى هذه القضية منهج السلف ، بل باشروا علم الكلام وأيدوا مقالتهم بمناهج كلامية.[2]

ب - <u>منهج التخييل</u> :

وأصحاب هذا المنهج يزعمون أن ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الايمان بالله واليوم الآخر انما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق ، ولا هدى به الخلق ، ولا أوضح به الحقائق ، اذ ليس فى قواهم ادراك هذه الحقائق وفهمها ، ففهمها لهم بضرب الأمثال ، وقربها لهم بابرازها فى الصور المحسوسة.[3]

وهم يقولون :

" ولو دعت الرسل أممهم الى الاقرار برب لا داخل العالم ، ولا خارجه ، ولا محايثه ، ولا مباينا له ، ولا متصلا به ، ولا منفصلا عنه ، ولا فوقه ،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٥٢٠/٦ .

(٢) انظر: الملل والنحل : ٩٣/١ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٣١/٥، ٣٥٦/١٧، درء تعارض العقل والنقل ٨/١-٩، مختصر الصواعق المرسلة : ٨٠/١ .

ولا تحته ، ولا عن يمينه ، ولا عن يساره ، لنفرت عقولهم من ذلك ولم تصدق بامكان هذا الموجود ، فضلا عن وجوب وجوده . وكذلك لو أخبروهم بحقيقة كلامه وأنه فيض فاض من المبدأ الأول على العقل الفعال ثم فاض من ذلك العقل على النفس الناطقة الزكية المستعدة، لم يفهموا ذلك . ولو أخبروهم عن المعاد الروحانى بما هو عليه ،لم يفهموه . فقربوا لهم الحقائق المعقولة بابرازها فى الصور المحسوسة ، وضربوا لهم الأمثال بقيام الأجساد من القبور فى يوم العرض والنشور، و مصيرها الى الجنة فيها أكل و شرب ولحم وخمر وجوار حسان ، أو نار فيها أنواع العذاب ، تفهيما للذات الروحانية بهذه الصورة وللألم الروحانى بهذه الصورة . وهكذا فعلوا فى وجوب الرب تعالى وصفاته وأفعاله ، ضربوا لهم الأمثال بموجود عظيم جدا أكبر من كل موجود ، وله سرير عظيم وهو مستو على سريره ، يسمع ويبصر و يتكلم ويأمر وينهى ويرضى ويغضب ، ويأتى ويجىء ، وينزل ، وله يدان ووجه ويفعل بمشيئته ، واذا تكلم العباد سمع كلامهم ، واذا تحركوا رأى حركاتهم ، واذا هجس فى قلب أحد منهم هاجس علمه ، وأنه ينزل كل ليلة اليهم الى سمائهم هذه فيقول : " من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له " الى غير ذلك مما نطقت به الكتب الالهية ".(١)

فعند أصحاب هذا المنهج أن عموم الخلق لا يمكنهم فهم هذه الحقائق ، فأظهر لهم الرسل تلك الحقائق العقلية فى القوالب الحسية و خاطبوهم بضرب الأمثال لينتفعوا بذلك وينالوا السعادة بحسب امكانهم واستعدادهم ، لأن خطابهم للخلق عن الله واليوم الآخر بالتخييل و تمثيل المعقول بصورة المحسوس يقرر فى النفوس من عظمة الله وعظمة اليوم الآخر

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة : ١/٨٠ ـ ٨١ .

ما يبعث النفوس على عبادة الله وحده والتوكل عليه والانابة اليه.

وحقيقة الأمر عند أصحاب هذا المنهج "أن الذى أخبرت به الرسل من الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعن اليوم الآخر، لا حقيقة له تطابق ما أخبروا به، ولكنه أمثال وتخييل وتفهيم بضرب الأمثال".(١)

ومما مرّ ذكره يتبين أن منهجهم فى الحقيقة هو نفى الأسماء والصفات عن الله تعالى.

والذين ينتهجون هذا المنهج هم الباطنية والفلاسفة كأمثال ابن سينا (٢) وغيره.

فان القرامطة من الباطنية يقولون: "ان الرسل كانوا كلموا الخلق بخلاف ما هو الحق، وأظهروا لهم خلاف ما يبطنون"، ويقولون: "انهم كذبوا لأجل مصلحة العامة، فان مصلحة العامة لا تقوم الا باظهار الاثبات، وان كان فى نفس الأمر باطلا". (٣)

ويقول ابن سينا فى فصل فى "اثبات النبوة وكيفية دعوة النبى الى الله والمعاد" - بعد أن بين وجوب وجود نبى ووجوب كونه انسانا ووجوب كون لديه خصوصية ليست لسائر الناس وهى المعجزات - يقول:

"فهذا الانسان اذا وجد، وجب أن يسن للناس فى أمورهم سننا بأمر الله تعالى واذنه ووحيه وانزاله الروح القدس عليه، فيكون الأصل

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة: ٨١/١.

(٢) أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا البلخى ثم البخارى. ولد سنة ٣٧٠ و توفى سنة ٤٢٨ هـ. انظر فى ترجمته: وفيات الأعيان ١٥٧/٢ - ١٦٢، شذرات الذهب ٢٣٤/٣ - ٢٣٧، الأعلام ٢٤١/٢، معجم المؤلفين ٢٠/٤.

(٣) مجموع الفتاوى: ١٦٨/٥.

فيما يسنه تعريفه اياهم أن لهم صانعا واحدا قادرا وأنه عالم بالسر والعلانية وأنه من حقه أن يطاع أمره ، وأنه يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق ، وأنه قد أعد لمن أطاعه المعاد المسعد ولمن عصاه المعاد المشقى حتى يتلقى الجمهور رسمه المنزل على لسانه من الاله والملائكة بالسمع والطاعة. ولا ينبغى له أن يشغلهم بشيء من معرفة الله تعالى فوق معرفة أنه واحد حق لا شبيه له ، فأما ان يتعدى بهم الى تكليفهم أن يصدقوا بوجوده وهو غير مشار اليه فى مكان فلا ينقسم بالقول ولا هو خارج العالم ولا داخله ، ولا شيء من هذا الجنس ، فقد عظم عليهم الشغل وشوش فيما بين أيديهم الدين وأوقعهم فيما لا يخلص عنه الا من كان الموفق الذى يشذ وجوده ويندر كونه ، فانه لا يمكنهم أن يتصوروا حقيقة هذا التوحيد والتنزيه ، فلا يلبثون أن يكذبوا بمثل هذا الوجود أو يقعوا فى الشارع وينصرفوا الى المباحثات والمقايسات التى تصدهم عن أعمالهم البدنية وربما أوقعتهم فى آراء مخالفة لصلاح المدينة ومنافية لواجب الحق ، فكثرت فيهم الشكوك والشبه وصعب الأمر على اللسان فى ضبطهم ، فما كل بمتيسر له فى الحكمة الالهية ولا يصح بحال أن يظهر أن عنده حقيقة يكتمها عن العامة ، بل لا يجب بأن يرخص فى التعريض بشيء من ذلك ، بل يجب أن يعرفهم جلالة الله وعظمته برموز و أمثلة من الأشياء التى هى عندهم عظيمة وجليلة ويلقى اليهم منه هذا القدر ، أعنى أنه لا نظير له و لا شبيه ولا شريك . وكذلك يجب أن يقرر عندهم أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته وتسكن اليه نفوسهم ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمونه ويتصورونه ، وأما الحق فى ذلك فلا يلوح لهم منه الا أمرا مجملا ، وهو أن ذلك شيء لا عين رأت ولا أذن سمعت وأن هناك من اللذة ما هو ملك عظيم ، ومن الألم ما هو عذاب مقيم ".(١)

---

(١) النجاة لابن سينا ، ص : ٥٠٠ - ٥٠١ .

وقصارى القول ، فان أهل التخييل وأهل التأويل متفقان على ابطال حقائق نصوص الصفات . الا أن الثانية أوجبوا أو سوغوا تأويلها بما يخرجها عن حقائقها ، ظنا منهم أن مقصود الرسل هو امتحان المخاطبين وتكليفهم ببذل الجهد فى تأويلها للحصول على ثواب أعظم ، وأما الأولى فانهم منعوا التأويل ، لكن جعلوا تلك النصوص مجرد تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور. (١)

(٢) منهج الوقف :

أصحاب هذا المنهج يتوقفون ازاء آيات الصفات وأحاديثها ، لا يجرونها على ظواهرها اللائقة بجلال الله تبارك وتعالى، ولا ينفون كذلك ظواهرها ، وهم يقولون : " نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ، ولا يدرى ما أراد الله ورسوله منها ، ولكن نقرؤها ، ألفاظا لا معاني لها ، ونعلم أن لها تأويلا لا يعلمه الا الله ، وهى عندنا بمنزلة (كهيعص) و (حمعسق) و (المص) . فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلا ولا تشبيها ، ولم نعرف معناه ، وننكر على من تأوله ، ونكل علمه الى الله تعالى ". (٢)

و يظن هؤلاء أن هذا منهج السلف رضى الله عنهم ، وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات ولا يفهمون معنى قوله تعالى (لما خلقت بيدى)[٣]، وقوله (الرحمن على العرش استوى)[٤]، وقوله

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة : ٨١/١ .

(٢) نفس المرجع : ٨١/١-٨٢ ، وانظر: مجموع الفتاوى : ٣٤/٥، ٣٥٨/١٧ .

(٣) سورة ص : ٧٥ .

(٤) سورة طه : ٥ .

(ويبقى وجه ربك)[١] وأمثال ذلك من نصوص الصفات . فهم يزعمون أن السلف في أمثال هذه النصوص يقولون : " لله استواء لا نعلمه ، وله يد و وجه لا نعلمهما ".[٢]

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن هذا المنهج يسلكه كثير من المنتسبين الى السنة وأتباع السلف .[٣]

وهؤلاء بنوا منهجهم هذا على أصلين : أحدهما : أن هذه النصوص من المتشابه ، والثاني : أن للمتشابه تأويلا لا يعلمه الا الله .[٤]

واعتمدوا في مذهبهم هذا على قوله سبحانه وتعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله)[٥]. فهذه الآية هي عمدتهم ، ظنا منهم أن المراد بالتأويل في كلام الله هو التأويل الاصطلاحي المذكور في كلام المتأخرين ، وهو : صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به .[٦]

وخلاصة القول ، فان من الخلف من يسلكون منهج الوقف في قضية صفات الله زعما منهم أن هذا المنهج هو نفس منهج السلف ، وقد سموا

---

(١) سورة الرحمن : ٢٧ .

(٢) انظر: تحفة المريد، ص : ٩٢ و ٩٣ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٣٤/٥، ٣٥٨/١٧ .

(٤) مختصر الصواعق المرسلة : ٨٢/١ .

(٥) سورة آل عمران : ٧ .

(٦) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٥/٥، ٣٥٩/١٧ .

منهجهم هذا بمنهج التفويض.[1] وليس الأمر كذلك، فالتفويض عند السلف في كيفية الصفات وليس في معانيها .

(٣) منهج التشبيه :

وهذا منهج الذين يثبتون الصفات لله تعالى، الا أنهم يغلون في اثباتها الى حد التشبيه، فيفهمون منها مثل ما للمخلوقين ويجعلونها من جنس صفاتهم، ويظنون أن لا حقيقة لها الا ذلك . وأصحاب هذا المنهج يقولون: " محال أن يخاطبنا الله بما لا نعقله، ثم يقول (لعلكم تعقلون)[2] (لعلكم تتفكرون)[3] (ليدّبّروا آياته)[4] ".[5]

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن الذين انتحلوا هذا المنهج هم الغلاة من الرافضة، ومن جهال أهل الحديث، وبعض المنحرفين.[6]

ومن فرق المشبهة :

الهشامية : أتباع هشام بن الحكم الرافضي[7]، وهو أول من قال

---

(١) انظر: تحفة المريد، ص : ٩١ .

(٢) سورة البقرة: ٧٣ و ٢٤٢، سورة الأنعام: ١٥١، سورة يوسف : ٢، سورة النور: ٦١، سورة غافر: ٦٧، سورة الزخرف : ٣، سورة الحديد: ١٧ .

(٣) سورة البقرة : ٢١٩ و ٢٦٦ .

(٤) سورة ص : ٢٩ .

(٥) مختصر الصواعق المرسلة : ٨٣/١ .

(٦) انظر: مجموع الفتاوى : ٥١/٦ .

(٧) أبو محمد هشام بن الحكم الشيباني الكوفي . من كبار الرافضة ومشاهيرهم . وكان مجسما . توفي نحو سنة ١٩٠ هـ . انظر: الفهرست ص ٢٤٩ - ٢٥٠، لسان الميزان ١٩٤/٦، الأعلام ٨٥/٨، معجم المؤلفين ١٤٨/١٣ .

في الاسلام : " ان الله جسم ".[1] وزعم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية، وأنه طويل، عريض، عميق، وذو لون وطعم ورائحة ومجسّة، وأنه نور ساطع كالسبيكة الصافية، يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها.[2]

ومنهم الهشامية : المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقي[3]، الذي زعم أن معبوده على صورة الانسان، وأن نصفه الأعلى مجوّف، ونصفه الأسفل مصمت، وله شعر أسود، وقلب تنبع منه الحكمة، وليس بلحم ودم، بل هو نور ساطع يتلألأ بياضا، وأنه ذو حواس خمس كحواس الانسان، له يد ورجل وأنف وأذن وعين وفم، وأنه يسمع بغير ما يبصر به، وكذلك سائر حواسه متغايرة.[4]

ومنهم البيانية : أتباع بيان بن سمعان[5]، القائل : " هو على

---

(١) انظر : منهاج السنة النبوية : ٢٠٣/١ و ٢٢٨، مجموعة الرسائل الكبرى: ١١٥/١.

(٢) انظر : مقالات الاسلاميين ١٠٢/١، الفرق بين الفرق ص : ٦٥ و ٢٢٧، خطط المقريزي ٣٤٨/٢، التبصير في الدين ص ١٢٠.

(٣) أبو عبد الله بن مملك الأصفهاني، من متكلمي الرافضة وكبارهم، مفرط في التجسيم والتشبيه. وله مع أبي علي الجبائي مجلس في الامامة وتثبيتها بحضرة أبي محمد القاسم بن محمد الكرخي. انظر : الفهرست ص ٢٥٢، الفرق بين الفرق ص ٦٨ - ٦٩. والجواليقي : بفتح الجيم والواو وكسر اللام بعد الألف وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفي آخرها القاف - نسبة الى الجواليق جمع جوالق. ولعل بعض أجداد المنتسب اليها كان يبيعها أو يعملها. انظر : اللباب في تهذيب الأنساب ٣٠١/١.

(٤) انظر : مقالات الاسلاميين ١٠٥/١، الفرق بين الفرق ص : ٦٨ - ٦٩، خطط المقريزي ٣٤٨/٢، التبصير في الدين ص ١٢٠.

(٥) بيان بن سمعان النهدي التميمي. ظهر بالعراق بعد المائة، وقال بالهية علي وأن فيه جزءا الهيا متحدا بناسوته، ثم من بعده في ابنه محمد بن الحنفية، ثم في أبي هاشم ولد ابن الحنفية، ثم من بعده في بيان هذا. وكتب بيان الى أبي جعفر الباقر يدعوه الى نفسه وأنه نبي. قتله خالد بن عبد الله القسري وأحرقه بالنار. انظر : لسان الميزان ٦٩/٢ - ٧٠.

صورة الانسان، ويهلك كله الا وجهه، لظاهر الآية (كل شيء هالك الا وجهه)[1] ". (٢)

ومنهم المغيرية : أتباع المغيرة بن سعيد البجلي[٣] "الذي زعم أن معبوده ذو أعضاء وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء". (٤)

ومنهم المشبهة المنسوبة الى داود الجواربي[٥] ، القائل : " ان الله جسم وأنه جثة على صورة الانسان : لحم ودم وشعر وعظم ، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين ، وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه ". (٦)

تلك هي أمثال من الفرق التي تسلك منهج التشبيه .

---

(١) سورة القصص : ٨٨ .

(٢) خطط المقريزي ٣٤٩/٢، وانظر : الفصل ١٨٥/٤، الفرق بين الفرق ص ٢٢٦، التبصير في الدين ص ١١٩ .

(٣) أبو عبد الله المغيرة بن سعيد البجلي الكوفي الرافضي ، دجال مبتدع ، جمع بين الالحاد والتنجيم . قتل في حدود العشرين و مائة على ادعاء النبوة ، قتله خالد بن عبد الله القسري وأحرقه بالنار . انظر : لسان الميزان ٧٥/٦ - ٧٨، الأعلام ٢٧٦/٧ - ٢٧٧ .

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٢٦، وانظر : الفصل ١٨٤/٤ ، التبصير في الدين ص ١١٩، خطط المقريزي ٣٤٩/٢ .

(٥) داود الجواربي : رأس في الرافضة والتجسيم ، من مرامي جهنم ، قال يزيد بن هارون : الجواربي والمريسي كافران . انظر : لسان الميزان ٤٢٧/٢ . والجواربي : بفتح الجيم والواو وكسر الراء وفي آخرها الباء الموحدة - نسبة الى الجوارب وعملها . انظر : اللباب في تهذيب الأنساب ٣٠٠/١ .

(٦) مقالات الاسلاميين : ٢٥٨/١ - ٢٥٩ ، وانظر : الفرق بين الفرق ص ٢٢٨ ، التبصير في الدين ص ١٢٠ .

ويبدو مما تقدم أن أساس زيغ الفرق المخالفة لمنهج السلف رضى الله عنهم على اختلافها هو أنهم فهموا من نصوص الصفات أن اثبات صفات الله تعالى يستلزم تشبيهه بخلقه ، ثم افترقوا فذهبت طوائف الى النفي الصريح أو المؤول خوفا من التشبيه ، وذهبت طوائف الى اقرار التشبيه الذى فهموه من النصوص.

الباب الثاني

موقف ابن تيمية من منهجي السلف والخلف

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : موقفه من منهج السلف

الفصل الثانى : موقفه من منهج الخلف

الفصل الثالث : موقفه من شبهات الخلف

الفصل الرابع : موقفه من التأويل والمجاز

— (الفصل الأول) —

موقفه من منهج السلف

وفيه مباحث :

المبحث الأول : منهج السلف عند ابن تيمية .

المبحث الثاني : موقفه من منهج السلف .

المبحث الثالث : رده على قول بعض المتأخرين : طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم .

المبحث الرابع : تنزيه السلف عن كل لقب مذموم .

==========

الفصل الأول

موقفه من منهج السلف

عرفنا فى الفصل الأول من الباب السابق أن منهج السلف رضى الله عنهم هو اثبات الصفات الواردة فى الكتاب والسنة على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى من غير تعطيل ولا تحريف ومن دون تمثيل ولا تكييف. فليس منهجهم هو منهج النفى، ولا منهج الوقف كما يزعم بعض الفرق، ولا منهج التشبيه كما رماهم به بعضهم.

واذا كان الأمر كذلك، فما منهج السلف رضى الله عنهم فى وجهة نظر ابن تيمية وما موقفه منه ؟

المبحث الأول : منهج السلف عند ابن تيمية.

ان ابن تيمية رحمه الله بعد دراسته الطويلة ومطالعته الواسعة لكلام السلف رضى الله عنهم وكلام من نقل مذهبهم فى باب الصفات، جزم بأن منهجهم هو ما سبق تقريره.

وقد حدد لنا ابن تيمية هذا المنهج وهو "أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون فى أسمائه وآياته، ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه".[1] وبتعبير أوجز كان

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٣/٣ و ١٢٩ - ١٣٠، ٤/٢ و٦ ، ٥/٢٦ و ٢٧ و١٩٥ و ٣٢٥ و ٣٢٩ ، ٦/٣٨ و٣٥٥ و٥١٥ ، ٨/٤٣٢ ، مجموعة الرسائل الكبرى : ١/١٢٠ و٢٧٧ ، منهاج السنة النبوية : ١/٢٤١ .

منهجهم في صفات الله تعالى هو" اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل".[١]

وقاعدتهم في ذلك هو قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[٢]، فقوله (ليس كمثله شيء) فيه دلالة على نفي المماثلة لغيره، وفيه رد على المشبهة الممثلة، وقوله (وهو السميع البصير) فيه دلالة على اثبات الصفات وفي نفس الوقت رد على النفاة المعطلة.[٣]

وقد سلك ابن تيمية طريقين لاثبات أن ذلك منهج السلف :[٤]

أحدهما : ذكر ابن تيمية ما تيسر من أقوال السلف رضي الله عنهم ومن روى ذلك من أهل العلم بالأسانيد المعتبرة . وقد ذكر رحمه الله حشدا هائلا من كلامهم[٥]، منها ما سبق أن ذكرته، مما يؤكد لنا صحة ما ذهب اليه أن منهج السلف في الصفات هو ذلك .

والطريق الثاني : ذكر ابن تيمية كلام من نقل مذهب السلف من جميع طوائف المسلمين، من طوائف الفقهاء الأربعة ومن أهل الحديث والتصوف وأهل الكلام كالأشعري وغيره .

ومثال ذلك : ما ذكره أبو سليمان الخطابي[٦] في رسالته

---

(١) مجموع الفتاوى : ٤/٣، ٤٣٢/٨، منهاج السنة النبوية :٢٤١/١ .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٤/٣ ، ١٩٦/٥ ، ٥١٥/٦ ، ٤٣٢/٨ ، منهاج السنة النبوية : ٢٤١/١ .

(٤) مجموع الفتاوى : ١٥٢/٤ .

(٥) انظر: نفس المرجع ٣٩/٥ ـ ٥٨ و ١٨٠ ـ ١٨٥ .

(٦) أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب الخطابي البستي، محدث فقيه أديب . ولد سنة ٣١٩ وتوفي سنة ٣٨٨ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٢١٤/٢ـ٢١٦، شذرات الذهب ١٢٧/٣ـ١٢٨، الأعلام ٢٧٣/٢ ، معجم المؤلفين ٦١/٢ .

المشهورة فى الغنيـة عن الكلام وأهله ، قال :

" فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها فى الكتاب والسنة ، فان مذهب السلف اثباتها واجراؤ ها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها . وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله ، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا فى ذلك الى ضرب من التشبيه والتكييف ، وانما القصد فى سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين ، ودين الله تعالى بين الغالى فيه والجافى والمقصر عنه ...".[١]

وما ذكره الشيخ الامام أبو محمد عبد القادر الجيلانى[٢] فى كتابه " الغنيـة " قال :

" أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهى أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد - الى أن قال: وهو بجهة العلو مستو على العرش ، محتو على الملك ، محيط علمه بالأشياء (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)[٣]،(يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)[٤]، ولا يجوز وصفه بأنه فى كل مكان ، بل يقال انه فى السماء على العرش ، كما قال(الرحمن على العرش استوى)[٥]. وذكر آيات وأحاديث الى أن قال: وينبغى اطلاق

---

(١) مجموع الفتاوى : ٥٨/٥ .

(٢) أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكيدوست الحسنى الجيلانى ، أو الكيلانى ، أو الجيلى. ولد سنة ٤٧١ هـ وتوفى سنة ٥٦١ هـ . انظر: فوات الوفيات ٣٧٣/٢ - ٣٧٤ ، شذرات الذهب ١٩٨/٤ - ٢٠٢ ، الأعلام ٤٧/٤ ، معجم المؤلفين ٣٠٧/٥ .

(٣) سورة فاطر : ١٠ .

(٤) سورة السجدة : ٥ .

(٥) سورة طه : ٥ .

صفة الاستواء من غير تأويل ، وأنه استواء الذات على العرش . قال: وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل بلا كيف ...»(١)

وما ذكره أبو عمر ابن عبد البر(٢) في "التمهيد" : "أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة ، لا على المجاز ، الا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ، ولا يحدون فيه صفة محصورة" . (٣)

وذكر ابن تيمية أيضا كلام الأشعري في كتابه "مقالات الاسلاميين" :

" قال أهل السنة وأصحاب الحديث ان الله ليس بجسم ولا يشبه الأشياء ، وأنه استوى على العرش كما قال (الرحمن على العرش استوى) ولا نتقدم بين يدي الله في القول ، بل نقول استوى بلا كيف ، وأن له وجها كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)(٤) وأن له يدين كما قال : (خلقت بيدي)(٥) ...".(٦)

هذه نبذة مما ساقه ابن تيمية من كلام من نقل منهج السلف في الصفات .(٧) ويتبين من ذلك أن منهجهم هذا منقول بالتواتر.

---

(١) مجموع الفتاوى: ٨٥/٥ ـ ٨٦ . وانظر: كتاب الغنية لعبد القادر الجيلاني ، الطبعة الثالثة ، ص ٥٤ ـ ٥٨ .

(٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المالكي . محدث حافظ مؤرخ عارف بالرجال والأنساب فقيه أديب . ولد سنة ٣٦٨ هـ وتوفي سنة ٤٦٣ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٦٦/٧ ـ ٧٢ ، شذرات الذهب ٣١٤/٣ ـ ٣١٦ ، الأعلام ٢٤٠/٨ ، معجم المؤلفين ٣١٥/١٣ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٨٧/٥ ، وانظر: التمهيد لابن عبدالبر ١٤٥/٧ .

(٤) سورة الرحمن : ٢٧ .

(٥) سورة ص : ٧٥ .

(٦) مجموع الفتاوى : ٩٢/٥ ـ ٩٣، وانظر: مقالات الاسلاميين ٣٢٠/١ .

(٧) انظر: مجموع الفتاوى ٥٨/٥، ـ ١٠١ و ١٨٥ ـ ١٩٣ .

ومن هنا تظهر صحة وجهة نظر ابن تيمية فى منهج السلف • فوجهة نظـره ليست مجرد دعوى ، بل مبنية على أسس علمية وأدلة يقينيـة •

وبناء على هذا ، كان ابن تيمية يتحدى مخالفيه فى هذه القضية على أن يأتوا بحرف واحد من أئمة الاسلام يخالف ما قرره سابقا فى منهج السلف، وقد أمهلهم رحمه الله مدة ثلاث سنين فلم يظفـروا بشيء من ذلك .(١)

يقول ابن تيميـة رحمه الله :

" والله يعلم أنى بعد البحث التام ومطالعـة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل - لا نصا ولا ظاهرا ولا بالقرائن - على نفى الصفـات الخبرية فى نفس الأمر، بل الذى رأيته أن كثيـرا من كلامهم يدل - اما نصا واما ظاهرا - على تقريـر جنس هذه الصفـات، ولا أنقل عن كل واحد منهم اثبات كل صفة ، بل الذى رأيته أنهم يثبتـون جنسها فى الجملة ، ما رأيت أحدا منهم نفاها ، وانما ينفـون التشبيـه وينكرون على المشبهـة الذين يشبهون الله بخلقه ، مع انكارهـم على من ينفى الصفـات أيضا ...". (٢)

وخلاصـة القول، فان منهج السلف فى وجهة نظر ابن تيميـة هو : " اثبات ما أثبته الله تعالى من صفاته من غير تحريف ولا تعطيـل، ومن غير تكييف ولا تمثيل". وهى وجهة نظـر صحيحة لكونها مبنيـة على أدلة علمية •

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٣/٢٦٥ •

(٢) نفس المرجع : ٥/١٠٩-١١٠ •

المبحث الثاني : موقفه من منهج السلف .

وإذا كان ابن تيمية قد بذل جهده في البحث والمطالعة ليبين لنا حقيقة منهج السلف في قضية الصفات وفي غيرها من القضايا ، فما كان موقفه من هذا المنهج ؟

موقفه من هذا المنهج هو أنه رجحه على غيره من المناهج ورأى أنه المنهج القويم الذي يجب على كل مسلم اتباعه والأخذ به ولا يجوز له العدول عنه والأخذ بما سواه .

قال رحمه الله لما سئل عن آيات الصفات :

" ... قولنا فيها ما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء ، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره ... ".(١)

فكان ابن تيمية ، كما اتضح من قوله هذا ، يرى أن منهج السلف هو المنهج الذي يجب اتباعه على جميع الخلق .

وقد دعا ابن تيمية الى هذا الترجيح أمور :

(أحدها) : أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذنه ، وشهد له بأنه بعثه داعيا اليه باذنه وسراجا منيرا ، كما قال تعالى : (الر ، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد)(٢) ، وقال تعالى : (يا أيها النبي انا أرسلناك

---

(١) مجموع الفتاوى : ٥/٥ - ٦ .

(٢) سورة ابراهيم : ١ .

شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا)[١]. وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته، كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)[٢]. واذا كان الأمر كذلك، فمن المحال في الدين والعقل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد ترك باب الايمان بالله والعلم به ملتبسا مشتبها، ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وما يجوز له وما يمتنع عليه. فان معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول.

(الثاني): أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده، كما قال عليه الصلاة والسلام: " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك "[٣]. وقال أبو ذر رضي الله عنه: " لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتقلب في السماء طائر الا ذكرنا منه علما ".[٤] واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ جميع ما شرعه الله، وعلم أصحابه كل شيء فيه منفعة لهم في الدين، فمن المحال أن يترك صلى الله عليه وسلم تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه في قلوبهم، في ربهم ومعبودهم الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول اليه أسمى المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الالهية.

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٥ - ٤٦.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) رواه أحمد في المسند ١٢٦/٤، وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ١٦/١، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه. واسناده حسن، لأن معاوية بن صالح صدوق له أوهام، وعبدالرحمن بن عمرو السلمي مقبول. انظر: تقريب التهذيب ٤٩٣/١ و ٢٥٩/٢.

(٤) رواه أحمد في المسند ١٦٢/٥، والطبراني في المعجم الكبير وفيه زيادة كما سيأتي ان شاء الله، انظر ص: ٢٣٣ من هذه الرسالة.

(الثالث): أن الله سبحانه وتعالى أمرنا باتباع سبيل المؤمنين كما قال في كتابه الكريم (ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)(١). وقد شهد الله لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان بالايمان ، فعلم قطعا أنهم المراد بالآية الكريمة ، حيث قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)(٢)، وقال تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا)(٣). فتقرر من ذلك أن من ابتع غير سبيلهم ولاه الله ماتولى وأصلاه جهنم ، وسبيلهم في هذا الباب الايمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

(الرابع): أن السلف رضي الله عنهم ومن تبعهم باحسان هم القرون الفاضلة ، فمن المحال أن يكونوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين ، لأن ضد ذلك اما عدم العلم والقول ، واما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الحق ، وكلا هما ممتنع فيهم .

(الخامس): أن السلف رضي الله عنهم كانوا أعظم الناس فقها وعلما ، وأرسخهم عقيدة ، وأكثرهم طمأنينة ، وهذا أمر معترف به بين الأمة ، لا ينازع فيه أحد الا من سلبه الله تعالى العقل والدين . وهم انما أوتوا هذه الأمور لأنهم معتصمون بما جاء به الكتاب والسنة ، لا يشكون فيه

---

(١) سورة النساء: ١١٥ .

(٢) سورة التوبة: ١٠٠ .

(٣) سورة الفتح: ١٨ .

ولا ينازعونه ، فلا نجد أحدا منهم تراجع عن عقيدتهم التى كانوا عليها .

(السادس) : أن بعض الخلف الذين اشتغلوا بغير الكتاب والسنة ، ونهلوا من الفلسفة ووردوا من علم الكلام ، قد أقروا وشهدوا على أنفسهم بالحيرة والاضطراب والضلال فى العقيدة ، كما شهدوا للسلف بالسلامة والخلاص من هذه الأمور . كقول بعض رؤسائهم :

" لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلا ، ولا تروى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ فى الاثبات (الرحمن على العرش استوى)[١] ، (اليه يصعد الكلم الطيب)[٢] ، واقرأ فى النفي (ليس كمثله شيء)[٣] ، (ولايحيطون به علما)[٤] ، ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى ".[٥]

هذه بعض الأمور التى جعلت ابن تيمية يرجح منهج السلف رضي الله عنهم على غيره من المناهج فى قضية الصفات الالهية وفى غيرها من القضايا ،[٦] ولذلك نراه - رحمه الله - كان يجاهد فى نصره وتحقيقه والدفاع عنه من كل افتراء وتشويه .

ومما سبق ذكره يتضح لنا صحة موقفنا من منهج السلف ، لأنه موقف موافق للحق الذى نطق به الكتاب والسنة وسار عليه خير القرون المفضلة .

---

(١) سورة طه : ٥

(٢) سورة فاطر : ١٠

(٣) سورة الشورى : ١١

(٤) سورة طه : ١١٠

(٥) قائله فخرالدين الرازى . انظر : شذرات الذهب ٢٢/٥ ، ومقدمة كتاب اعتقادات فرق المسلمين ص ٢٣ .

(٦) انظر : مجموع الفتاوى ١/٤ - ٢ ، ٦/٥ - ١٢ .

المبحث الثالث : رده على قول بعض المتأخرين : " طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم ":

لقد بذل ابن تيمية جهده في كتبه وفتاويه ورسائله لاثبات أن السلف رضي الله عنهم كانوا أهل نظر ودراية ، الى جانب كونهم أهل نقل ورواية ، وأنهم كانوا أسلم وأعلم وأحكم في قضية ذات الله وأسمائه وصفاته ، وفي غيرها من القضايا الدينية .

وانما عنى ابن تيمية بهذا الأمر ، لأن بعض المتأخرين رأوا أن المنهج الذي سلكه الخلف أفضل من منهج السلف ، فأدى بهم هذا الرأي الى أن يقولوا : " طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم ".

يقول صاحب تحفة المريد : "وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيد الايضاح والرد على الخصوم ، وهي الأرجح ".(١)

فهؤلاء المتأخرون القائلون بذلك انما فضلوا طريقة الخلف على طريقة السلف لأنهم ظنوا " أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث ، من غير فقه لذلك ، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني)(٢) ، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ".(٣)

فهذا الظن منهم - كما صرح به صاحب تحفة المريد - هو الذي

---

(١) انظر: تحفة المريد للبيجوري ص ٩١ .
(٢) سورة البقرة : ٧٨ .
(٣) مجموع الفتاوى : ٩/٥ .

أوجب تلك المقالة التي مضمونها تفضيل الخلف على السلف في العلم والبيان، والتحقيق والعرفان، ووصف السلف بالنقص والتقصير، أو الخطأ والجهل .

وقد عرف ابن تيمية رحمه الله أصل قولهم هذا فبين أن سبب ذلك هو " اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها اخوانهم من الكافرين ، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى - وهي التي يسمونها طريقة السلف - وبين صرف اللفظ الى معان بنوع تكلف - وهي التي يسمونها طريقة الخلف - فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع ، فان النفي انما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات ، والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه .

فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلا ههم ، واعتقاد أنهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة ، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الالهي ، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله ."(١)

وقول هؤلاء المتأخرين في وجهة نظر ابن تيمية مردود. ومن الأوجه التي رد بها رحمه الله على هذا القول : (٢)

(أحدها)، أن هذا القول اذا تدبره الانسان وجده في غاية

---

(١) مجموع الفتاوى، ٩/٥ - ١٠ .

(٢) انظر: نفس المرجع ١٠/٥ - ١٢ .

الجهل والتناقض . ذلك لأن وصف السلف بالسلامة يقتضي وصفهم بالعلم والحكمة ، لأنهم ما كانوا أسلم الا لكونهم أعلم وأحكم .

(الثاني): أن هذا القول يلزم منه تجهيل السلف والكذب عليهم ، لأنهم ظنوا أن طريقة السلف مجرد الايمان باللفظ وتفويض المعنى من غير فقهه وفهمه . وهذا أمر مردود عليه ، فان السلف رضي الله عنهم كانوا يؤمنون باللفظ ، ويفهمون المعنى ، ولكن يفوضون الكيفية الى الله سبحانه وتعالى. ويدل على ذلك قول الامام مالك المشهور: " الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة " فقوله "الاستواء غير مجهول" صريح في أنه معلوم المعنى ، ولكن حقيقة هذا الاستواء وكيفيته مما لا يعلمه الا الله عزوجل.

(الثالث): أنه بعد استقراء أحوال السلف اتضح أنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم . واذا كانت أحوالهم كذلك ، فكيف يمكن أن يكون الخلف المفضولون أعلم بالله وأسمائه وصفاته ، وأحكم في باب ذاته وآياته ، من هؤلاء السلف .

(الرابع) : أن دراسة أحوال الخلف من الفلاسفة والمتكلمين أثبتت أنهم في باب الدين وقعوا في اضطراب وحيرة . وقد قرر بعضهم العودة الى منهج السلف ، كما اعترف بفضل منهجهم .

ومن أشهر هؤلاء الشهرستاني[1] الذي أنشد :

---

(١) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي. ولد سنة ٤٦٧ وقيل ٤٧٩ هـ ، وتوفي ٥٤٨ هـ . انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ٢٧٣/٤ - ٢٧٥ ، شذرات الذهب ١٤٩/٤، الأعلام ٢١٥/٦ ، معجم المؤلفين ١٨٧/١٠ .

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفى بين تلك المعالم

فلم أر الا واضعا كف حائر ... على ذقنه أو قارعا سنّ نادم

ومنهم الفخر الرازى الذى قال [1]:

نهاية اقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال

وأرواحنا فى وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وهذه النصوص من كلامهم كافية لبيان النتائج التى توصل اليها أئمتهم، اذ تأكدوا بعد رحلة طويلة مع الفلسفة والكلام والخوض فيهما الى نتائج حاسمة، حيث وجدوا أن منهجهم لم يوصل الى اليقين الداعى الى الاطمئنان وثبات الايمان . فتبين بذلك أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم.

وبهذه الأمور يتضح لنا صحة الموقف الذى اتخذه ابن تيمية ازاء السلف ومنهجهم فى الصفات وفى غيرها من قضايا العقيدة .

المبحث الرابع : تنزيه السلف عن كل لقب مذموم.

ان موقف ابن تيمية رحمه الله من منهج السلف رضي الله عنهم فى قضية الصفات والقضايا الأخرى لا يكفيه مجرد الترجيح ، بل جاهد فى الدفاع عنه وعن أهله ، لأنه فى رأيه هو المنهج الذى نطق به الكتاب والسنة ، فهو المنهج الحق الذى لا يجوز للأمة العدول عنه .

---

(١) فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن على التيمى، البكرى، الطبرستانى، الرازى، الشافعى. المعروف بالفخر الرازى وبابن خطيب الرى . ولد سنة ٥٤٣ وفى رواية ٥٤٤ هـ ، وتوفى سنة ٦٠٦ هـ . انظر فى ترجمته : وفيات الأعيان ٢٤٨/٤ - ٢٥٢، البداية والنهاية ٥٥/١٣ - ٥٦، شذرات الذهب ٢١/٥ - ٢٢ ، الأعلام ٣١٣/٦ ، معجم المؤلفين ٧٩/١١ .

ولذلك نجد ابن تيمية يبذل جهده لتنزيه السلف من الصحابة ومن تبعهم باحسان عن كل الألقاب الشنيعة المذمومة التى رماهم بها مخالفوهم ونسبهم اليها معارضوهم.

ومن هذه الألقاب التى ابتدعها مخالفوهم هى: الحشوية ، والمشبهة والمجسمة ، وغير ذلك .

وهذه الألفاظ التى نسبت الى السلف كان أول من ابتدعها المعتزلة الذين فارقوا جماعة المسلمين.(١) وهى ألفاظ لم يرد ذكرها فى كتاب الله تعالى، ولا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يرد عن السلف الذم بها الا لفظ "المشبهة" ولكن أطلقه السلف على الذين شبهوا صفات الله بصفات خلقه ، لا على الذين أثبتوا صفاته بدون تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.(٢)

أما لفظ "الحشوية" فذكر ابن تيمية أن أول من تكلم به هو عمرو بن عبيد(٣) زعيم المعتزلة ، حيث قال: "كان عبد الله بن عمر حشويا".(٤)

وفى رأيه رحمه الله أن هذا اللفظ ليس له مسمى معروف ، لا فى الشرع ولا فى اللغة ، ولا فى العرف العام . والطائفة انما تسمى باسم رجالها كما يقال : الجهمية ، والكلابية ، والأشعرية ، والكرامية . أو بنعت

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٤٦/٤ .

(٢) انظر: نفس المرجع: ١٤٦/٤، منهاج السنة النبوية : ٢٥٧/١ .

(٣) أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب التيمى بالولاء، البصرى. ولد سنة ٨٠ هـ وتوفى ١٤٤ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٤٦٠/٣ - ٤٦١، البداية والنهاية ٧٨/١٠ ، الأعلام ٨١/٥ .

(٤) منهاج السنة النبوية : ٢٤١/١ .

أحوالها كما يقال: الرافضة، والشيعة، والمرجئة، والمعتزلة. فأما لفظ الحشوية فليس فيها ما يدل على شخص معين ولا مقالة معينة، فلا يدرى من هم هؤلاء؟

وكان هذا اللفظ في اصطلاح من قاله يريد به العامة الذين هم حشو في الناس، ليسوا من المتأهلين عندهم. فالمعتزلة تسمي من أثبت القدر حشويا، والجهمية تسمي من أثبت الصفات حشويا، والقرامطة تسمي من أوجب الصلاة والزكاة والصيام والحج حشويا. وهذا كما تسمي الرافضة قول أهل السنة والجماعة قول الجمهور وكذلك الفلاسفة تسمي ذلك قول الجمهور.(١)

وقد رفض ابن تيمية اطلاق لفظ "الحشوية" على السلف ونزههم من هذا اللقب الذي قصد به ذمهم، لأن منهج السلف هو المنهج المعتصم بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.(٢)

وأما لفظ "المشبهة" فلا ريب - عند ابن تيمية - أن السلف متفقون على تنزيه الله تعالى عن مماثلة الخلق وذم المشبهة الذين يمثلون صفاته بصفات الخلق، ومتفقون على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ومنهج السلف - كما سبق بيانه - أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، اثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات. (٣)

ولكن نفاة الصفات يسمون كل من أثبت شيئا من الصفات مشبها،

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٧٦/١٢ - ١٧٧، منهاج السنة النبوية ٢٤١/١.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية: ٢٤١/١.

(٣) نفس المرجع: ٢٤١/١.

بل المعطلة المحضة الباطنية نفاة الأسماء يسمون من سمى الله بأسمائه الحسنى مشبها ، فيقولون : " اذا قلنا حي ،عليم ، فقد شبهناه بغيره من الأحياء العالمين ، وكذلك هو سميع بصير فقد شبهناه بالانسان السميع البصير ... بل ... اذا قلنا انه موجود فقد شبهناه بسائر الموجودات لاشتراكهما فى مسمى الموجود ".(١)

فهكذا حال النفاة ، يسمون كل من أثبت شيئا مما نفوه مشبها . حتى ان منهم من رمى الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - بذلك فقال : " ثلاثة من الأنبياء مشبهة : موسى حيث قال (ان هى الا فتنتك)(٢)، وعيسى حيث قال (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك)(٣)، ومحمد صلى الله عليه وسلم حيث قال : " ينزل ربنا "(٤). (٥)

ففى رأى ابن تيمية أن السلف منزهون عن لقب " المشبهة " لأن منهجهم فى الصفات ليس جعل صفات الله مثل صفات خلقه ، بل كانوا متفقين على تنزيه الله عن مماثلة الخلق وذم المشبهة الذين يمثلون صفاته بصفات الخلق. ولكن ، ان كان مراد هؤلاء المخالفين بذلك أنهم يثبتون الصفات الواردة فى الكتاب والسنة لله تعالى على ما يليق بجلاله فيقال لهم ولأمثالهم : " سموا هذا بما شئتم ، (ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)(٦)". (٧)

---

(١) منهاج السنة النبوية : ٢٤١/١ . (٢) سورة الأعراف : ١٥٥ .

(٣) سورة المائدة : ١١٦ .

(٤) سيأتى لفظ الحديث بتمامه وتخريجه. انظر: ص ٤٠٨ والهامش رقم (٣).

(٥) صاحب هذه المقالة - كما ذكر ابن تيمية - هو ثمامة بن الأشرس ، من رؤساء الجهمية. مجموع الفتاوى : ١١٠/٥ .

(٦) سورة النجم : ٢٣ .

(٧) انظر: منهاج السنة النبوية : ٢٥٧/١ .

وأما لفظ " المجسمة " ففي رأى ابن تيمية أن السلف منزهون أيضا عنه ، لأنه لا يعرف عن أحد من السلف يقول: ان الله جسم ،[١] وذلك لعدم وروده في الكتاب والسنة ، فان مذهب السلف رضي الله عنهم هو الاعتصام بما ورد في الكتاب والسنة ، فما لم يرد ذكره في الكتاب ولا في السنة لم يطلقوه - لا نفيا ولا اثباتا .

وبالجملة فان ابن تيمية رحمه الله كان ينزه السلف عن ألقاب الحشوية والمشبهة والمجسمة وغيرها من الألقاب التي يقصد بها ذم السلف . وهذا موقف صائب لموافقته للكتاب والسنة ، فان الله تعالى قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان ، وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم حيث جعلهم من القرون المفضلة .

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية : ٢٤٠/١ .

-((الفصل الثاني))-

موقفه من منهج الخلف

وفيه مباحث :

المبحث الأول : موقفه من منهج النفي

المبحث الثاني : موقفه من منهج الوقف

المبحث الثالث: موقفه من منهج التشبيه .

============

الفصل الثاني

موقفه من منهج الخلف

تبين لنا فيما سبق موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من منهج السلف في الصفات ، حيث كان رحمه الله يرجحه ويجاهد في نصره والدفاع عنه وتنزيه أهله من كل لقب مذموم رماهم به المخالفون.

واذا كان هذا هو موقفه من منهجهم ، فلا بد من معرفة موقفه أيضا من منهج الخلف . وقد أشرت الى أن منهج الخلف في الصفات يمكن حصره في ثلاثة : منهج النفي ومنهج الوقف ومنهج التشبيه .

المبحث الأول: موقفه من منهج النفي .

ذكرت أن المقصود بهذا المنهج هو نفي جميع ما أثبته الله تعالى من الأسماء والصفات أو نفي بعضها دون بعض .

ونفي الصفات في الجملة كما ذكر ابن تيمية هو منهج الفلاسفة والمعتزلة وغيرهم من الجهمية.(١)

وأما موقفه رحمه الله من هذا المنهج على سبيل الاجمال ، فانه كان يرفضه ويرى أنه منهج باطل(٢) لأنه لا يمكن أن يتصور في الواقع وجود ذات بلا صفة أصلا .(٣)

وقد سمى ابن تيمية أصحاب هذا المنهج معطلة ، كما كان السلف

---

(١) مجموع الفتاوى: ٥١/٦ .

(٢) نفس المرجع : ٧١/٤ .

(٣) انظر: نفس المرجع : ٣٢٦/٥ .

يسمونهم معطلة ، لأن حقيقة منهجهم تعطيل ذات الله تعالى.

يقول ابن تيمية : " ولهذا كان السلف يسمون نفاة الصفات " معطلة " لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله تعالى، وان كانوا هم قد لا يعلمون أن قولهم مستلزم للتعطيل ... ".(١)

و يقول أيضا : " ... فالنافي معطل، والمعطل يعبد عدما ، والمشبه ممثل، والممثل يعبد صنما ".(٢)

وهؤلاء النفاة في رأي ابن تيمية جمعوا بين التعطيل والتمثيل، ذلك لأنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته الا ما هو اللائق بالمخلوق ، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات ، فجمعوا بين التعطيل والتمثيل.(٣)

والنفاة انما سلكوا هذا المنهج لأجل الفرار من التشبيه لزعمهم أن اثبات الصفات يقتضي تشبيه الخالق بالمخلوق . ولكنهم في رأيه رحمه الله لم يخلصوا مما فروا منه ، بل يلزمهم على قياس قولهم أن يكونوا قد شبهوه بالممتنع الذي هو أخص من الموجود والمعدوم الممكن.(٤) فبدلا من أن يفروا - في زعمهم - من تشبيهه بالموجودات والمعدومات الممكنة ، وقعوا في تشبيه شر منه وهو تشبيهه بالممتنعات .

كما يرى ابن تيمية أن من توهم في الصفات أو بعضها أنها تماثل صفات الخلق، ثم أراد أن يسلك هذا المنهج بنفي ذلك الذي فهمه ، فانه وقع في أربعة أنواع من المحاذير:

(أحدها) : كونه مثل مافهمه من النصوص بصفات الخلق وظن أن

---

(١) مجموع الفتاوى: ٣٢٦/٥ .

(٢) نفس المرجع: ٤٣٢/٨ .

(٣) نفس المرجع: ٢٧/٥ .

(٤) نفس المرجع: ٣٢٧/٥ .

مدلول النصوص هو التمثيل .

(الثانى) : أنه اذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله ، بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من اثبات الصفات اللائقة ، فيكون - مع جنايته على النصوص ، وظنه السيء الذى ظنه بالله ورسوله ، حيث ظن أن الذى يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل - قد عطل ما أودع الله ورسوله فى كلامهما من اثبات الصفات لله والمعانى الالهية اللائقة بجلال الله تعالى.

(الثالث) : أنه ينفي تلك الصفات عن الله عزوجل بغير علم فيكون معطلا لما يستحقه الرب .

(الرابع) : أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات ، من صفات الأموات والجمادات ، أو صفات المعدومات ، فيكون قد عطل به صفات الكمال التى يستحقها الرب ، ومثله بالمنقوصات والمعدومات ، وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات ، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات . فيجمع فى كلام الله وفى الله بين التعطيل والتمثيل ، فيكون ملحدا فى أسماء الله وآياته .(١)

هذا موقف ابن تيمية من منهج النفى على سبيل الاجمال ، ويأتى بعد ذلك الكلام على موقفه من هذا المنهج على وجه التفصيل حيث ذكرت فيما سبق أن منهج النفي قسمان: منهج التأويل ومنهج التخييل.

(١) منهج التأويل :

أما موقف ابن تيمية من هذا المنهج ، فعنده أن هذا المنهج مردود من عدة وجوه :

---

(١) مجموع الفتاوى : ٤٨/٣ - ٤٩ .

(أحدها) أن هؤلاء المتكلمين الذين ينتهجون هذا المنهج مقرّون بما جاء به الرسل من نصوص المعاد ، وأن هذه النصوص كما أخبروا ، خلافا للملاحدة الذين ينكرون معاد الأبدان. ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاؤوا باثبات الصفات ، ونصوص الصفات في الكتب الالهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد. واذا كان أمرهم بالنسبة لنصوص المعاد كذلك ، فلماذا لا يقرون بأن نصوص الصفات جاءت كما أخبر بها الرسل .(١)

(الثاني) من المعلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد ، وقد أنكروه على الرسول صلى الله عليه وسلم وناظروه عليه ، بخلاف الصفات فانه لم ينكر شيئا منها أحد من العرب . فعلم أن اقرار العقول بالصفات أعظم من اقرارها بالمعاد ، وأن انكار المعاد أعظم من انكار الصفات ، فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به ، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به . (٢)

(الثالث) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذم أهل الكتاب على ماحرفوه وبدلوه . ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات . فلو كان هذا مما بدل وحرف لكان انكار ذلك عليهم أولى. فكيف وكانوا اذا ذكروا بين يديه صلى الله عليه وسلم الصفات يضحك تعجبا منهم و تصديقا لهم ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة أهل الاثبات . والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن . فاذا جاز أن تتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان ، فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى ، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول صلى

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٣٣/٥ .

(٢) نفس المرجع ، بنفس الجزء والصفحة .

الله عليه وسلم أنه باطل ، فالأول أولى بالبطلان .(١)

(الرابع) أنه لم يرد عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف . بل الذى ورد عنهم أنهم كانوا يقرون باثبات الصفات لله تعالى بدون تأويلها .

يقول ابن تيمية رحمه الله :

" وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة ، وما رووه من الحديث ، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير، فلم أجد - الى ساعتى هذه - عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من القرآن من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف ، بل عنهم من تقرير ذلك و تثبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين مالايحصيه الا الله... ".(٢)

فهذا الكلام الذى أورده ابن تيمية يدل على أنه قد بذل ما فى وسعه للتأكد من منهج السلف رضى الله عنهم ، فلم يجد أنهم تأولوا شيئا من نصوص الصفات ، بل الذى وجد أنهم كانوا يخالفون المتأولين .

ومما ذكره ابن تيمية يتبين لنا بطلان منهج التأويل الذى سلكه بعض الخلف .

وقد كشف لنا ابن تيمية عن هذه الطائفة أنهم قوم مضطربون حيث انهم لم يتفقوا فيما يتأولونه من الصفات ، ذلك لأن هؤلاء ليس لهم ضابط مطرد فى الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول ، مما يدل على فساد

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٤/٥ .

(٢) نفس المرجع: ٣٩٤/٦ .

منهجهم .

يقول رحمه الله :

" ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب فى أمر مريج ، فان من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها وأنه مضطر الى التأويل ، ومن يحيل أن لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك ، يقول: ان العقل أحال ذلك فاضطر الى التأويل ، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقى فى الجنة ، يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل ، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل. ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل ، بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعى الآخر أن العقل أحاله ، فيا ليت شعرى بأى عقل يوزن الكتاب والسنة؟ ...".[1]

فيظهر من هذا أن العقل هو مرجع هذه الطائفة. ومن المعلوم أن العقول متفاوتة ، فأى عقل نصيره ميزانا للكتاب والسنة؟ ولذلك لما جعلوا عقولهم ميزانا ومقياسا كانوا أشد الناس اضطرابا ، كما يقول ابن القيم[2] رحمه الله ، تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية :

" ... وهم أشد الناس اضطرابا ، اذلم يثبت لهم قدم فى الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول ، ولا ضابط مطرد منعكس يجب مراعاته وتمتنع

---

(١) مجموع الفتاوى : ٢٨/٥ - ٢٩ .

(٢) شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعى ثم الدمشقى ،الحنبلى ،المعروف بابن قيم الجوزية. فقيه أصولى مجتهد مفسر نحوى. ولد سنة ٦٩١ هـ وتوفى سنة ٧٥١ هـ . انظر فى ترجمته : البداية والنهاية ٢٣٤/١٤، الذيل على طبقات الحنابلة ٤٤٧/٢-٤٥٢ ، شذرات الذهب ١٦٨/٦ - ١٧٠ ، الأعلام ٥٦/٦ ، معجم المؤلفين ١٠٦/٩ - ١٠٧ .

مخالفته . بخلاف سائر الفرق ، فانهم جزوا على ضابط واحد ، وان كان فيهم من هو أشد من أصحاب التأويل".(١)

ومما سبق ذكره يتضح لنا أن الموقف الذى اتخذه ابن تيمية من منهج التأويل موقف صحيح. وقد ذكر ابن القيم أن المتأولين لم يستفيدوا بتأويلهم الا تعطيل حقائق النصوص وأنهم لم يتخلصوا مما ظنوه محذورا ، بل هو لازم لهم فيما فروا اليه كلزومه فيما فروا منه.(٢) كما ذكر أن المتأولين شر من المعطلة لأنهم جمعوا بين التشبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص واساءة الظن بها.(٣)

وقد أشرت سابقا أن أصحاب هذا المنهج على مراتب ثلاث : منهم من نفى الأسماء والصفات وهم الجهمية ، ومنهم من نفى الصفات دون الأسماء وهم المعتزلة ، ومنهم من أثبت الأسماء وبعض الصفات دون بعض كالكلابية والأشعرية ومن وافقهم .

واذا كان ابن تيمية قد بين لنا موقفه ازاء أصحاب هذا المنهج ، فان شر هؤلاء فى وجهة نظره هم الجهمية لأنهم غلوا فنفوا الأسماء والصفات ، وليس معهم عن الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه من النفى مما جعل بعض السلف يعدهم خارجين عن الثلاث والسبعين فرقة التى افترقت اليها الأمة.

يقول رحمه الله : " وجميع أهل البدع قد يتمسكون بنصوص ، كالخوارج ، والشيعة ، والقدرية ، والرافضة ، والمرجئة وغيرهم ؛ الا الجهمية فانهم ليس معهم عن الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه من

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة : ٧٩/١ - ٨٠ .

(٢) نفس المرجع : ٢٧/١ .

(٣) نفس المرجع : ٤٨/١ .

النفي . ولهذا قال ابن المبارك[١] ويوسف بن أسباط[٢]: ان الجهمية خارجون من الثلاث والسبعين فرقة ...". [٣]

وأما المعتزلة فهم عند ابن تيمية يقاربونهم في الشر، لأنهم يثبتون الأسماء دون ما تتضمنه من الصفات . وهذا تناقض، لأنه لا فرق بين اثبات الأسماء واثبات الصفات .[٤] وقد سماهم ابن تيمية جهمية لمشاركتهم الجهمية في نفي الصفات، حيث قال: " ... كل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزليا، لكن جهم أشد تعطيلا لأنه ينفي الأسماء والصفات، والمعتزلة تنفي الصفات ".[٥]

وأما الكلابية والأشعرية ومن وافقهم فهم في وجهة نظره خير من هؤلاء في باب الصفات، الا أن فيهم نوعا من التجهم أيضا لنفيهم الصفات الخبرية، فانهم يتأولونها . وهم يخالفون أئمتهم القدامى ويقاربون الجهمية، لأن أئمتهم القدامى كانوا يثبتون الصفات الخبرية في الجملة .[٦]

ومما سبق ذكره يظهر لنا أن لفظ الجهمية عند ابن تيمية قد يكون علما على تلك الفرقة الخاصة التي تنتسب الى جهم بن صفوان، وقد يتوسع في استعماله فيطلقه على جميع فرق النفاة لموافقتهم لهم في بعض ما ذهبوا اليه .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك . وسبقت ترجمته .

(٢) يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي . توفي سنة ١٩٥ هـ . انظر: تهذيب التهذيب ١١/٤٠٧ - ٤٠٨ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٥/٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٤) انظر: نفس المرجع: ٣/٢٠ .

(٥) منهاج السنة النبوية : ١/٢٥٦ .

(٦) انظر: التسعينية لابن تيمية (ضمن مجموعة فتاوى ابن تيمية ، المجلد الخامس) ص ٤٢ ، و مجموع الفتاوى : ٣/١٠٣ .

وابن تيمية وان سماهم جهمية ، لكنه لم يجعلهم فى درجة واحدة ، بل جعلهم فى درجات ثلاث ، كما قال رحمه الله :

" والجهمية على ثلاث درجات ، فشرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وان سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا : هو مجاز ، فهو فى الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم . والدرجة الثانية من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى فى الجملة ، لكن ينفون صفاته ، وهم أيضا لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة ، بل يجعلون كثيرا منها على المجاز ، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون . وأما الدرجة الثالثة فهم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية ، لكن فيهم نوع من التجهم ، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته فى الجملة ، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية أو غير الخبرية ، ويتأولونها كما تأول الأولون صفاته كلها ".(1)

فالأمر الذى يجعل ابن تيمية يدخل الكلابية والأشعرية فى الجهمية ، هو تلك التأويلات الموجودة عندهم ، مثل التأويلات التى ذكرها أبوبكر ابن فورك(2) فى كتاب " التأويلات "، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى(3) فى كتابه الذى سماه " تأسيس التقديس " وغيرهما ،

---

(1) انظر: التسعينية ص : ٤٠ و ٤١ - ٤٢ .

(2) أبوبكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى الأصبهانى الشافعى. توفى سنة ٤٠٦ هـ . انظر: تبيين كذب المفترى ص ٢٣٢ - ٢٣٣، وفيات الأعيان ٢٧٢/٤ - ٢٧٣ ، شذرات الذهب ١٨١/٣ - ١٨٢ ، الأعلام ٨٣/٦، معجم المولفين ٢٠٨/٩ .

(3) هو فخر الدين الرازى . وسبقت ترجمته.

هى بعينها تأويلات بشر المريسى[1]. واستدل ابن تيمية على أن عين تأويلاتهم هى عين تأويلات بشر المريسى بكتاب الرد الذى صنفه عثمان بن سعيد الدارمى[2]، أحد الأئمة المشاهير فى زمان البخارى، فانه صنف كتابا سماه "رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله فى التوحيد" [3]، حيث حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسى، والمريسى أحد رؤساء الجهمية وقد قام بنشر مقالة الجهمية فى حدود المائة الثالثة.[4]

(٢) <u>منهج التجهيل</u> :

وقد سبق الذكر أن أصحاب هذا المنهج يزعمون أن ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الايمان بالله واليوم الآخر انما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق، اذ ليس فى قواهم ادراك هذه الحقائق وفهمها، ففهّمها لهم بضرب الأمثال، وقرّبها لهم بابرازها فى الصور المحسوسة .

---

(١) أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبى كريمة العدوى بالولاء البغدادى المريسى. اليه تنتسب الطائفة المريسية المرجئة. ولد سنة ١٣٨ هـ وتوفى سنة ٢١٨ هـ وقيل ٢١٩ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٢٧٧/١ - ٢٧٨، شذرات الذهب ٤٤/٢، الأعلام ٥٥/٢، معجم المؤلفين ٤٦/٣. وانظر أيضا مقالات الاسلاميين للأشعرى ٢٠٥/١ و ٢٠٧ و ٢١١، الفرق بين الفرق ص: ٢٠٤، التبصير فى الدين ص: ٩٩ .

(٢) أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمى السجستانى الدارمى . محدث حافظ . ولد سنة ٢٠٠ هـ، وتوفى ٢٨٠ هـ . انظر: البداية والنهاية ٦٩/١١ ، شذرات الذهب ١٧٦/٢ ، الأعلام ٢٠٥/٤، معجم المؤلفين ٢٥٤/٦ .

(٣) وهو مطبوع باسم "رد الامام الدارمى عثمان بن سعيد على بشر المريسى العنيد"، بتحقيق: محمد حامد الفقى ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٨ هـ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٢/٥ - ٢٣ .

وهذا المنهج فى وجهة نظر ابن تيمية، كسابقه أيضا، باطل من وجوه :

(أحدها) أن قولهم هذا مع ما فيه من الزندقة البينة والكفر الواضح، قول متناقض . فانه يقال: لوكان الأمر كما تقولون والرسل من جنس رؤسائكم لكان خواص الرسل يطلعون على ذلك، ولكانوا هم يطلعون خواصهم على هذا الأمر، فكان يكون النفى مذهب خاصة الأمة وأكملها عقلا وعلما ومعرفة . والأمر بالعكس، فان من تأمل كلام السلف والأئمة وجد أنهم أعظم الخلق اثباتا، وقد جمع علماء الحديث من المنقول عن السلف فى الاثبات ما لا يحصى عدده الا رب السموات، ولم يقدر أحد أن يأتى عنهم فى النفى بحرف واحد، الا أن يكون من الأحاديث المختلقة التى ينقلها من هو أبعد الناس عن معرفة كلامهم.(١)

(الثانى) ان ادعوا أنه لم يكن فى خاصة أصحاب الرسل من يمكنهم فهم ذلك، فقد جعلوا السابقين الأولين دون المتأخرين فى العلم والايمان، وهذا من مقالات الزنادقة، لأنه قد جعل بعض الأمم الأوائل من اليونان والهند ونحوهم أكمل عقلا وتحقيقا للأمور الالهية والعبادية من هذه الأمة . فهذا من مقالات المنافقين الزنادقة، اذ المسلمون متفقون على أن هذه الأمة خير الأمم وأكملهم، وأن أكمل هذه الأمة وأفضلها هم سابقوها .(٢)

(الثالث) ومما يدل على بطلان هذا المنهج أن الفلاسفة أصحاب هذا المنهج أعظم الناس افتراقا واختلافا، مع دعوى كل منهم أن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ١٦٨/٥ ـ ١٧٠ .

(٢) نفس المرجع : ١٠٢/٤ .

الذى يقوله حق مقطوع به قام عليه البرهان ، اذكان لهم فى الالهيات والمعاد والنبوات بل وفى الطبيعيات والرياضيات وغيرها من الأقوال ما لا يحصيه الا الله. وما كانوا أعظم افتراقا واختلافا الا لكونهم أبعد عن اتباع الأنبياء .(١)

هذه من الأمور التى بين بها ابن تيمية وجه بطلان منهج التخييل .

المبحث الثانى : موقفه من منهج الوقف .

وأصحاب هذا المنهج كما مرّ بيانه يتوقفون ازاء آيات الصفات وأحاديثها ، حيث لا يثبتونها لله تعالى على ما يليق بجلاله ولا ينفونها عنه ، فهم فى منزلة بين الاثبات والنفى .

و زعم هؤلاء أن هذا منهج السلف رضى الله عنهم ، وقد سماهم ابن تيمية " أهل التجهيل"، لما يلزم من منهجهم استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم باحسان.(٢)

وأما موقفه من هذا المنهج ، فهو فى وجهة نظره باطل من عدة وجوه :

(أحدها) أن أصحاب هذا المنهج لما قالوا : ان نصوص الصفات لها تأويل لا يعلمه الا الله ، كانت حقيقة قولهم : ان الرسول صلى الله عليه وسلم والسابقين الأولين لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من آيات الصفات وأحاديثها .(٣)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٥١/٤ ـ ٥٢ .

(٢) انظر: نفس المرجع: ٣٤/٥ ، درء تعارض العقل والنقل: ١٥/١ .

(٣) انظر: نفس المرجعين السابقين ، بنفس الجزء والصفحة.

(الثانى) زعمهم أن منهجهم هو منهج السلف مردود بأقوال السلف أنفسهم . منها قول الامام مالك وربيعة : " الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة " ، وقول غيرهما من السلف فى آيات الصفات وأحاديثها : " أمروها كما جاءت بلا كيف " . فان السلف انما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة . فلو كانوا قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ولما قالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف . فان الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم .

وأيضا فانه لا يحتاج الى نفى علم الكيفية اذا لم يفهم عن اللفظ معنى ، وانما يحتاج الى نفى علم الكيفية اذا أثبتت الصفات .

وأيضا فان من ينفى الصفات الخبرية ، أو الصفات مطلقا ، لا يحتاج الى أن يقول: بلا كيف . فمن قال: ان الله ليس على العرش ، لايحتاج الى أن يقول: بلا كيف . فلوكان مذهب السلف نفى الصفات فى نفس الأمر لما قالوا : بلا كيف .

وأيضا فقولهم : " أمروها كما جاءت " يقتضى ابقاء دلالتها على ما هى عليه ، فانها جاءت ألفاظ دالة على معان ، فلوكانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال : أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غيرمراد ، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة . وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ، ولا يقال حينئذ: بلا كيف ، اذ نفى الكيف عما ليس بثابت لغـو من القول . (١)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٩/٥ ـ ٤٢ .

(الثالث) أما التأويل الوارد فى كلام الله الذى استدلوا به (وما يعلم تأويله الا الله)[١] فليس هو التأويل المذكور فى كلام المتأخرين كما فهموا . فان التأويل يراد به ثلاثة معان[٢]:

المعنى الأول: التأويل هو الحقيقة التى يؤول الكلام اليها . فتأويل ما أخبر الله به فى الجنة من الأكل والشرب واللباس وقيام الساعة وغير ذلك هو الحقائق الموجودة أنفسها ، لا ما يتصور من معانيها فى الأذهان ويعبر عنه باللسان. وهذا هو التأويل فى لغة القرآن ، كما قال تعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق)[٣].

والمعنى الثانى: هو تفسير الكلام ، سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه . وهذا هو التأويل فى اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم . وهذا التأويل يعلمه الراسخون فى العلم ، وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) ، كما نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن قتيبة وغيرهم .

والمعنى الثالث: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك . وهذا هو التأويل فى اصطلاح كثير من المتأخرين ، فعلى اصطلاحهم لا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلا .

وأصحاب هذا المنهج ظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل هو هذا المعنى الثالث ، وأن للنصوص تأويلا يخالف مدلولها لا يعلمه الا

---

(١) سورة آل عمران : ٧ .

(٢) وسيأتى ان شاء الله البحث عن موقف ابن تيمية من التأويل مفصلا بالتفصيل .

(٣) سورة الأعراف : ٥٣ .

الله ، ولا يعلمه المتأولون. وليس الأمر كذلك ، بل التأويل بالمعنى الأول هو الذى لا يعلمه الا الله . وتأويل الصفات هو الحقيقة التى انفرد الله تعالى بعلمها ، وهو الكيف المجهول الذى قال فيه السلف ، كمالك وغيره : " الاستواء معلوم والكيف مجهول". فالاستواء معلوم ، يعلم معناه ويفسر ويترجم بلغة أخرى ، وهو من التأويل الذى يعلمه الراسخون فى العلم ، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذى لا يعلمه الا الله[1]

(الرابع) أما قولهم : ان هذه النصوص من المتشابه وأن للمتشابه تأويلا لا يعلمه الا الله ، فهذا القول مردود. فانه لا يعلم عن أحد من السلف ولا من الأئمة أنه جعل نصوص الصفات من المتشابه الداخل فى تلك الآية ونفى أن يعلم أحد معناها ، بل الذى يعلم عنهم أنهم فهموا ما دلت عليه من المعانى وأمروا بامرارها كما جاءت بلا كيف.[2]

(الخامس) ان سلف الأمة وأئمتها متفقون على الاثبات رادون على الواقفة والنفاة. مثل مارواه البيهقى وغيره عن الأوزاعى قال: " كنا والتابعون متوافرون نقول: ان الله فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته ".

وقال أبو مطيع البلخى فى كتاب " الفقه الأكبر" : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربى فى السماء أو فى الأرض ، قال: قد كفر لأن الله عزوجل يقول (الرحمن على العرش استوى)[3] وعرشه فوق سبع سمواته. فقلت : انه يقول: على العرش استوى ولكن لا يدرى العرش فى

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٥/٥ - ٣٧ .

(٢) انظر: نفس المرجع ٢٩٤/١٣ - ٢٩٥ . وسيأتى رد ابن تيمية على شبهة من جعل نصوص الصفات من المتشابه الذى لا يعلمه الا الله فى الفصل الثالث ، المبحث الثانى من هذا الباب .

(٣) سورة طه : ٥ .

السماء أو فى الأرض ، فقال: اذا أنكر أنه فى السماء كفر، لأنه تعالى فى أعلى عليين، وانه يدعى من أعلى لا من أسفل".(١)

(السادس) ان الله سبحانه وتعالى أمر عباده بتدبر القرآن وتعقل معانيه والتفكير فيه. كما قال تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآنا عربيا غير ذى عوج)(٢) ، وقال (الر ، تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)(٣)، فحث سبحانه على تدبره وفقهه وعقله والتفكر فيه ، ولم يستثن من ذلك شيئا ، بل هناك نصوص متعددة تصرح بالعموم فيه ، ويدخل فى ذلك آيات الأسماء والصفات .(٤)

هذه بعض الأمور التى ذكرها ابن تيمية لبيان بطلان منهج الوقف ، ومما سبق ذكره يتضح لنا أن موقفه من هذا المنهج صائب لأنه موافق لما جاء فى القرآن والسنة ولما نقل عن سلف الأمة رضي الله عنهم .

المبحث الثالث : موقفه من منهج التشبيه

واذا كنا قد عرفنا موقف ابن تيمية رحمه الله من منهج النفى ومنهج الوقف، فبقى لنا أن نعرف موقفه من منهج التشبيه. وقد أشرت فيما سبق أن أصحاب هذا المنهج يغلون فى اثبات الصفات لله تعالى ، حيث فهموا منها مثل ما للمخلوق وجعلوها من جنس صفاتهم .

وهؤلاء انما فهموا هذا الفهم لأنهم أنكروا أن يكون هناك موجود مخالف لما يعقلونه ويشاهدونه ، فلما أنكروا هذا ، جعلوا صفات

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٨٣/٥ . وانظر: الأسماء والصفات للبيهقى ص ٥١٥، العلو للذهبى ص ١٠١ .

(٢) سورة الزمر : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٣) سورة يوسف : ١ ـ ٢ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٠٦/١٣ـ٣٠٧ .

الخالق سبحانه مثل صفات خلقه .

ومن هنا كان ابن تيمية يقرر أنه كما جمع أهل النفي بين التعطيل والتمثيل، جمع أهل التشبيه أيضا بين التعطيل والتمثيل ، الا أن الأول امتاز بتعطيل الصفات والثانى امتاز باثبات صفات هي من خصائص المخلوقين.(١)

واذا كان ابن تيمية يقرر أن المعطل يعبد عدما ، لأن حقيقة منهجهم هو تعطيل ذات الله ، فانه قرر أيضا أن الممثل يعبد صنما لأنه سوى بين الخالق والمخلوق فى صفاته .

يقول رحمه الله : " ... فالنافى معطل والمعطل يعبد عدما ، والمشبه ممثل والممثل يعبد صنما ".(٢)

وأما موقفه من هذا المنهج فهو كموقفه من بقية مناهج الخلف ، اذ يرى أنه منهج باطل . وقد أبطله رحمه الله من عدة وجوه :

(أحدها) أنه ثبت بالسمع أن الله تعالى لا يماثل المخلوقين ، كما قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(٣)، وقال تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)(٤)، وقال تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا)(٥)، وقال تعالى

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٧/٥ و ٢٨ .

(٢) نفس المرجع : ٤٣٢/٨ .

(٣) سورة الشورى : ١١ .

(٤) سورة الاخلاص : ١ ـ ٤ .

(٥) سورة مريم : ٦٥ .

(فلا تجعلوا لله أندادا)[١]، وقال أيضا (فلا تضربوا لله الأمثال، ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون)[٢].

ففى هذه الآيات أخبر الله سبحانه عن نفسه أنه منزه عن المثل والكفؤ والند والسمى وضرب الأمثال له . وفى ذلك بيان أنه سبحانه لا مثيل له ولا نظير فى صفاته ولا فى أفعاله ، لأن التماثل فى الصفات والأفعال يستلزم التماثل فى الذات ، فان الصفات تابعة للموصوف بها ، والأفعال أيضا تابعة للفاعل. فاذا كانت ذات الله تعالى وذات المخلوق مختلفتين يمتنع تماثل صفاتهما وأفعالهما . [٣]

(الثانى) أنه قد ثبت بالعقل أيضا ما أثبته السمع من أنه سبحانه لا يماثل المخلوق . وذلك " أن الحقيقتين اذا تماثلتا جاز على كل واحدة ما يجوز على الأخرى ، ووجب لها ما يجب للأخرى . فيلزم أن يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز على المحدث المخلوق من العدم والحاجة ، و أن يثبت للمخلوق ما يثبت للخالق من الوجوب والغنى. فيكون الشيء الواحد واجبا بنفسه غير واجب بنفسه ، موجودا معدوما . وذلك جمع بين النقيضين ".[٤] وهذا مما يعلم به بطلان منهج التشبيه .

(الثالث) أن اتفاق الأسماء بين المسميين لا يلزم منه التماثل بينهما فاذا سمى الله نفسه حيا عليما رؤوفا رحيما ، وسمى المخلوق بذلك ، لم يلزم من ذلك أن يكون مماثلا للمخلوق أصلا . ولو لزم ذلك لكان كل موجود مماثلا لكل موجود ، ولكان كل معدوم مماثلا لكل معدوم .

---

(١) سورة البقرة : ٢٢ .

(٢) سورة النحل : ٧٤ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٢٥/٥ .

(٤) نفس المرجع : ٨٧/٣ .

فاذا قيل: ان العرش شيء موجود وأن البعوض شيء موجود فلا يقال: ان هذا مثل هذا ، لا تفاقهما في مسمى الشيء والوجود، بل وجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره. فاتفاق المسميين في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الاضافة والتخصيص والتقييد. وعلى هذا فأسماء الله وصفاته لا تماثل أسماء المخلوق وصفاته.(١)

(الرابع) أن السلف رضي الله عنهم كما كانوا ينكرون على النفاة والواقفة ، ينكرون أيضا على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه. ومثال ذلك قول نعيم بن حماد الخزاعي(٢): " من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها ".(٣)

وبهذه الأمور التي ذكرها ابن تيمية يتبين لنا بطلان منهج التشبيه .

ومما سبق بيانه يظهر لنا رجحان منهج السلف في الصفات على غيره من مناهج الخلف، مما يؤكد لنا صحة موقف ابن تيمية رحمه الله من هذه المناهج . فلا طريق لنا للتخلص من النفي والوقف والتشبيه الا بانتهاج منهج السلف رضي الله عنهم ، وهو: اثبات الصفات لله تعالى كما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٩/٣ - ١٠ . وسيأتي تفصيل هذا الأصل عند الحديث عن أصول منهج ابن تيمية في الصفات .

(٢) أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي المروزي . توفي سنة ٢٢٨ هـ . انظر: تهذيب التهذيب ٤٥٨/١٠ - ٤٦٣ ، شذرات الذهب ٦٦/٢ - ٦٧ ، الأعلام ٤٠/٨ .

(٣) مجموع الفتاوى : ١١٠/٥ .

—(الفصل الثالث)—

موقفه من شبهات الخلف

======

وفيه مباحث:

المبحث الاول : شبهة لفظ الظاهر .

المبحث الثانى : شبهة المتشابه .

المبحث الثالث : شبهة التجسيم .

المبحث الرابع : شبهة التركيب .

المبحث الخامس : شبهة التعدد .

المبحث السادس : شبهة الاعراض والحوادث .

======

الفصل الثالث

موقفه من شبهات الخلف

اتضح لنا مما سبق بيانه موقف ابن تيمية من مناهج الخلف، حيث رأى رحمه الله فسادها وبطلانها وبين ذلك من عدة وجوه .

ثم هناك شبهات أثارها هؤلاء الخلف حول قضية الصفات الالهية واعتمدوا عليها لتبرير مناهجهم، مما يدفعنا الى الاطلاع على الموقف الذى اتخذه ابن تيمية منها .

المبحث الأول: شبهة لفظ الظاهر

من شبه الخلف المتأولين فى قضية الصفات الالهية هى اطلاق لفظ الظاهر، حيث يعتقدون أن ظاهر النصوص التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم .

ومثال ذلك ما قاله الرازى :

" ... ورد فى القرآن ذكر الوجه، وذكر العين، وذكر الجنب الواحد، وذكر الأيدى، وذكر الساق الواحدة . فلو أخذنا بالظاهر يلزمنا اثبات شخص له وجه واحد، وعلى ذلك الوجه أعين كثيرة، وله جنب واحد، وعليه أيد كثيرة، وله ساق واحدة، ولا نرى فى الدنيا شخصا أقبح صورة من هذه الصورة المتخيلة، ولا أعتقد أن عاقلا يرضى بأن يصف ربه بهذه الصفة ".(١)

---

(١) أساس التقديس للرازى: ص ٧٩ .

ففهم الرازي وأمثاله أن المراد بالظاهر هو الظاهر اللائق بالمخلوقين ، ولذلك قالوا : الظاهر غير مراد، أو ظاهر النصوص غير مراد، فصرفوها عن ظاهرها بالتأويل .

وقد ذكر ابن تيمية أن من المتأخرين من يقول :" مذهب السلف اقرار الآيات والأحاديث على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد"، كما ذكر أن هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقول:" ان طريقة أهل التأويل هو في الحقيقة طريقة السلف ، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى، ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها ، والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة الى ذلك ".(١)

ومما يدل على ما ذكره رحمه الله هو ما قاله صاحب تحفة المريد، فانه بعد أن قرر أن مذهب الخلف هو صرف النص الموهم للتشبيه عن ظاهره مع بيان المراد، وأن مذهب السلف هو صرف النص الموهم للتشبيه عن ظاهره مع عدم تعيين المراد، فانه بعد أن قرر ذلك قال: "... فظهر مما قررناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الاجمالي ، لأنهم يصرفون النص الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى، لكنهم اختلفوا بعد ذلك في تعيين المراد من ذلك وعدم التعيين ...".(٢)

فشبهة الخلف المؤولين للصفات أن المراد بالظاهر هو ما يماثل صفات المخلوقين .

---

(١) مجموع الفتاوى : ١٠٨/٥ و ١٠٩ .

(٢) تحفة المريد للبيجوري ص ٩١ . وانظر: العقائد ، للامام حسن البنا ، ص ٧٦، فانه ذكر كلاما يقارب ذلك .

وفي رأى بن تيمية أن لفظ الظاهر في مفهوم الخلف غير لفظ الظاهر في مفهوم السلف. فان الظاهر في مفهوم السلف هو ما يليق بجلاله سبحانه ويختص به. اذ لا يختلف السلف في أن الله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. فاذا وصف الله نفسه بأنه حي عليم قدير، ولم يكن ظاهره غير مراد، لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حق المخلوق، فكذلك اذا وصف نفسه بأنه استوى على العرش، وخلق آدم بيديه، وينزل الى السماء الدنيا، لم يجب أن يكون ظاهره غير مراد، لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حق المخلوقين. فهي صفات لله تعالى لائقة بجلاله وعظمته، نسبتها الى ذاته المقدسة كنسبة صفات كل شيء الى ذاته.(1)

وقد استدل ابن تيمية على أن الظاهر في مفهوم السلف غير الظاهر في مفهوم الخلف، بل الظاهر في مفهوم السلف هو ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى، استدل على ذلك بما حكاه الخطابي(2) وأبوبكر الخطيب(3) وغيرهما، قالوا: "مذهب السلف اجراء آيات الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، فلا نقول ان معنى اليد القدرة ولا ان معنى السمع العلم، وذلك أن الكلام في الصفات

---

(1) انظر: التسعينية ص ١٢٥ - ١٢٦، مجموع الفتاوى: ٤٦/٣ - ٧٤، و ٣٥٦/٦.

(2) هو أبو سليمان الخطابي البستي. وسبقت ترجمته.

(3) الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت، المعروف بالخطيب البغدادي. صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات. ولد رحمه الله سنة ٣٩٢ هـ، وتوفي سنة ٤٦٣ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٩٢/١ - ٩٣، تذكرة الحفاظ ١١٣٥/٣ - ١١٤٦، البداية النهاية ١٢/ ١٠١ - ١٠٣، اللباب في تهذيب الأنساب ٤٥٣/١ - ٤٥٤، شذرات الذهب ٣١١/٣ - ٣١٢، الأعلام ١٧٢/١، معجم المؤلفين ٣/٢.

فرع على الكلام في الذات يحتذى فيه حذوه ويتبع فيه مثاله، فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات كيفية، فكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات كيفية".(١)

فقد صرح الخطابي والخطيب أن مذهب السلف اجراؤها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها. فمفهوم الظاهر عند السلف ليس هو ما يماثل المخلوقين، بل ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته.

ومما يؤكد صحة ما ذهب اليه ابن تيمية ما قاله الحافظ الصابوني(٢) رحمه الله عندما ذكر معتقد السلف أصحاب الحديث. قال:

" وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والارادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط ... وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها الى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، من غير زيادة عليه ولا اضافة اليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا ازالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه الى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه الا الله...".(٣)

---

(١) التسعينية: ص ١٢٦، وانظر: مجموع الفتاوى: ٣٥٥/٦.

(٢) أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن عامر الصابوني. شيخ الاسلام، فقيه محدث مفسر خطيب واعظ. ولد سنة ٣٧٣ هـ، وتوفي سنة ٤٤٩ هـ. انظر: شذرات الذهب ٢٨٢/٣، الأعلام ٣١٧/١، معجم المؤلفين ٢٧٥/٢.

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٥ - ٦.

وقال الامام الشوكانى :

" وان الحق الذى لا شك فيه و لا شبهة هو ما كان عليه خير القرون ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وقد كانوا - رحمهم الله وأرشدنا الى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم - يمرون أدلة الصفات على ظاهرها ، لا يتكلفون علم ما لا يعلمون ، ولا يتأولون ، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم والمتقرر من مذاهبهم ، لا يشك فيه شاك ، ولا ينكره منكر ، ولا يجادله مجادل ...".(١)

و يتبين من هذا أن المراد بالظاهر فى مفهوم السلف هو ما يليق بجلاله تعالى وعظمته ، لا ما يماثل صفات المخلوقين ، ولو كان المراد بالظاهر فى مفهومهم هو ما يماثل صفات المخلوقين لما يجرون أو يمرون أدلة الصفات على ظاهرها .

وفى رأى ابن تيمية أن الذين يفهمون " الظاهر" بمفهوم الخلف ، فيجعلون ظاهر النصوص هو ما يماثل صفات المخلوقين ، يغلطون من وجهين :

" تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ ، حتى يجعلوه محتاجا الى تأويل يخالف الظاهر ، ولا يكون كذلك .

و تارة يردون المعنى الحق الذى هو ظاهر اللفظ ، لاعتقادهم أنه باطل ".(٢)

و أما الذى قال من المتأخرين : " مذهب السلف اقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد" ، ففى رأى ابن تيمية

---

(١) التحف فى مذاهب السلف للشوكانى ص ٥ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٤٣/٣ .

أن قائل هذا مخطيء - اما لفظا ومعنى ، واما لفظا لا معنى • وذلك لأن لفظ الظاهر - كما مر توضيحه - مجمل مشترك بين شيئين :

(أحدهما) ما يماثل صفات المخلوقين ونعوت المحدثين ، كما فهمه الخلف •

(الثانى) ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته ، كما فهمه السلف •

فمن قال : " ان مذهب السلف اقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد" بالتفسير الأول ، أى أن المعانى التى تظهر من الآيات والأحاديث مما يماثل صفات المخلوقين ونعوت المحدثين غير مرادة ، فقد أصاب فى المعنى ، لكن أخطأ فى اللفظ ، حيث أطلق القول بأن ذلك ظاهر الآيات والأحاديث وحكى عن السلف مالم يقولوه •

ومن قال ذلك بالتفسير الثانى ، أى أن المعانى التى تظهر من الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله تعالى وعظمته غير مرادة ، فقد أخطأ فيما ينقله عن السلف أو تعمد الكذب عليهم • (١)

وخلاصة القول ، فان لفظ الظاهر مجمل ، يراد به ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته كما فهمه السلف ، ويراد به ما يماثل صفات المخلوقين ونعوت المحدثين كما فهمه الخلف • وشبهة الخلف التى تجعلهم يؤولون نصوص الصفات هى ذلك الفهم المخالف لفهم السلف • وهذا هو أساس الخلاف بين السلف والخلف فى الأعم الأغلب •

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٠٧/٣ ، ١٠٨/٥ - ١٠٩ ، ٣٥٦/٦ - ٣٥٧ و ٣٥٨ •

المبحث الثانى : شبهة المتشابه .

وهناك شبهة أخرى أثارها الخلف واعتمدوا عليها فى قضية الصفات الالهية ، وهى شبهة المتشابه ، حيث أدخلوا أسماء الله تعالى وصفاته ، أو بعضها ، فى المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله أو اعتقدوا أن ذلك هو المتشابه الذى استأثر الله بعلم تأويله .

وقد أشرت سابقا الى أن أصحاب منهج الوقف بنوا منهجهم على أصلين : (أحدهما) أن هذه النصوص من المتشابه ، و (الثانى) أن للمتشابه تأويلا لا يعلمه الا الله .

وموقف ابن تيمية رحمه الله من هذه الشبهة هو رفضها وردها وابطالها . وقد بين ابن تيمية بطلان تلك الشبهة من وجهين :

(الأول) أنه لا يعلم عن أحد من سلف الأمة وأئمتها ، لا الامام أحمد ولا غيره ، أنه جعل نصوص الصفات من المتشابه الداخل فى قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله)[1] ونفى أن يعلم أحد معناه . بل الذى يعلم عنهم أنهم فهموا ما دلت عليه نصوص الصفات من المعانى ، وقالوا فيها : تمر كما جاءت بلا كيف ، ونهوا عن تأويلات الجهمية التى مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه ، وردوها وأبطلوها .

ونصوص الامام أحمد والأئمة قبله بينة فى أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ، ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه ، كما يفهمون ذلك فى سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك .

---

(١) سورة آل عمران : ٧ .

فقد نص الامام أحمد في كتابه "الرد على الزنادقة والجهمية" أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن[1] وتكلم على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية. وقد جرى في ذلك على سنن الأئمة قبله، فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه. وكان الامام أحمد لا يسكت عن بيانه وتفسيره، بل يبين ويفسر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه، أو الحاد في أسمائه تعالى وآياته.

والدليل على أن هذا ليس بمتشابه لا يعلم معناه هو أن الله سمى نفسه في القرآن بأسماء مثل: الرحمن والودود والعزيز والجبار والعليم والقدير والرؤوف ونحو ذلك، ووصف نفسه بصفات مثل الرحمة والعزة والعلم والقدرة والوجه والعين والاستواء والنزول ونحو ذلك.

فيقال لمن ادعى في هذا أنه متشابه لا يعلم معناه: أتقول هذا في جميع ما سمى الله ووصف به نفسه أم في البعض؟ فان قال: هذا في الجميع، كان هذا عنادا ظاهرا وجحدا لما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام، بل كفر صريح، فانا نفهم من قوله تعالى (ان الله بكل شيء عليم)[2] معنى، ونفهم من قوله تعالى (ان الله على كل شيء قدير)[3] معنى، ونفهم من قوله (ورحمتي وسعت كل شيء)[4] معنى، ونفهم من قوله (ان الله عزيز ذو انتقام)[5] معنى.

ثم يقال لهذا المعاند: فهل هذه الأسماء دالة على الإله

---

(١) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للامام أحمد، ضمن عقائد السلف، ص ٦٦.

(٢) سورة الأنفال: ٧٥، سورة التوبة: ١١٥، سورة العنكبوت: ٦٢، سورة المجادلة: ٥٧.

(٣) سورة البقرة: ٢٠ و ١٠٩ و ١٤٨، سورة آل عمران: ١٦٥، سورة النحل: ٧٧، سورة النور ٤٥، سورة العنكبوت: ١٠، سورة فاطر: ١.

(٤) سورة الأعراف: ١٠٦.

(٥) سورة ابراهيم: ٤٧.

المعبود أم لا ؟ فان قال: لا ، كان معطلا محضا ، وان قال: نعم ، قيل له : فلم فهمت منها دلالتها على نفس الرب ولم تفهم دلالتها على ما فيها من المعانى من الرحمة والعلم والقدرة وغيرها، وكلاهما فى الدلالة سواء؟؟

فان أقر بفهم بعض معنى هذه الأسماء والصفات دون بعض ، فيقال له : ما الفرق بين ما أثبته وبين ما نفيته أو سكت عن اثباته ونفيه.
والفرق اما أن يكون من جهة السمع بأن أحد النصين دال دلالة قطعية أو ظاهرة بخلاف الآخر، أو من جهة العقل بأن أحد المعنيين يجوز أو يجب اثباته دون الآخر، وكلا الوجهين باطل فى أكثر المواضع :

أما الأول : فدلالة القرآن على أنه رحمن رحيم ودود سميع بصير عظيم كدلالته على أنه عليم قدير ليس بينهما فرق من جهة النص. وكذلك ذكره لرحمته و محبته وعلوه مثل ذكره لمشيئته وارادته .

وأما الثانى : فيقال لمن أثبت شيئا ونفى آخر: لم نفيت مثلا حقيقة رحمته و أعدت ذلك الى ارادته ؟ فان قال : لأن المعنى المفهوم من الرحمة فى حقنا هى رقة تمتنع على الله ، قيل له : والمعنى المفهوم من الارادة فى حقنا هى ميل يمتنع على الله. فان قال: ارادته ليست من جنس ارادة خلقه ، قيل له : رحمته ليست من جنس رحمة خلقه. وان قال: ان هذه الصفة أثبتها بالعقل ، فان التخصيص دل على الارادة ، قيل له : هب أن العقل لا يدل على هذا ، فانه لا ينفيه ، اذ أن عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين ، والسمع قد دل على ثبوت الرحمة. وأيضا فان هذه الصفة يمكن اثباتها كذلك بنظير ما أثبت به الارادة ، فان الانعام والاحسان وكشف الضر دل على الرحمة كدلالة التخصيص على الارادة.(١)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٩٤/١٣ - ٣٠٠ ، أو مجموعة الرسائل الكبرى ٢١/٢ - ٢٦ .

هذا هو الوجه الأول الذى قدمه ابن تيميـــية للرد على شبهة المتشــــابه ٠

وأما (الوجه الثانى) : فانه اذا قيل : هذه النصوص من المتشابه أو كان فيها من المتشابه كما نقل عن بعض الأئمة أنه سمـــى بعض ما استدل به الجهمية متشابها ، ويؤيده أيضا أنه قد ثبت أن فــى القرآن متشابها - وهو ما يحتمل معنيين - فيقال : الذى فى القــرآن أنه لا يعلم تأويله الا الله اما المتشابه واما الكتاب كله ، ونفى علـم تأويله ليس نفى علم معناه ٠

فان السلف رضى الله عنهم من الصحابة والتابعين وسائر الأئمة قد تكلموا فى جميع نصوص القرآن ، آيات الصفات وغيرها ، وفسروهـــا بما يوافق دلالتها ، ورووا عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة توافق القرآن ٠ ولو كانت معانى هذه الآيات منفـــية أو مسكوتا عنها لم يكونـوا يتكلمون فيها ٠

ثم ان الصحابة نقلوا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة ، ولم يذكر أحد منهم قط أنه امتنـــع من تفسير آية ٠

وكذلك الأئمة كانوا اذا سئلوا عن شيء من ذلك لم ينفـــوا معناه ، بل يثبتون المعنى وينفون الكيفية ، كقول مالك بن أنس وربيعـــة - كما سبق ايراده - : " الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقـــول ، والايمـــان به واجب ، والسؤال عنه بدعة " ٠ فهم لا ينكرون معنى الاستواء ولا يرونه من المتشابه الذى لا يعلمون معناه بالكلية ، بل ثبت عـــن السلف أنهم كانوا يفسرون الاستواء ، فقال بعضهـم : ارتفع على العرش ،

علا على العرش ، وقال بعضهم عبارات أخرى ، وقد ذكر البخاري بعضها في صحيحه[١]. وأما التأويلات المحرفة مثل: استولى وغير ذلك ، فهي من التأويلات المبتدعة لما ظهرت الجهمية .

وأيضا قد ثبت أن اتباع المتشابه ليس في خصوص الصفات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة ، لما تلا قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله - الى قوله - أولو الألباب)[٢]، لما تلا هذه الآية قال : " فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله ، فاحذروهم ".[٣] وهذا عام . وقصة صبيغ بن عسل[٤] مع عمر بن الخطاب من أشهر القضايا ، فانه بلغه أنه يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر فسأل عمر عن الذاريات ذروا ، فقال: ما اسمك ؟ قال: عبدالله صبيغ ، فقال: وأنا عبد الله عمر، وضربه الضرب الشديد.[٥] والذاريات ليست من الصفات .

---

(١) انظر: صحيح البخاري مع شرحه ٤٠٣/١٣ .

(٢) سورة آل عمران : ٧ .

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير باب (منه آيات محكمات) ٢٠٩/٨، وأبو داود في كتاب السنة باب النهي عن الجدال واتباع المتشابه من القرآن ٣٤٣/١٢ - ٣٤٥ ، والدارمي في المقدمة باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع ٥٥/١ .

(٤) صبيغ (وزان أمير) بن شريك بن المنذر بن قطن بن قشع بن عسل (بكسر العين) بن عمرو بن يربوع التميمي . انظر: تاج العروس ٣٠/٦ مادة "صبغ" ، و ١٨/٨ مادة "عسل" .

(٥) أخرجها الدارمي في المقدمة باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع ٥٤/١ و ٥٥ - ٥٦ ، والقرطبي في تفسيره ١٤/٤ - ١٥ ، و ٢٩/١٧ .

فهذه الأمور تدل على أن الأسماء والصفات ليست من المتشابه الذي لايعلم معناه، وان كانت من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله. لأن التأويل الذي اختص الله بعلمه هو حقيقة ذاته وأسمائه وصفاته، وذلك لا يعلمه أحد من خلقه.(١)

ومما سبق بيانه يتضح لنا بطلان شبهة الخلف في جعل أسماء الله وصفاته أو بعضها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله.

ومما يؤكد صحة موقف ابن تيمية في ذلك ما قاله الطبري(٢) في تفسيره لقوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)(٣) الى آخر الآية :

" والذي يدل عليه ظاهر هذه الآية أنها نزلت في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابه ما أنزل اليه من كتاب الله اما في أمر عيسى ، واما في مدة أجله وأجل أمته، وهو بأن تكون في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه بمتشابهه في مدته ومدة أمته أشبه ، لأن قوله (وما يعلم تأويله الا الله) دال على أن ذلك اخبار عن المدة التي أرادوا علمها من قبل المتشابه الذي لا يعلمه الا الله. فأما أمر عيسى وأسبابه، فقد أعلم الله ذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته وبينه لهم، فمعلوم أنه لم يعن الا ما كان خفيا عن الآحاد".(٤)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٣٠٦/١٣-٣١٣، أو مجموعة الرسائل الكبرى ٣٠/٢-٣٦.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ولد سنة ٢٢٤ هـ، وتوفى سنة ٣١٠ هـ. انظر: وفيات الأعيان ١٩١/٤-١٩٢، البداية والنهاية ١٤٥/١١-١٤٧، تذكرة الحفاظ ٧١٠/٢-٧١٦، شذرات الذهب ٢٦٠/٢، الأعلام ٦٩/٦، معجم المؤلفين ١٤٧/٩.

(٣) سورة آل عمران : ٧.

(٤) تفسير الطبري ١٨٠/٣.

المبحث الثالث : شبهة التجسيم

من شبه الخلف الذين يسلكون منهج النفي في قضية الصفات الالهية هي أن اثبات الصفات لله تعالى يستلزم التجسيم ، والأجسام متماثلة ، فلو قامت به الصفات لكان جسما ، ولوكان جسما لكان مماثلا لسائر الأجسام ، وذلك ممتنع على الله تعالى.(١)

فهؤلاء ينزهون الله تعالى عن المماثلة بنفي التجسيم بناء على أن الأجسام متماثلة و أن الصفات لا تقوم الا بجسم. وهذا المسلك - أي تنزيه الله عن المماثلة بنفي التجسيم - سلكه من ينفي عنه جميع الصفات ، ومن ينفي عنه بعض الصفات دون بعض .(٢)

وقد زيف ابن تيمية رحمه الله هذه الشبهة وبين بطلانها من وجوه :

(الأول) أن قولهم بتماثل الأجسام قول باطل ، سواء فسروا الجسم بما يشار اليه ، أو بالقائم بنفسه ، أو بالموجود ، أو بالمركب من الهيولى والصورة ، ونحوذلك . ومما يدل على بطلان تماثل الأجسام ؛ أن الماء يخالف الهواء ، والهواء يخالف التراب ، وأبدان الناس تخالف النبات . وجمهور العقلاء من المسلمين مقرون بأن الأجسام ليست متماثلة .(٣)

(الثاني) أنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة ولا التابعين أن الله جسم ، أو أن الله ليس بجسم .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٧١/٣ و ٧٢ ، ٣٤/٦ .

(٢) انظر: أساس التقديس للرازي ص ١٦ - ٣٢ ؛ المواقف للايجي ص ٢٧٣.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٧٢/٣ ، ٤٦٥/٥ ؛ درء تعارض العقل والنقل ١١٥/١ - ١١٧ .

بل النفي والاثبات بدعة في الشرع. فطريقة هؤلاء النفاة في تنزيه الله تعالى بنفي التجسيم بدعة لا يجوز سلوكها. (١)

(الثالث) أن هذه الطريقة متناقضة لا تستقيم في العقل، فانه ما من أحد ينفي شيئا خوفا من كون ذلك يستلزم أن يكون الموصوف به جسما الا قيل له فيما أثبته نظير ما قاله فيما نفاه، وقيل له فيما نفاه نظير ما قاله فيما أثبته. (٢)

والمثال لذلك: نفاة الصفات من الفلاسفة ونحوهم، لما أثبتوا أنه موجود واجب قائم بنفسه وأنه عاقل ومعقول وعقل ونحو ذلك، فاذا قالوا: ثبوت هذه الصفات يستلزم كثرة المعاني فيه، وذلك يستلزم كونه جسما أو مركبا، قيل لهم: هذا كما أثبتم أنه موجود واجب قائم بنفسه وأنه عاقل ومعقول وعقل. فان قالوا: هذه ترجع الى معنى واحد، قيل لهم: ان كان هذا ممتنعا بطل الفرق، وان كان ممكنا أمكن أن يقال في تلك مثل هذه، فلا فرق بين صفة وصفة.

وكذلك المعتزلة، لما أثبتوا أنه حي عليم قدير، وقالوا: لا يوصف بالحياة والعلم والقدرة والصفات لأن هذه أعراض لا يوصف بها الا ما هو جسم ولا يعقل موصوف الا ما هو جسم، قيل لهم: فأنتم وصفتموه بأنه حي عليم قدير، ولا يوصف شيء بأنه حي عليم قدير الا ما هو جسم، ولا يعقل موصوف بهذه الصفات الا ما هو جسم، فما كان جوابكم عن الأسماء كان جوابنا عن الصفات، فان جاز أن يقال: بل يسمى بهذه الأسماء ما ليس بجسم، جاز أن يقال: فكذلك يوصف بهذه الصفات ما ليس بجسم.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٥/٤٣٤، ٦/٧٤.

(٢) نفس المرجع: ٦/٧٤، وانظر: مجموعة الرسائل الكبرى: ١/١٢٣.

وهكذا نفاة الصفات المعلومة بالشرع ، أو بالعقل مع الشرع، كالرضا والغضب والحب والفرح والعلو والاستواء والنزول ونحوذلك ، اذا قالوا : هذه الصفات لا تعقل الا لجسم ، قيل لهم : فأنتم قد وصفتموه بالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام . وهذا بمنزلة ذاك ، فان كان هذا لا يوصف به الا الجسم فالآخر كذلك ، وان أمكن أن يوصف بأحدهما ما ليس بجسم فالآخر كذلك ، فلا فرق بين صفة وصفة.(١)

(الرابع) أن هؤلاء ينفون صفات الكمال بمثل هذه الطريقة ، واتصافه تعالى بصفات الكمال ثابت بالشرع وبالعقل، فيكون ذلك دليلا على فساد طريقتهم هذه.(٢)

هذه من الأمور التي ذكرها ابن تيمية للرد على شبهة التجسيم . ويتبين لنا من ذلك أن شبهة التجسيم شبهة باطلة ، كما يتبين أيضا أنه لا يجوز تنزيه الله تعالى بنفي التجسيم ، لأن هذا طريقة فاسدة لا تحق الحق ولا تبطل الباطل، ولأنه طريقة مبتدعة لم يأت بها الكتاب ولا السنة ، ولم يسلكها أحد من سلف الأمة رضي الله عنهم .

المبحث الرابع : شبهة التركيب .

وهناك شبهة أخرى احتج بها الخلف النفاة في نفي الصفات الثابتة في الكتاب والسنة ، وهي زعمهم أن اثبات الصفات يستلزم التركيب المستلزم للافتقار الى الغير، وذلك ممتنع على الله تعالى .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٣/٨٠ - ٨١، ٦/٤٤ - ٤٨ و ٧٤ - ٧٥ ، مجموعة الرسائل الكبرى ١/١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٣/٨٠ .

وهذه الشبهة احتج بها الفلاسفة كابن سينا وأمثاله، فانهم قالوا: "لوكان له صفة لكان مركبا، والمركب مفتقر الى جزأيه، وجزآه غيره، والمفتقر الى غيره لا يكون واجبا بنفسه".(١)

وقد ناقش ابن تيمية شبهتهم هذه مناقشة مستفيضة، وبيّن بطلانها من وجهين:

(الأول) هذه الشبهة التي احتج بها الفلاسفة ومن وافقهم على نفي الصفات مؤلفة من ألفاظ مجملة، بمعنى أنها محتملة لعدة معان ولا بد من استفصال المراد منها.

فقيل لهؤلاء: قولكم "لوكان له صفة لكان مركبا"، ماذا أردتم بالمركب؟ ان أردتم به ما ركبه غيره، أو ما كان متفرقا فاجتمع، أو ما يقبل التفريق، فالله سبحانه وتعالى منزه عن هذه المعاني باتفاق. وان أردتم بالمركب الموصوف بصفات الكمال اللازمة لذاته الذي لا يصح وجوده الا بها، فهذا اصطلاح لكم، وليس هو المفهوم المعقول في عقل بني آدم من لفظ المركب. وهب أنكم سميتم هذا مركبا فلا دليل لكم على نفيه.

وقولكم "والمركب مفتقر الى غيره"، أما المركب بالتفسير الأول فهو مفتقر الى ما يباينه، وهذا ممتنع على الله تعالى. وأما الموصوف بصفات الكمال اللازمة لذاته الذي سميتموه أنتم مركبا فليس في اتصافه بها ما يوجب كونه مفتقرا الى مباين له.

فان قلتم: هي غيره، وهو لا يوجد الا بها، وهذا افتقار اليها،

---

(١) منهاج السنة النبوية ١٨٨/١، وانظر: مجموع الفتاوى ٣٤٤/٦.

قيل لكم : ان أردتم بقولكم :"هى غيره" أنها مباينة له ، فذلك باطل ·
وان أردتم أنها ليست اياه ، قيل لكم : واذا لم تكن الصفة هى الموصوف
فأى محذور فى هذا ؟

ثم قيل لكم : ماذا تريدون بالافتقار ؟ أتريدون أن ذاته
تكون فاعلة للصفات مبدعة لها أو بالعكس ، أم تريدون أن ذاته مستلزمة
لها فلا يكون موجودا الا وهو متصف بها ؟ أما الأول فباطل لأن الصفة
اللازمة للموصوف لا يكون فاعلا لها ، وأما الثانى فأى محذور فيه ؟
و لكن لا يقال فى ذلك انه مفتقر اليها ، فان هذا بمنزلة قول القائل :
انه مفتقر الى ذاته ،لأن القول فى صفاته التى هى داخلة فى مسمى
ذاته هو القول فى ذاته·[1]

فظهر بذلك بطلان شبهة الفلاسفة وهى أن اثبات الصفات
يستلزم التركيب ، وأن التركيب مستلزم للافتقار الى الغير ·

وأما (الوجه الثانى) فانهم يثبتون أنه موجود واجب بنفسه
فاعل لغيره ، ومعلوم بالضرورة أن هذه معان متعددة متغايرة فى العقل ،
فان كانت ذاته مركبة من هذه المعانى لزم التركيب الذى ادعوه ، وان
كانت عرضية لزم الافتقار الذى ادعوه · فان قالوا : هذا توحيد
فى الحقيقة وليس تركيبا ممتنعا ، قيل لهم : واتصاف الذات بالصفات
اللازمة لها - من العلم والقدرة والارادة وغيرها من الصفات - توحيد
فى الحقيقة وليس هو تركيبا ممتنعا ·

ثم انهم متناقضون ، لأنهم لما نفوا المعانى لاستلزامها
ثبوت التركيب فى زعمهم ، نفوا بذلك ثبوت الوجوب ، لأن الواجب بنفسه

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية ١٨٨/١ - ١٩٠ ، مجموع الفتاوى ٣٤٦/٦ -
٣٥٠ ·

لا بد أن يتميز عن غيره بصفة ثبوتية، واذا لم يتميز كان وجود الواجب هو وجود الممكن، فكيف ينفون المعانى لثبوت الوجوب، ونفيها مستلزم لنفيه.؟ (١)

هكذا بين ابن تيمية بطلان شبهة الفلاسفة التى احتجوا بها لنفى الصفات. ويظهر لنا مما ذكره رحمه الله أن شبهتهم باطلة من جهة نفسها، فكيف يجوز أن يحتج بها لدفع الحق الذى نطق به الكتاب والسنة.؟

المبحث الخامس: شبهة التعدد.

ومن شبه الخلف فى نفيهم صفات الله تعالى الثابتة فى الكتاب والسنة: شبهة التعدد، وهى أن اثبات الصفات لله تعالى يستلزم تعدد القدماء.

وهذه الشبهة احتج بها المعتزلة، فانهم يجعلون القدم أخص وصفه تعالى، فقالوا: لو أثبتنا له تعالى صفات قديمة لشاركته الصفات فى القدم الذى هو أخص وصف ذاته، ولتعدد القدماء. وقد كفر النصارى بقولهم بقدماء ثلاثة فكيف بالأكثر؟ (٢)

وهذه الشبهة كغيرها شبهة باطلة، وقد ناقشها ابن تيمية رحمه الله فقال:

" ان قلتم: ان ذلك يستلزم تعدد آلهة قديمة مع الله، أو موجودات مستقلة قديمة مع الله، فهذا التلازم باطل. وان قلتم: ان ذلك

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٣/٣ - ٢٤، ٣٤٥/٦ - ٣٤٦.

(٢) انظر: الملل والنحل: ٤٤/١، درء تعارض العقل والنقل: ٢٢٧/٤، لوامع الأنوار البهية: ٢١٧/١.

يستلزم تعدد صفات قديمة لله تعالى ، فلم قلتم ان هذا محال ؟ فان الصفات ليست خارجة عن مسمى الله ، لأن اسم الله يتناول الذات المتصفة بالصفات ، وليس هو اسما للذات المجردة حتى يقال : ان اثبات الصفات يستلزم اثبات قدماء مع الله.(١)

وقد استشهد ابن تيمية على أن الموصوف بصفاته يسمى واحدا و وحيدا ، ولا يسمى متعددا ، استشهد على ذلك بمثلين استدل بهما الامام أحمد للرد على الجهمية .(٢)

أحدهما : النخلة . فهذه النخلة لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار ، واسمها واحد ، وسميت نخلة بجميع صفاتها . فكذلك الله ، وله المثل الأعلى ،هو بجميع صفاته اله واحد .

الثاني : أن الله تعالى سمى رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي ، فقال (ذرني ومن خلقت وحيدا)(٣)، وقد كان هذا الذى سماه وحيدا له عينان وأذنان ولسان وشفتان. فكذلك الله ، وله المثل الأعلى ، هو بجميع صفاته اله واحد. (٤)

وبهذا يتبين أن الله سبحانه وتعالى بصفاته الداخلة في مسمى اسمه لا يسمى متعددا ، ولا يلزم من ذلك تعدد القدماء ، بل هو اله واحد لا اله الا هو .

و أما قولهم : ان النصارى قد كفروا بقولهم بقدماء ثلاثة ، فقد رد عليهم ابن تيمية بأن الله تعالى لم يكفر النصارى بقولهم

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٢٢٧/٤، منهاج السنة النبوية ٢٣٥/١.

(٢) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للامام أحمد ص ٩١ - ٩٢ .

(٣) سورة المدثر : ١١ .

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية ٢٣٤/١ .

بقدماء ثلاثة بدليل قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة، ومامن اله الا اله واحد)[١]، فقد بين الله سبحانه أنهم كفروا بقولهم انه ثالث ثلاثة، لقوله بعد ذلك (ومامن اله الا اله واحد). فالحكم عليهم بالكفر سببه هو قولهم بتعدد الآلهة المنافى لصميم التوحيد، وليس سببه هو اثباتهم الصفات اللازمة له . وليس فى القرآن ذكر قدماء ثلاثة، بل ليس فى الكتاب ولا فى السنة ذكر القديم فى أسماء الله تعالى ، وان كان المعنى صحيحا .[٢]

وبناء على ماذكره ابن تيمية ، فشبهة التعدد التى احتج بها المعتزلة شبهة باطلة من جهة نفسها . فكيف يحتج بها لنفى الصفات مع أن ثبوتها حق بالكتاب والسنة؟.

المبحث السادس : شبهة الأعراض والحوادث .

ومن شبه الخلف فى نفيهم الصفات التى أثبتها الله تعالى فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : شبهة الأعراض والحوادث ، وهى زعمهم أن قيام الصفات بالله تعالى كالعلم والحياة والقدرة يستلزم قيام الأعراض به ، وأن قيام الأفعال به كالمجيء والاتيان والنزول يستلزم قيام الحوادث به . واذا جاز قيام الأعراض والحوادث بالقديم ، فلا يكون حينئذ دليلا على حدوث الأجسام ، فيبطل بذلك دليل اثبات الصانع. فان الصانع أثبتناه بحدوث العالم ، وحدوث العالم انما أثبتناه بحدوث الأجسام ، والأجسام انما أثبتنا حدوثها بحدوث

---

(١) سورة المائدة : ٧٣ .

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية : ١/٢٣٦ - ٢٣٧ .

الصفات التي هي الأعراض أو بحدوث الأفعال التي هي الحوادث.[(١)]

وقد أبطل ابن تيمية هذه الشبهة من وجوه:

(الأول) أن الأعراض والحوادث لفظان مجملان. فان أريد بذلك ما يعقله أهل اللغة من أن الأعراض والحوادث هي الأمراض والآفات، كما يقال: فلان قد عرض له مرض شديد، وفلان قد أحدث حدثا عظيما، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المدينة حرم ما بين عير الى ثور، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل..."[(٢)] ويقال: فلان به عارض من الجن، وفلان حدث له مرض. فهذه من النقائص التي ينزه الله عنها.

وان أريد بالأعراض والحوادث اصطلاح خاص فهذا اصطلاح أحدثه أهل الكلام، وليس من لغة العرب ولا لغة القرآن والسنة ولا العرف العام ولا اصطلاح أكثر الخائضين في العلم. بل مبتدعو هذا الاصطلاح هم من أهل البدع المحدثين في الأمة، الداخلين في ذم النبي صلى الله عليه وسلم.

وبكل حال فمجرد هذا الاصطلاح وتسمية هذه أعراضا وحوادث لا يخرجها عن أنها من الكمال الذي يكون المتصف به أكمل ممن لا يمكنه الاتصاف بها، أو يمكنه ذلك ولا يتصف به.

وأيضا فانه اذا قدر اثنان أحدهما موصوف بصفات الكمال التي هي أعراض وحوادث على اصطلاحهم كالعلم والقدرة والفعل والبطش

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٤٩/٦ - ٥٠ و ٩٠.

(٢) رواه أحمد في المسند ١٢٦/١ و ١٥١، والبخاري في كتاب فضائل المدينة باب حرم المدينة ٨١/٤ وفي كتاب الفرائض باب اثم من تبرأ من مواليه ٤٢/١٢، ومسلم في كتاب الحج باب فضل المدينة ٩٩٥/٢، وأبوداود في كتاب المناسك باب في تحريم المدينة ١٧/٦ - ١٩، من حديث علي رضي الله عنه.

والآخر يمتنع أن يتصف بهذه الصفات التي هي أعراض وحوادث في زعمهم كان الأول أكمل ، كما أن الحي المتصف بهذه الصفات أكمل من الجمادات .(١)

وعلى هذا فان اثبات صفات الكمال كما أثبتها الله تعالى لنفسه وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم حق ، وأن مجرد تسميتها أعراضا وحوادث على اصطلاح النفاة لا يخرجها عن أنها من الكمال ، ولا ينزعها من موصوفها الحق .

(الثاني) هؤلاء زعموا أنه اذا جاز قيام الأعراض والحوادث بالقديم فلا يكون حينئذ دليلا على حدوث الأجسام ، فيبطل بذلك دليل اثبات القديم .

فيقال لهم : الجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : ان بطلان هذا الدليل المعين لا يستلزم بطلان جميع الأدلة ، واثبات الصانع له طرق كثيرة .

الثاني : ان هذا الدليل لم يستدل به أحد من السلف : لا الصحابة ولا التابعين ولا أئمة المسلمين . فلو كانت معرفة الرب عزوجل والايمان به موقوفة عليه للزم أنهم كانوا غير عارفين بالله ولا مؤمنين به . وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين .

الثالث : لوكانت المعرفة موقوفة على هذا الدليل ، لشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان مشروعا لنقلته الصحابة رضي الله عنهم .(٢)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٦/٩٠ - ٩١ .

(٢) انظر: نفس المرجع : ٦/٥٠ .

وبهذه الأمور التى ذكرها ابن تيمية يتبين أن شبهة الأعراض والحوادث شبهة باطلة ، ومجرد تسمية الصفات والأفعال الثابتة لله تعالى أعراضا وحوادث لا ينفى ثبوتها ، لأن ثبوتها حق بالكتاب والسنة .

وبعد ، فتلك بعض الشبهات التى أثارها الخلف واحتجوا بها فى قضية الصفات الالهية . ويظهر لنا مما سبق أن ابن تيميـــة اتخذ موقفا مخالفا لهم ، حيث رد عليهم وناقشهم وكشف شبهاتهم وبين وجـــوه بطلانها . وهذا الموقف موقف صائب لمتابعته الحق الذى نص عليه الكتاب والسنة ، وجرى عليه السلف الصالح من هذه الأمـــة .

-((الفصل الرابع))-

موقفه من التأويل والمجاز

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : موقفه من التأويل

المبحث الثاني : موقفه من المجاز

=============

الفصل الرابع

موقفه من التأويل والمجاز

ان مشكلتى التأويل والمجاز من أخطر المشاكل فى قضية الصفات الالهية، وفى غيرها من قضايا العقيدة الاسلامية. ذلك لأن نفاة الصفات جعلوا التأويل والمجاز جنة يتترسون بها، فاما أن يؤولوا هذه الصفات لأن ظاهرها فى زعمهم يماثل صفات المخلوقين أو يجعلوها مجازا لأن حقيقتها فى فهمهم تليق بنعوت المحدثين. فهم يصدون بهما الحق الذى نطق به الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة رضي الله عنهم. ولذلك أرى أنه لا بد أيضا من الوقوف على موقف ابن تيمية من التأويل والمجاز.

المبحث الأول : موقفه من التأويل.

وقبل البحث عن موقف ابن تيمية من مشكلة التأويل، فانه لابد من تحديد معنى التأويل فى لغة العرب، ودلالته فى القرآن، ومفهومه عند السلف والمتأخرين، حتى يمكن لنا تقدير الموقف الذى اتخذه ابن تيمية من هذه المشكلة.

(١) معنى التأويل فى لغة العرب :

التأويل : تفعيل من آل يؤول أولا بمعنى رجع. يقال : طبخت النبيذ حتى آل الى الثلث، أى رجع. ومنه قول الأعشى :

أؤوّل الحكم الى أهله ليس قضائى بالهوى الجائر

وعن الأصمعى: آل القطران يؤول أولا، اذا خثر، وذلك لأنه لا يختثر الا آخر أمره.

وغير ذلك من الأمثلة الواردة فى تهذيب اللغة للأزهرى[1] وفى مقاييس اللغة لابن فارس[2] - وهما من المعاجم المتقدمة حيث كانا من نتاج القرن الرابع الهجرى - مما يوضح أن آل يؤول فى كل استعمالاتها تفيد معنى الرجوع.[3]

وأما التأويل فقال ابن فارس: " ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول اليه. وذلك قوله تعالى (هل ينظرون الا تأويله)[4] يقول: ما يؤول فى وقت بعثهم ونشورهم ...".[5]

وقال الأزهرى: " وأما قوله تعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله) فقال أبو اسحاق: معناه هل ينظرون الا ما يؤول اليه أمرهم من البعث ".[6] ثم قال: "وقال أبو عبيد فى قول الله تعالى (وما يعلم تأويله)[7]: التأويل: المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول الى كذا أى صار اليه، وأوّلته: صيرته اليه ...".[8]

ومما ذكره الأزهرى وابن فارس يظهر أن التأويل فى اللغة

---

(١) أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن الأزهر بن بن نوح بن حاتم الأزهرى الهروى الشافعى . أحد الأئمة فى اللغة. ولد سنة ٢٨٢ هـ ، وتوفى سنة ٣٧٠ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٣٣٤/٤ - ٣٣٦ ، شذرات الذهب ٧٢/٣ - ٧٣، اللباب فى تهذيب الأنساب ٤٨/١ ، معجم المؤلفين ٢٣٠/٨، الأعلام ٣١١/٥ .

(٢) أبو الحسين أحمدبن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزوينى الرازى الشافعى ثم المالكى. أحد الأئمة فى اللغة. توفى سنة ٣٩٠، وقيل: ٣٩٥، وقيل غير ذلك . انظر: وفيات الأعيان ١١٨/١ - ١٢٠، البداية والنهاية ٢٩٦/١١، شذرات الذهب ١٣٢/٣ - ١٣٣.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٤٣٧/١٥ - ٤٣٨، مقاييس اللغة ١٥٩/١ .

(٤) سورة الأعراف : ٥٣ .

(٥) مقاييس اللغة ١٦٢/١ .

(٦) تهذيب اللغة ٤٥٩/١٥ .

(٧) سورة آل عمران : ٧ .

(٨) تهذيب اللغة ٤٦٠/١٥.

بمعنى المرجع والمصير والعاقبة .

وقد ذكر الأزهري معنى آخر للتأويل ، حيث ذكر عن أحمد بن يحيى أنه سئل عن التأويل فقال : " التأويل والتفسير[١] واحد" . وذكر عن الليث : " التأوّل والتأويل : تفسير الكلام الذى تختلف معانيه ، ولا يصح الا ببيان غير لفظه ".[٢]

ولم يذكر ابن فارس هذا المعنى فى معجمه .

وبهذه الأمور يمكن لنا أن نقول : ان هذين المعنيين هما اللذان استعملا فى عهد السلف ، حيث لم يذكرا معنى ثالثا لهما .

وأما المعاجم المتأخرة ، فلسان العرب مثلا ، ذكر معنى ثالثا ، فقد نقل عن ابن الأثير قوله : "... والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلى الى ما يحتاج الى دليل لولاه ماترك ظاهر اللفظ ".[٣]

وبهذا يكون أمامنا ثلاثة معان للتأويل :

الأول : المرجع والمصير والعاقبة ،

الثانى : التفسير،

الثالث : نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلى الى ما يحتاج الى دليل لولاه ماترك ظاهر اللفظ .

أما المعنيان الأولان فهما اللذان استعملا فى عصر السلف ، وأما المعنى الثالث فهو المعنى الذى وضعه المتأخرون ، لأنه لم يرد فى المعاجم اللغوية المتقدمة .

---

(١) فى الأصل : التغيير . والصواب ما أثبته ، كما نقله ابن منظور . انظر : لسان العرب ٣٣/١١ .

(٢) تهذيب اللغة ٤٥٨/١٥ .

(٣) لسان العرب ٣٣/١١ ، وانظر النهاية لابن الأثير ٨٠/١ .

(٢) دلالة التأويل فى القرآن الكريم :

وإذا اتضح معنى التأويل فى المعاجم اللغوية ، فلا بد من معرفة استعمال القرآن الكريم للكلمة بما جاء على ألسنة المفسرين .

وكلمة التأويل تكرر ذكرها فى القرآن فى أكثر من سورة ، بل تكرر ذلك فى بعض السور أكثر من مرة . والآيات التى ورد فيها لفظ التأويل هى :

١ - قال تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب).(١)

٢ - قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا)(٢).

٣ - قال تعالى فى شأن اللذين نسوا لقاء ربهم (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ، فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ، أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل، قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون).(٣)

---

(١) سورة آل عمران : ٧ .

(٢) سورة النساء : ٥٩ .

(٣) سورة الأعراف : ٥٣ .

٤ - وقال تعالى فى حق المكذبين لرسوله : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين).(١)

٥ - وقال تعالى فى قصة يوسف عليه السلام :

(وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث).(٢)

(وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث).(٣)

(ودخل معه السجن فتيان ، قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله ، انا نراك من المحسنين . قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمنى ربى).(٤)

(قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين . وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون).(٥)

(ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا).(٦)

(رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث).(٧)

---

(١) سورة يونس : ٣٩ .

(٢) سورة يوسف : ٦ .

(٣) سورة يوسف : ٢١ .

(٤) سورة يوسف : ٣٦ - ٣٧ .

(٥) سورة يوسف : ٤٤ - ٤٥ .

(٦) سورة يوسف : ١٠٠ .

(٧) سورة يوسف : ١٠١ .

٦ – وقال تعالى (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا).[١]

٧ – وقال تعالى (قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا).[٢]

(وما فعلته عن أمري ، ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا).[٣]

تلك هي الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة التأويل .

ولقد اختلفت الأقوال في معنى التأويل الذي عنى الله جل ثناؤه بقوله (وابتغاء تأويله) في الآية السابعة من سورة آل عمران.

فغسره ابن عباس بأنه معرفة انقضاء مدة أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر أمته ووقت قيام الساعة. وفسره السدي بأنه عواقب القرآن ، لأن اليهود انما أرادوا أن يعلموا متى يجيء ناسخ الأحكام التي كان الله جل ثناؤه شرعها لأهل الاسلام قبل مجيئه فنسخ ما قد كان شرعه قبل ذلك .[٤]

وقال أبو اسحاق الزجاج :"معنى ابتغاء تأويله أنهم طلبوا تأويل بعثهم واحيائهم ، فأعلم الله جل وعز أن تأويل ذلك ووقته لا يعلمه الا الله".[٥]

واختلف القراء في الوقف في قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) :

---

(١) سورة الاسراء : ٣٥ .

(٢) سورة الكهف : ٧٨ .

(٣) سورة الكهف : ٨٢ .

(٤) انظر: تفسير الطبري ١٨١/٣ .

(٥) تفسير القرطبي ٤ /١٥

فمنهم من وقف على لفظ الجلالة . وممن قال بهذا : ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وابن مسعود وأبى بن كعب وعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس.[١] واختاره ابن جرير الطبرى.[٢]

ومنهم من وقف على قوله (والراسخون فى العلم). وهذا مروى عن ابن عباس، فقد روى ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : " أنا ممن يعلم تأويله ".[٣] وبهذا قال مجاهد والربيع بن أنس ومحمد ابن جعفر بن الزبير.[٤]

وذكر ابن كثير أن من العلماء من فصل هذا المقام فقال بأن الذين وقفوا على لفظ الجلالة جعلوا معنى التأويل حقيقة الشيء وما يؤول أمره اليه، لأن ذلك لا يعلمه الا الله. وأن الذين وقفوا على قوله (والراسخون فى العلم) جعلوا معنى التأويل: التفسير والبيان وفهم معانى القرآن، لأن الراسخين فى العلم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وان لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هى عليه.[٥]

وعلى هذا التفصيل فيكون التأويل فى قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) على معنيين :

الأول : حقيقة الشيء وما يؤول الأمر اليه. وهذا اذا كان الوقف

---

(١) تفسير الطبرى : ١٨٢/٣ و ١٨٣، تفسير القرطبى ١٦/٤

(٢) تفسير الطبرى : ١٨٤/٣ .

(٣) نفس المرجع : ١٨٣/٣ .

(٤) نفس المرجع : ١٨٣/٣ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير : ٣٤٧/١، وانظر أيضا : تفسير أضواء البيان للشيخ الشنقيطى : ٣٣٣/١ .

على لفظ الجلالة. والثانى : التفسير والبيان وفهم المعانى، اذا كان الوقف على قوله (والراسخون فى العلم).

والأول كما سبقت الاشارة اليه هو قول جمهور الصحابة والتابعين، والتأويل بهذا المعنى هو الذى لا يعلمه وقتا وقدرا ونوعا وحقيقة الا الله.

وأما التأويل الذى ورد فى سورة النساء فى قوله تعالى (ذلك خير وأحسن تأويلا) فقد فسره مجاهد بالجزاء، وفسره قتادة بالثواب والعاقبة، وفسره السدى وابن زيد بالعاقبة.[1] ويقول ابن جرير الطبرى فى تفسير قوله (وأحسن تأويلا) :" يعنى: وأحمد موئلا و مغبة وأجمل عاقبة".[2]

و التأويل فى قوله تعالى (هل ينظرون الا تأويله) فسره مجاهد بالجزاء، وفسره قتادة بالثواب والعاقبة. وعن السدى:" أما تأويله، فعواقبه مثل وقعة بدر، والقيامة، وما وعد فيه من موعد" [3] وعن الربيع ابن أنس :" لا يزال يقع من تأويله أمر بعد أمر حتى يتم يوم الحساب حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيتم تأويله يومئذ".[4]

وقوله (يوم يأتى تأويله) قال ابن عباس : يوم القيامة. وقال ابن زيد: يأتى تحقيقه، وقرأ قول الله تعالى (هذا تأويل رؤياى من قبل) قال: تحقيقه. وقرأ قول الله (وما يعلم تأويله الا الله) قال: وما يعلم حقيقته ومتى يأتى الا الله تعالى.[5]

---

(١) تفسير الطبرى : ١٥١/٥ و ١٥٢ .

(٢) نفس المرجع : ١٥١/٥ .

(٣) نفس المرجع : ٢٠٣/٨ و ٢٠٤ .

(٤) نفس المرجع : ٢٠٤/٨ ، تفسير ابن كثير: ٢٢٠/٢ .

(٥) تفسير الطبرى : ٢٠٤/٨

وأما قوله تعالى (ولما يأتهم تأويله)، ففسّره ابن جرير بقوله: " ولما يأتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذى توعدهم الله فى هذا القرآن ".[١] فالتأويل هنا هو حصول ما أخبر به القرآن من الوعيد الذى توعد الله به هؤلاء المشركين .

وقد تكرر فى سورة يوسف لفظ التأويل فى ثمانية مواضع منها ، وكلها يتحدث عن تأويل الأحاديث أو تأويل الرؤيا أو تأويل الأحلام . وقد فسره مجاهد بأنه عبارة الرؤيا . وعن السدى قال: تعبير الرؤيا .[٢] وفى رواية عن مجاهد : ان تأويل الشيء هو الشيء. قال: ومنه تأويل الرؤيا انما هو الشيء الذى تؤول اليه .[٣]

فتأويل الرؤيا أو تأويل الأحاديث هو نفس مدلولها التى تؤول اليه .[٤]

وأما قوله تعالى فى سورة الاسراء (ذلك خير وأحسن تأويلا) فيقول الطبرى فى تفسيره : " وأحسن مردودا عليكم وأولى اليه فيه فعلكم ذلك ، لأن الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم فيحسن لكم عليه الجزاء ".[٥]

وأما التأويل فى آيتى سورة الكهف ، فالمراد به ما يؤول اليه الأفعال التى فعلها صاحب موسى ، أو الأسباب التى من أجلها فعل صاحب موسى الأفعال التى استنكرها موسى منه .[٦] أو بعبارة أخرى :

---

(١) تفسير الطبرى : ١١٨/١١ .

(٢) نفس المرجع : ١٧٦/١٢ .

(٣) نفس المرجع : ٢١٥/١٢ .

(٤) مجموع الفتاوى ٢٩٠/١٣ أو مجموعة الرسائل الكبرى ١٩/٢ .

(٥) تفسير الطبرى : ٨٥/١٥ .

(٦) انظر: نفس المرجع : ٢٦١/١٥ و ١٧/١٦ .

العلة الغائية والحكمة المطلوبة التى انتهى اليها أفعاله.[١]

ومما سبق ذكره يتبين لنا أن لفظ التأويل يراد به فى القرآن الكريم العاقبة أو الجزاء أوحقيقة الشئ المخبر به أو العلة الغائية ، أو بعبارة جامعة : " حقيقة المعنى الذى يؤول اللفظ اليه وهى الحقيقة الموجودة فى الخارج ".[٢]

(٣) مفهوم التأويل عند السلف :

وأما لفظ التأويل الذى استعمله السلف - كما سبق بيانه - فله معنيان :

المعنى الأول : المرجع أو ما يؤول الكلام ويرجع اليه. والكلام نوعان : خبر وطلب . فان كان خبرا كان تأويله هوما يؤول اليه الخبر وهو نفس الشيء المخبر به. وان كان طلبا كان تأويله هو ما يؤول اليه الطلب وهو نفس الفعل المطلوب .

ومما يدل على هذا المعنى : قول عائشة رضى الله عنها : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى ، يتأول القرآن "[٣]، أى يفعل ما أمر به فيه ، أى فى قوله تعالى (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)[٤].

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة : ١١/١ .

(٢) نفس المرجع : ١٢/١ .

(٣) رواه أحمد فى المسند ٤٣/٦ و ٤٩ و ١٩٠، والبخارى فى كتاب الأذان باب التسبيح والدعاء فى السجود ٢٩٩/٢، ومسلم فى كتاب الصلاة باب مايقال فى الركوع والسجود ٣٥٠/١ .

(٤) سورة النصر : ٣ .

والمعنى الثانى فى استعمال السلف هو: التفسير، كما نقل ذلك عن أحمد بن يحيى والليث .

ومما يدل على هذا المعنى ما روى عن ابن عباس أنه قال: "أنا ممن يعلم تأويله "[1]، وعن مجاهد: " والراسخون فى العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به "[2].

ومنه قول الامام أحمد فى الرد على الجهمية فيما تأولته من القرآن على غير تأويله، فأبطل تلك التأويلات التى ذكرها وهو تفسيرها المراد بها.[3]

ومنه قول ابن جرير الطبرى فى تفسيره : القول فى تأويل قوله تعالى كذا وكذا، وقال أهل التأويل كذا وكذا .

وخلاصة القول، فان التأويل فى مفهوم السلف هو هذان المعنيان . والفرق بين المعنيين أن الأول يعود الى وقوع حقيقته فى الخارج ، والثانى يرجع الى فهم المعنى ويحصل فى الذهن.[4]

(٤) <u>التأويل فى اصطلاح المتأخرين</u> :

ذكر ابن منظور[5] فى لسان العرب ، وهو من المعاجم المتأخرة ،

---

(١) تفسير الطبرى : ١٨٣/٣ .

(٢) نفس المرجع : ١٨٣/٣ .

(٣) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للامام أحمد ص ٦٦ و ٩٥ .

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ١٢/١ .

(٥) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد بن أبى القاسم ابن حبقة بن منظور الأنصارى الرويفعى الأفريقى المصرى . ولد سنة ٦٣٠ هـ ، وتوفى سنة ٧١١ هـ . انظر: فوات الوفيات ٣٩/٤ - ٤٠ ، شذرات الذهب ٢٦/٦ - ٢٧ ، الأعلام ١٠٨/٧، معجم المؤلفين ٤٦/١٢ .

معنى ثالثا للتأويل وهو " نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلى الى ما يحتاج الى دليل لولاه ماترك ظاهر اللفظ ". وهذا المعنى هو المنقول عن ابن الأثير[(١)] كما سبق ذكره .

والتأويل بهذا المعنى هو الشائع فى عرف المتأخرين من المتكلمة والمحدثة والمتصوفة والمتفقهة ونحوهم . ومثال ذلك :

قال ابن حزم[(٢)]: " التأويل نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له فى اللغة الى معنى آخر، فان كان نقله قد صح ببرهان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق ، وان كان نقله بخلاف ذلك أطرح ولم يلتفت اليه ، وحكم لذلك النقل بأنه باطل".[(٣)]

وقال الغزالى[(٤)] فى تعريفه : " التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذى يدل عليه الظاهر، ويشبه أن يكون كل تأويل صرفا للفظ عن الحقيقة الى المجاز ...".[(٥)]

---

(١) مجدالدين أبو السعادات المبارك بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الشافعى ، المعروف بابن الأثير الجزرى . ولد سنة ٥٤٤ وتوفى سنة ٦٠٦ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٤/ ١٤١-١٤٣ ، البداية والنهاية ١٢/٥٤ ، شذرات الذهب ٥/٢٢-٢٣، الأعلام ٥/٢٧٢ ، معجم المؤلفين ٨/١٧٤ .

(٢) أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى . ولد سنة ٣٨٤ ، وتوفى سنة ٤٥٦ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٣/٣٢٥- ٣٣٠، البداية والنهاية ١٢/٩١-٩٢، تذكرة الحفاظ ٣/١١٤٦-١١٥٥، شذرات الذهب ٣/٢٩٩-٣٠٠، الأعلام ٤/٢٥٤-٢٥٥، معجم المؤلفين ٧/١٦ .

(٣) الاحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ١/٣٩ .

(٤) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى الشافعى المعروف بالغزالى. ولد سنة ٤٥٠ وتوفى سنة ٥٠٥ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٤/ ٢١٦-٢١٩، اللباب ٢/٣٧٩، شذرات الذهب ٤/١٠-١٣، البداية والنهاية ١٢/١٧٣-١٧٤، الأعلام ٧/٢٢، معجم المؤلفين ١١/٢٦٦ .

(٥) المستصفى فى علم الأصول للغزالى ١/٣٨٢ .

وقال الرازى : " هو صرف اللفظ عن ظاهره الى معناه المرجوح مع قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال ممتنع ".(١)

وقال الآمدى(٢): " التأويل هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له ، وأما التأويل المقبول الصحيح فهو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له بدليل يعضده ".(٣)

والمفهوم المستخلص من هذه التعريفات ، والذى يعتبر قاسما مشتركا بينها : أن التأويل هو " صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به ". (٤)

ومن الملاحظ أن التأويل بهذا المعنى الاصطلاحى هو الذى لقى شهرة وذيوعا حتى كأنه المعنى المقصود عند اطلاق كلمة التأويل .

يقول الدكتور محمد السيد الجليند : " والذى يلفت النظر هنا أن التأويل بهذا المعنى المحدث أصبح فى عرف المتكلمين والفقهاء والمفسرين هو الذى ينصرف اليه الذهن عند الاطلاق . ولم يتنبه واحد من هؤلاء الى مخالفة هذا لمعنى التأويل الذى استعمله القرآن ".(٥)

---

(١) انظر: أساس التقديس للرازى ص ١٨٢ .

(٢) سيف الدين أبو الحسن على بن أبى على بن محمد الآمدى الحنبلى ثم الشافعى . ولد سنة ٥٥١ ، وتوفى سنة ٦٣١ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٢٩٣/٣ - ٢٩٤ ، البداية والنهاية ١٤٠/١٣ - ١٤١ ، شذرات الذهب ١٤٤/٥ - ١٤٥ ، الأعلام ٣٣٢/٤ ، معجم المؤلفين ١٥٥/٧ .

(٣) الاحكام فى أصول الأحكام للآمدى ٥٣/٣ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٥٥/٣ .

(٥) الامام ابن تيمية وقضية التأويل ، للدكتور محمد السيد الجليند ، ص : ٤٦ .

(٥) موقف ابن تيمية من التأويل :

اختلف الخلف في التأويل بين الرفض والقبول ، وبين الابطال والتسويغ . وقد أشرت - كما سبق بيانه - الى أن من الخلف من سلك منهج الوقف ، ومنهم من سلك منهج التأويل . فأما أصحاب منهج الوقف فيرفضون التأويل ويرون اجراء النصوص على ظاهرها بدون معرفة معناها ، و يتمسكون بقوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله)[1]. وأما أصحاب منهج التأويل فيدعون علم التأويل ويرون أن النصوص دلت على تدبر القرآن ومعرفة معانيه وأنه من العيب والعجز أن يخاطب الله عباده بكلام يقرؤونه ويتلونه وهم لا يفهمون .

وفي رأي ابن تيمية أن كلا الطائفتين لم يوفقوا الى الحق، فأولئك مقصرون في فهم القرآن بمنزلة من قيل فيهم (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني)[2] كما أنهم مخطئون في معنى التأويل الذي استأثر الله بعلمه ، وهؤلاء معتدون بمنزلة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، وهم وان كانوا مصيبين فيما استدلوا به من سمع وعقل لكن مخطئون في معنى التأويل الذي نفاه الله وفي التأويل الذي أثبتوه.[3]

وسبب هذا الاختلاف الذي حدث بين الخلف هو الاشتراك في لفظ التأويل، كما قال رحمه الله : " وأصل ذلك أن لفظ " التأويل" فيه اشتراك بين ما عناه الله في القرآن وبين ما كان يطلقه طوائف من السلف ، وبين اصطلاح طوائف من المتأخرين . فبسبب الاشتراك في لفظ التأويل اعتقد

---

(١) سورة آل عمران : ٧ .

(٢) سورة البقرة : ٧٨ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٦٦/٣ و ٦٧ ، ٢٨٥/١٣ و ٢٨٦ و ٢٨٧ .

كل من فهم منه معنى بلغته أن ذلك هو المذكور فى القرآن ".[1]

وذكر ابن تيمية أن التأويل يراد به ثلاثة معان :

(الأول) : الحقيقة التى يؤول الكلام اليها . وهذا هو التأويل فى لغة القرآن ، كما قال تعالى (هل ينظرون الا تأويله ، يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق)[2] ، فتأويل ما فى القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك . وكما قال تعالى فى قصة يوسف عليه السلام لما سجد له أبواه واخوته قال (يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا)[3] فجعل عين ما وجد فى الخارج هو تأويل الرؤيا . فهذا التأويل هو الحقيقة الموجودة نفسها فى الخارج لا ما يتصور من معناها فى الأذهان ويعبر عنه باللسان . وهذا التأويل هو الذى لا يعلمه الا الله .

(الثانى) : تفسير الكلام وبيان معناه . وهذا هو التأويل فى اصطلاح جمهور المفسرين . وهذا التأويل يعلمه الراسخون فى العلم ، وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم)[4].

(الثالث) : التأويل هو صرف اللفظ من الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك . وهذا اصطلاح كثير من المتأخرين ، فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلا على اصطلاحهم .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٢٨٤/١٣ - ٢٨٥ .

(٢) سورة الأعراف : ٥٣ .

(٣) سورة يوسف : ١٠٠ .

(٤) سورة آل عمران : ٧ .

والتأويل بهذا المعنى الاصطلاحي لا يستعمله الصحابة ولا التابعون لهم باحسان ، ولا سائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة ، بل كانوا يستعملون التأويل بالمعنى الأول أو الثاني .

فهذه هي المعاني الثلاثة للفظ التأويل التي ذكرها ابن تيمية في كثير من مؤلفاته.(١)

ولما كان لفظ التأويل مشتركا بين هذه المعاني الثلاثة، فانه رحمه الله لم يقبله على اطلاقه ولم يرده على اطلاقه ، بل فصل القول في ذلك :

أما التأويل بالمعنى الأول فهذا لا يعلمه الا الله . وتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها ، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف - كمالك وغيره : " الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة "، فالاستواء معلوم يعلم معناه و يفسر ويترجم بلغة أخرى - وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم ، وأما كيفية ذلك الاستواء فهي التأويل الذي لا يعلمه الا الله . فحقيقة صفاته تعالى وكيفيتها لا يعلمها الا هو، لا يعلمه الملائكة المقربون ، ولا الأنبياء المرسلون ، فضلا عن سائر الخلق .(٢)

و أما التأويل بمعنى تفسير الكلام وبيان معناه ، فهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم ، وهذا التأويل ليس مذموما بل هو محمود. (٣)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٥٥/٣ - ٥٦، ٣٥/٥ - ٣٦ ، ٢٨٨/١٣ - ٢٩٠، درء تعارض العقل والنقل ١٤/١ ، ٢٣٤/٥ - ٢٣٥ و ٣٨١ - ٣٨٢ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٥٧/٣ - ٥٨، ٣٦/٥ - ٣٧، درء تعارض العقل والنقل: ٢٠٧/١ و ٣٨٢ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٦٦/٣ .

وأما التأويل على اصطلاح المتأخرين ، فانه اذا كان موافقا لما دلت عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة فذلك جائز . ومما يدل على ذلك قوله :

" ويجوز باتفاق المسلمين أن تفسر احدى الآيتين بظاهر الأخرى و يصرف الكلام عن ظاهره ، اذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السنة ، وان سمى تأويلا و صرفا عن الظاهر ، فذلك لدلالة القرآن عليه ، ولموافقة السنة والسلف عليه ، لأنه تفسير للقرآن بالقرآن ، ليس تفسيرا له بالرأى . والمحذور انما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله والسابقين ...".(١)

والمثال لذلك قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد)(٢). فالمراد بالقرب هنا قربه تعالى بعلمه ، لأنه ذكر لفظ العلم ، فحملت الآية على مادل عليه سياقها . وعلى هذا القول، فاما أن يكون مادل عليه السياق هو ظاهر الخطاب أو لا يكون. فان كان هو ظاهر الخطاب ، فلا كلام ، اذ لا تأويل حينئذ. وان لم يكن ظاهر الخطاب فانما حمل على ذلك لأن الله تعالى قد بين في غير موضع من كتابه أنه على العرش وأنه فوقه ، فكان ماذكره في كتابه في غير موضع أنه فوق العرش مع ماقرنه بهذه الآية من العلم دليلا على أنه أراد قرب العلم ، اذ مقتضى تلك الآيات ينافي ظاهر هذه الآية على هذا التقدير، والصريح يقضى على الظاهر ويبين معناه .
فهذا ، في رأى ابن تيمية ، ان سمى تأويلا وصرفا عن الظاهر فهو جائز

---

(١) مجموع الفتاوى : ٢١/٦ .

(٢) سورة ق : ١٦ .

لا محذور لدلالة القرآن عليه ولموافقتـــه للسنة.(١)

وأما اذا كان مخالفا لما دل عليه الكتاب والسنة فهو تأويـــل مذموم باطـــــل .

يقول ابن تيمـــية : " وأما التأويل المذموم والباطـــــل فهو تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله ، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله الى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك ...".(٢)

ومن أمثلة هذا النوع من التأويل الباطل : تأويل الاستواء بالاستيلاء ، وتأويل اليد بالقدرة أو النعمة . فان هذا تأويل مخالـــف لما دلت عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ولما أجمع عليه سلـف الأمة ، بل هذا من باب تحريـــف الكلم عن مواضعه والحاد فى أسمـــائه وآياته ،(٣) وهو من تأويـــــلات الجهمية التى أبطلها السلف والأئمـــة كالامام أحمد بن حنبل وغيره . (٤)

وتأويلات الخلف للصفات هى من جنس هذا التأويل الباطـــل لأنها فى الأصل من تأويلات الجهمية التى قام بنشرها بشر بن غيـــــاث المريسى ، كما سبق بيانــــه.(٥)

وبهذا يظهر لنا أن موقف ابن تيمـــية من التأويل على اصطلاح المتأخرين هو: أنه اذا كان موافقا لما دلت عليه النصوص الشرعيـــــة

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٠/٦ - ٢١ .

(٢) نفس المرجع : ٦٧/٣ .

(٣) انظر: نفس المرجع : ١٤٤/٥، ٣٦٤/٦ - ٣٦٥، درء تعارض العقل والنقل ٣٨٢/٥ ، ٣٢٨/٧ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى : ٦٦/٣، ٢٦٥/١٣ ، درء تعارض العقل والنقـل والنقل ٣٨٢/٥، ٣٢٨/٧ .

(٥) انظر: ص١٤٢ من هذه الرسالة.

فهو جائز مقبول. وأما اذا كان غير ذلك - كتأويلات الخلف للصفات - فهو مذموم باطل .

وقد أجمل ذلك تلميذه ابن القيم رحمه الله الذى سار على نهجه فقال : " وبالجملة فالتأويل الذى يوافق مادلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الصحيح ، وغيره هو الفاسد".(١)

وابن تيمية وان كان قد وضع لنا ضابطا للتأويل الباطل، فانى لم أعثر له فيما قرأت على بيان أنواع هذا التأويل المذموم. وقد بيّن ذلك تلميذه وذكر لنا عشرة من أنواعه :

(أحدها) : مالم يحتمله اللفظ بوضعه الأول ، كتأويل قوله صلى الله عليه وسلم : " حتى يضع رب العزة فيها قدمه" (٢)، بأن القدم جماعة من الناس . فان هذا شيء لا يعرف فى شيء من لغة العرب ألبتة .

(الثانى) : مالم يحتمله اللفظ ببنيته الخاصة من تثنية أو جمع ، وان احتمله مفردا . كتأويل قوله تعالى (لما خلقت بيدى)(٣) بالقدرة .

(الثالث) : مالم يحتمله سياقه وتركيبه ، وان احتمله فى غير ذلك السياق . كتأويل قوله (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك)(٤)، بأن اتيان الرب اتيان بعض

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة : ١٤/١ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته ٥٤٥/١١، والترمذى فى كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة ق ٣٩٠/٥ من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

(٣) سورة ص : ٧٥ .

(٤) سورة الأنعام : ١٥٨ .

آياته التى هى أمره ، وهذا يأباه السياق كل الاباء ، فانه يمتنع حمله على ذلك مع التقسيم والتنويع والترديد .

(الرابع) : مالم يؤلف استعماله فى ذلك المعنى فى لغة المخاطب وان ألف فى الاصطلاح الحادث . كما تأولت طائفة قوله تعالى (فلما أفل)[١] بالحركة ، وقالوا : استدل بحركته على بطلان ربوبيته . ولا يعرف فى لغة العرب التى نزل بها القرآن أن الأفول هو الحركة فى موضع واحد ألبتة .

(الخامس) : ما ألف استعماله فى غير ذلك المعنى ،لكن فى غير التركيب الذى ورد له النص ، فيحمله المتأول فى هذا التركيب الذى لا يحتمله على مجيئه فى تركيب آخر يحتمله ، كتأويل اليدين فى قوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ)[٢] بالنعمة ، ولا ريب أن العرب تقول : " لفلان عندى يد "، ولكن وقوع اليد فى هذا التركيب الذى أضافه سبحانه فيه الفعل الى نفسه ثم تعدى الفعل الى اليد بالباء التى هى نظير " كتبت بالقلم " وجعل ذلك خاصة خص بها آدم دون البشر، فهذا مما يحيل تأويل اليد فى النص بالنعمة وان كانت فى تركيب آخر تصلح لذلك ، فلا يلزم من صلاحية اللفظ لمعنى ما فى تركيب صلاحيته له فى كل تركيب .

(السادس) : اللفظ الذى اطرد استعماله فى معنى هو ظاهر فيه ولم يعهد استعماله فى المعنى المؤول ، أو عهد استعماله فيه نادرا ، فحمله على خلاف المعهود من استعماله باطل، فانه يكون تلبيسا يناقض

---

(١) سورة الأنعام : ٧٦ و ٧٧ .

(٢) سورة ص : ٧٥ .

البيان والهداية ، بل اذا أرادوا استعمال مثل هذا في غير معناه المعهود حفوا به من القرائن مايبين للسامع مرادهم به لئلا يسبق فهمه الى معناه المألوف .

(السابع) : كل تأويل يعود على أصل النص بالابطال فهو باطل ، كتأويل قوله صلى الله عليه وسلم : " ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل " فيحمله على الأمة ، فان هذا التأويل مع شدة مخالفته لظاهر النص يرجع على أصل النص بالابطال وهو قوله : " فان دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها "،[1] ومهر الأمة انما هو للسيد. وعامة تأويلات الجهمية اذا تأملناها رأيناها من هذا الجنس ، بل أشنع .

(الثامن) : تأويل اللفظ الذى له ظاهر لا يفهم منه عند اطلاقه سواه بالمعنى الخفي الذى لا يطلع عليه الا افرادى من أهل النظر والكلام . كتأويل لفظ الأحد بالذات المجردة عن الصفات التى لا يكون فيها معنيان بوجه ، فان هذا لو أمكن ثبوته فى الخارج لم يعرف الا بعد مقدمات طويلة معصبة جدا ، فكيف وهو محال فى الخارج وانما يفرضه الذهن فرضا ثم استدل على وجوده الخارجيّ ، فيستحيل وضع اللفظ المشهور عند كل أحد لهذا المعنى الذى هو فى غاية الخفاء .

(التاسع): التأويل الذى يوجب تعطيل المعنى الذى هو غاية العلو والشرف ويحطه الى معنى دونه بمراتب ، مثاله : تأويل الجهمية قوله (وهو القاهر فوق عباده)[2] ونظائره ، بأن هذه الفوقية فوقية

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب النكاح باب ماجاء لا نكاح الا بولى ، وقال : هذا حديث حسن ٤٠٨/٣ ، ورواه الدارمى فى كتاب النكاح باب النهى عن النكاح بغير ولى ١٣٧/٢ ، وابن ماجه فى كتاب النكاح باب لا نكاح الا بولى ٦٠٥/١ ، من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٢) سورة الأنعام : ١٨ و ٦١ .

الشرف، كقولهم: الدرهم فوق الفلس. فعطلوا حقيقة الفوقية المطلقة التي هي من خصائص الربوبية المستلزمة لعظمة الرب تعالى وعلوها الى كون قدره فوق قدر بني آدم.

(العاشر): تأويل اللفظ بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا قرينة تقتضيه. فان هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه، اذ لو قصده لحف بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره حتى لا يوقع السامع في اللبس. فان الله تعالى أنزل كلامه بيانا وهدى، فاذا أراد به خلاف ظاهره ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره الى فهم كل أحد لم يكن بيانا وهدى.(١)

هذه هي بعض أنواع التأويل الباطل التي ذكرها ابن القيم، تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية، رحمهما الله تعالى.

وخلاصة القول، فان ابن تيمية في موقفه من التأويل لا يرده اطلاقا ولا يقبله اطلاقا، لأن التأويل لفظ مشترك بين ثلاثة معان. فان أريد بالتأويل: الحقيقة التي يؤول اليها الكلام، فهذا تأويل لا يعلمه الا الله، لا يعلمه أحد من خلقه. وان أريد بالتأويل: تفسير الكلام وبيان معناه، فهذا من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وحكمه ليس مذموما بل هو محمود. وان أريد بالتأويل هو صرف اللفظ من الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح: فان كان موافقا لما دلت عليه النصوص الشرعية فهو جائز، وان كان غير ذلك فهو باطل كتأويلات الخلف للصفات الالهية.

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة: ١٤/١ - ٢٠.

ويتجلى لنا مما سبق بيانه أن ابن تيميـــية قد اتخذ موقفا منصفا من مسألة التأويل بين الافراط والتفريط ، كما هي عادتـــه في مناقشاته لمخالفيـــه . وموقفه هذا موقف صحيـــح لموافقته للأدلـــة الشرعية ولمفهوم السلف رضى الله عنهم .

المبحث الثاني : موقفه من المجاز

وإذا عرفنا موقف ابن تيمية من التأويل ، فإنه من الضروري أيضا أن نعرف موقفه من المجاز ، الذي لهج به المتأخرون والتجأ إليه المعطلون لتعطيل حقائق الأسماء والصفات التي أثبتها الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقبل بيان موقفه من هذه المشكلة ، فإنه لا بد من الإشارة أولا إلى معنى المجاز في اللغة ومفهومه في اصطلاح المتأخرين .

(١) معنى المجاز في اللغة :

المجاز : مفعل من جاز يجوز .

جزت الموضع : سلكته وسرت فيه ، وأجزت : خلفته وقطعته ،

قال امرؤ القيس :

فلما أجزنا ساحة الحيّ ، وانتحى بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل

وأجزته : أنفذته ، قال الراجز :

خلوا الطريق عن أبي سياره حتى يجيز سالما حماره

وجاوزت الموضع جوازا بمعنى جزته .

وتجاوزت عنه بمعنى عفوت عنه .[١]

ومما يكون على المعاني المذكورة :

قوله تعالى (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر)[٢] ، أي قطعنا بهم

---

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري ١١/١٤٨ و ١٤٩ ، مقاييس اللغة لابن فارس ١/٤٩٤ ، الصحاح للجوهري ٣/٨٧٠ - ٨٧١ ، لسان العرب ٥/٣٢٦ .

(٢) سورة الأعراف : ١٣٨ ، سورة يونس : ٩٠ .

البحر حتى جاوزوه.[١] وفي حديث الصراط : " فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ..."[٢] أى يمر عليه ويسير فيه، وفى الحديث أيضا : " ان الله تجاوز عن أمتى ما حدثت به أنفسها مالم تعمل أو تتكلم"[٣] أى عفا عنهم، من جاز ويجوزه اذا تعداه وعبر عليه.[٤]

ومن كل ما سبق ذكره من الأمثلة يتبين أن مادة " جوز" التى اشتق منها لفظ المجاز فى كل استعمالاتها تدور حول معانى : السلوك والسير والقطع والنفاذ .

فالمجاز، اذا كان مصدرا، معناه فى اللغة : هو السلوك والسير والقطع والنفاذ. واذا كان غير مصدر - وهو اسم المكان - فمعناه : المسلك والمسير والمنفذ والمقطع .

(٢) مفهوم المجاز فى اصطلاح المتأخرين :

اشتهر لفظ المجاز فى اصطلاح كثير من المتأخرين بما هو قسيم الحقيقة، فانهم قسموا اللفظ الى الحقيقة والمجاز .

وقد اختلفت أقوال هؤلاء فى تحديد مفهوم الحقيقة والمجاز :

فقال الغزالى : " الحقيقة : اللفظ المستعمل فى موضوعه . والمجاز ما استعملته العرب فى غير موضوعه". ثم ذكر الغزالى

---

(١) انظر: تفسير الطبرى ٤٥/٩ ، ١٦٢/١١ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى(وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ٤١٩/١٣، ومسلم فى كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية ١٦٤/١ ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الطلاق باب الطلاق فى الاغلاق والكره والسكران والمجنون ... ٣٨٨/٩ ، ومسلم فى كتاب الايمان باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب اذا لم تستقر ١١٦/١ و ١١٧، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٤) انظر: النهاية لابن الأثير ٣١٤/١ - ٣١٥ .

ثلاثة أنواع للمجاز: الأول: ما استعير للشيء بسبب المشابهة في خاصية مشهورة، كقولهم للشجاع أسد وللبليد حمار . والثاني: الزيادة، كقوله تعالى (ليس كمثله شيء)[1]، فان الكاف وضعت للافادة، فان استعملت على وجه لا يفيد كان على خلاف الوضع . والثالث : النقصان الذى لا يبطل التفهيم، كقوله عز وجل (واسأل القرية)[2] والمعنى: واسأل أهل القرية، وهذا النقصان اعتادته العرب .[3]

أما الآمدى فقد عرف الحقيقة والمجاز بقوله :

" الحقيقة : هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولا في الاصطلاح الذى به التخاطب ." والمجاز: " هو اللفظ المتواضع على استعماله أو المستعمل في غير ما وضع له أولا في الاصطلاح الذى به المخاطبة، لما بينهما من التعلق ، ونعني بالتعلق بين محل الحقيقة والمجاز أن يكون محل التجوز مشابها لمحل الحقيقة في شكله وصورته ". [4]

وقال السبكي[5]: " الحقيقة: لفظ مستعمل فيما وضع له ابتداء، والمجاز: اللفظ المستعمل بوضع ثان لعلاقة، أي لعلاقة بين ما وضع له أولا وما وضع له ثانيا ".[6]

---

(١) سورة الشورى : ١١ .

(٢) سورة يوسف : ٨٢ .

(٣) المستصفى في علم الأصول للغزالي ص ٢٦٨ .

(٤) الاحكام في أصول الأحكام للآمدي ٢٨/١ .

(٥) تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكي الشافعي . ولد سنة ٧٢٧ هـ وتوفي سنة ٧٧١ هـ . انظر في ترجمته : شذرات الذهب ٢٢١/٦ - ٢٢٢ ، الأعلام ١٨٤/٤ ، معجم المؤلفين ٢٢٥/٦ .

(٦) حاشية البناني على متن جمع الجوامع ص ٣٠٠ و ٣٠٤ .

فالحقيقة هى اللفظ المستعمل فيما وضع له أولا ، والمجاز هو اللفظ المستعمل فى غير ماوضع له أولا .

وتجدر الاشارة الى أن المعاجم اللغوية المتقدمة لم تذكر تقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز ، ولم تحدد كذلك المجاز بهذا المعنى المذكور. فهذا التقسيم اصطلاح حادث .

ومن الملاحظ أن لفظ المجاز بهذا المعنى الاصطلاحى هو المعنى المقصود عند اطلاقه فى مفهوم المتأخرين.

(٣) موقف ابن تيمية من المجاز :

اتضح لنا أن المجاز فى اصطلاح المتأخرين هو قسيم الحقيقة ، لأنهم قسموا اللفظ الى حقيقة ومجاز .

ويرى ابن تيمية أن هذا التقسيم لم يوجد فى كلام أحد من أئمة اللغة والنحو كالخليل[1] وسيبويه[2] وعمرو بن العلاء[3] ونحوهم ، كما لم يوجد فى كلام أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان، ولا فى

---

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى الأزدى اليحمدى البصرى . نحوى لغوى، واضع علم العروض . ولد سنة ١٠٠ هـ ، وتوفى سنة ١٧٠ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٢٤٤/٢ - ٢٤٨، البداية والنهاية ١١١/١٠، تهذيب التهذيب ١٦٣/٣ - ١٦٤، الأعلام ٣١٤/٢ ، معجم المؤلفين ١١٢/٤ .

(٢) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى الملقب سيبويه . أديب نحوى وأول من بسط علم النحو. ولد سنة ١٤٨ وتوفى سنة ١٨٠ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٤٦٣/٣ - ٤٦٥ ، البداية والنهاية ١٧٦/١٠ - ١٧٧، الأعلام ٨١/٥ ، معجم المؤلفين ١٠/٨ .

(٣) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التميمى المازنى البصرى . نحوى لغوى مقرىء. توفى سنة ١٥٤ هـ وله أربع وثمانون سنة. انظر: وفيات الأعيان ٤٦٦/٣ ، شذرات الذهب ٢٣٧/١ .

كلام أحد من الأئمة المشهورين فى العلم ·

وهذا الشافعى ، أول من جرد الكلام فى أصول الفقه ، لم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز · وكذلك محمد بن الحسن [1] وغيره من الأئمة ، لم يوجد فى كلامهم ذلك ·

وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز " أبو عبيدة معمر بن المثنى "[2] فى كتابه "مجاز القرآن" ، ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة ، وانما عنى بالمجاز ما يعبر به عن اللفظ ويفسر به ·[3]

وقد وقع فى كلام أحمد بن حنبل شيء من ذلك ، فانه قال فى كتاب الرد على الجهمية فى قوله تعالى (انا) و (نحن) ونحو ذلك فى القرآن : هذا من مجاز اللغة ، يقول الرجل للرجل : انا سنجرى عليك رزقك ، انا سنفعل بك كذا · فذكر أن هذا من مجاز اللغة ·[4] ومعنى قول أحمد : من مجاز اللغة ، أى مما يجوز فى اللغة أن يقول الواحد العظيم

---

(١) أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى الحنفى · فقيه مجتهد محدث · ولد سنة ١٣١ وتوفى سنة ١٨٩ هـ · انظر : وفيات الأعيان ١٨٤/٤ - ١٨٥ ، البداية والنهاية ٢٠٢/١٠ - ٢٠٣ ، شذرات الذهب ٣٢١/١ - ٣٢٤ ، الأعلام ٨٠/٦ ، معجم المؤلفين ٢٠٧/٩ ·

(٢) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصرى · ولد سنة ١١٠ وتوفى سنة ٢٠٩ هـ · انظر : وفيات الأعيان ٢٣٥/٥ - ٢٤٣ ، تهذيب التهذيب ٢٤٦/١٠ - ٢٤٨ ، شذرات الذهب ٢٤/٢ ، الأعلام ٢٧٢/٧ ، معجم المؤلفين ٣٠٩/١٢ ·

(٣) وهذا كما سمى غيره كتابه معانى القرآن ، أى ما يعنى بألفاظه ويراد بها ، وكما سمى ابن جرير الطبرى وغيره ذلك تأويلا (مختصر الصواعق المرسلة ٤/٢) · ومما يؤكد ما ذهب اليه ابن تيمية أن أبا عبيدة فى تفسيره للآيات القرآنية يستعمل هذه الكلمات : " مجازه كذا " ، و " تفسيره كذا " ، و " معناه كذا " ، و " غريبه كذا " وغير ذلك · انظر : مقدمة كتاب " مجاز القرآن " لأبى عبيدة ، كتبها الدكتور محمد فؤاد سزكين ، ص ١٨ - ١٩ ·

(٤) انظر : الرد على الزنادقة والجهمية للامام أحمد ص ٦٤ ·

الذى له أعوان : نحن فعلنا كذا ونفعل كذا ونحوذلك ، ولم يرد أحمد بذلك أن اللفظ استعمل فى غير ما وضع له .

فهذا التقسيم اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة ، والغالب أنه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين، فانه لم يوجد هذا فى كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف .[1]

هكذا قرر ابن تيمية بعد مطالعته لكلام أهل اللغة وكلام السلف والأئمة ، قرر أن هذا التقسيم ليس تقسيما يقر به أئمة اللغة ، وليس تقسيما ينطق به السلف وأئمة المسلمين ، بل هو اصطلاح محض حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة .

وقد ناقش ابن تيمية هذا التقسيم الاصطلاحى وتكلم عليه من وجوه :

(أحدها) ان هذا التقسيم انما يصح اذا علم أن الألفاظ العربية وضعت أولا لمعان، ثم بعد ذلك استعملت فيها ، فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال .

(الثانى) ان هذا انما يمكن دعواه اذا ثبت أن قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على وضع جميع هذه الأسماء الموجودة فى اللغة ، ثم استعملوها بعد الوضع. وهذا القول لا نعرف أحدا من المسلمين قاله قبل أبى هاشم بن الجبائي[2]، فانه زعم أن اللغات اصطلاحية ،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٨٧/٧ ـ ٨٩ .

(٢) أبوهاشم عبد السلام بن أبى على محمد الجبائى بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه . كان هو وأبوه من كبار المعتزلة ، واليه تنسب الطائفة البهشمية من المعتزلة . ولد سنة ٢٤٧ وتوفى سنة ٣٢١ هـ . انظر: وفيات الأعيان ١٨٣/٣ ، الأعلام ٧/٤ ، معجم المؤلفين ٢٣٠/٥ .

وهذا قول بلا علم . وانما المعروف عن العرب بالتواتر استعمال هـــذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعانى .

(الثالث) ان هذا التقسيم بدعة فى الشرع ، لأنه لا أصـل له من الكتاب والسنة ولم ينطق به السلف . والخلف فيه على قولين ، وليس النـــزاع فيه لفظيا .

(الرابع) ان القائلين بهذا التقسيم ليس لهم ضابط صحيـــح يميز به بين الحقيقة والمجاز .

وأما من فرق بين الحقيقة والمجاز بأن الحقيقة : ما يفيد المعنى مجردا عن القرائن، والمجاز : ما لا يفيد ذلك المعنى الا مع قرينـــة ، أو قال : الحقيقة ما يفيده اللفظ المطلق ، والمجاز ما لا يفيد الا مع التقييـــد ، أو قال : الحقيقة هى المعنى الذى يسبق الى الذهن عند الاطلاق ، والمجاز ما لا يسبـــق الى الذهن . فانه يقال : ما تعنى بالتجريد عن القرائـــن والاقتران بالقرائن ؟

ان عنى بذلك القرائن اللفظـــية ، مثل كون الاسم يستعمـــل مقرونا بالاضافة أو لام التعريف ويقيد بكونه فاعلا أو مفعولا و مبتـــدأ أو خبرا ، فلا يوجد قط فى الكلام المؤلف اسم الا مقيدا . وكذلك الفعـــل ان عنى بتقييده أنه لابد له من فاعل وقد يقيد بالمفعول به وظـــرفى الزمان والمكان والمفعول له ومعه والحال ، فالفعل لا يستعمل قـــط الا مقيدا . وأما الحرف فأبلغ ، فان الحرف أتى به لمعنى فى غيره . ففـــى الجملة لا يوجد قط فى كلام تام اسم ولا فعل ولا حرف الا مقيـــدا بقيـــود تزيل عنه الاطلاق . فان كانت القرينة مما يمنع الاطلاق عن كل قيد ، فليس فى الكلام الذى يتكلم به جميع الناس لفظ مطلق عن كل قيد ، سواء كانت الجملة اسمـــية أو فعلية .

واذا كان كل اسم أو فعل أو حرف يوجد فى الكلام فانه مقيد لا مطلق، لم يجز أن يقال للفظ الحقيقة : ما دل مع الاطلاق والتجرد عن كل قرينة تقارنه.

فان قيل : أريد بعض القرائن دون بعض . قيل له : اذكر الفصل بين القرينة التى يكون معها حقيقة، والقرينة التى يكون معها مجاز، ولن تجد الى ذلك سبيلا تقدر به على تقسيم صحيح معقول.

وأما قول من يقول : ان الحقيقة ما يسبق الى الذهن عند الاطلاق فمن أفسد الأقوال . فانه يقال : اذا كان اللفظ لم ينطق به الا مقيدا، فانه يسبق الى الذهن فى كل موضع منه ما دل عليه ذلك الموضع. وأما اذا أطلق فهو لا يستعمل فى الكلام مطلقا قط، فلم يبق له حال اطلاق محض حتى يقال : ان الذهن يسبق اليه أم لا.

وأيضا فأى ذهن ؟ فان العربى الذى يفهم كلام العرب يسبق الى ذهنه من اللفظ ما لا يسبق الى ذهن النبطىّ الذى صار يستعمل الألفاظ فى غير معانيها.

وبكل حال، فانه ليس لمن فرق بين الحقيقة و المجاز فرق معقول يمكن به التمييز بين نوعين . فعلم أن هذا التقسيم باطل. وحينئذ فكل لفظ موجود فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه مقيد بما يبين معناه، فليس فى شيء من ذلك مجاز، بل كله حقيقة.(١)

هكذا ناقش ابن تيمية تقسيم اللفظ الى الحقيقة والمجاز فى اصطلاح المتأخرين حيث انتهى الى قرار أن هذا التقسيم باطل،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٩٠/٧ - ١٠٧ .

لأن القائلين بذلك ليس لهم ضابط معقول يمكن به التمييز بين الحقيقة والمجاز، فلا مجاز في القرآن ، بل كل لفظ ورد فيه وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حقيقة .

ومن الأمثلة المشهورة لمن يثبت المجاز في القرآن :

(الأول) : قوله تعالى (فوجدوا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه)(١) قالوا : ان استعمال الارادة في ميل الجدار مجاز، لأن الارادة انما تكون للحيوان، والجدار ليس بحيوان . ويرى ابن تيمية أن لفظ الارادة قد استعمل في الميل الذي يكون معه شعور وهو ميل الحي، وفي الميل الذي لا شعور فيه وهو ميل الجماد ، وهذا من مشهور اللغة ، يقال : هذا السقف يريد أن يقع ، وهذه الأرض تريد أن تحرث ، ونحو ذلك . واللفظ اذا استعمل في معنيين فصاعدا ، فاما أن يجعل حقيقة في أحدهما مجازا في الآخر، أو حقيقة فيما يختص به كل منهما فيكون مشتركا اشتراكا لفظيّا،أو حقيقة في القدر المشترك بينهما فيكون من الأسماء المتواطئة وهي الأسماء العامة كلها . وعلى الأول يلزم المجاز ، وعلى الثاني يلزم الاشتراك ، وكلاهما خلاف الأصل ، فوجب أن يجعل من الأسماء المتواطئة ، وبهذا يعرف عموم الأسماء العامة كلها ، والا فلو قال قائل: هو في ميل الجماد حقيقة ، وفي ميل الحيوان مجاز، لم يكن بين الدعويين فرق الا كثرة الاستعمال في ميل الحيوان . لكن يستعمل مقيدا بما يبين أنه أريد به ميل الحيوان ، وهنا استعمل مقيدا بما يبين أنه أريد به ميل الجماد. والقدر المشترك بين مسميات الأسماء المتواطئة أمر كلي عام لا يوجد كليا عاما الا في الذهن ، وهو مورد التقسيم بين الأنواع . (٢)

---

(١) سورة الكهف : ٧٧ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ١٠٨/٧ .

(الثانى) : قوله تعالى (واسأل القرية)[1]، قالوا : المراد بها أهلها ، فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه. ورد ابن تيمية على هذا : أن لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التى فيها الحال والمحل كلاهما داخل فى الاسم ، ثم يعود الحكم تارة على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان . يقال : حفرت النهر : وهو المكان، وجرى النهر: وهو الماء . وكذلك القرية ، قال تعالى(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة)[2] وقال أيضا (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم)[3]. فالمراد بالقرية هم السكان . وقال تعالى (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها)[4] فهذا المكان ، لا السكان ، لكن لا بد أن يلحظ أنه كان مسكونا ، فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى ، مأخوذ من القرى وهو الجمع ، ومنه قولهم : قريت الماء فى الحوض اذا جمعته فيه .

ونظير هذا لفظ الانسان ، يتناول الجسد والروح. ثم الحكم يتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما . فكذلك اذا عذب أهلها خربت ، واذا خربت كان عذابا لأهلها ، فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر، كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما . فقوله (واسأل القرية) مثل قوله (قرية كانت آمنة مطمئنة) ، فاللفظ هنا يراد به المكان من غير اضمار ولا حذف .

فهذا بتقدير أن يكون فى اللغة مجاز، فلا مجاز فى القرآن ،

---

(١) سورة يوسف : ٨٢ .

(٢) سورة النحل : ١١٢ .

(٣) سورة محمد : ١٣ .

(٤) سورة البقرة : ٢٥٩ .

بل وتقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث ، بل نفس هذا التقسيم - كما سبق بيانه - باطل لا يتميز هذا عن هذا .(١)

وبناء على ما سبق ذكره ، كان ابن تيمية يرى أنه ينبغى أن يقصد اذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ماذا عنى بها الله ورسوله ، فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث وسنة الله ورسوله التى يخاطب بها عباده ، وهى العادة المعروفة من كلامه . ثم اذا كان لذلك نظائر فى كلام غيره ، وكانت النظائر كثيرة ، عرف أن تلك العادة واللغة مشتركة عامة ، لا يختص بها هو صلى الله عليه وسلم ، بل هى لغة قومه ، ولا يجوز أن يحمل كلامه على عادات حدثت بعده فى الخطاب لم تكن معروفة فى خطابه وخطاب أصحابه ، كما يفعله كثير من الناس ، وقد لا يعرفون انتفاء ذلك فى زمانه . وعامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب ، فانهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على لغتهم وعادتهم الحادثة لا على اللغة والعادة التى خاطب الله ورسوله بها الصحابة .(٢)

وقد وضح ابن تيمية - فى ابطاله القول بالمجاز - أن الألفاظ على نوعين :

(أحدهما) ما معناه مفرد ، كلفظ الأسد والحمار والبحر ، فهذا اذا قيل : أسد الله وأسد رسول الله أو قيل للبليد حمار أو قيل للعالم أو السخى أو الجواد من الخيل بحر ، فهذا مجاز . ثم ان قرنت به قرينة تبين المراد كقول النبى صلى الله عليه وسلم لفرس أبى طلحة : " وان وجدناه لبحرا "(٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم : " ان خالدا سيف

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى : ١١٢/٧ - ١١٣ .

(٢) انظر : نفس المرجع : ١١٥/٧ و ١١٦ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الجهاد باب مبادرة الامام عند الفزع ١٢٢/٦، ومسلم فى كتاب الفضائل باب فى شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم وتقدمه للحرب ١٨٠٢/٤، من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

من سيوف الله سله الله على المشركين "(١) ونحو ذلك ، فهنا اللفظ فيه تجوز. وان كان قد ظهر من اللفظ مراد صاحبه فهو محمول على هذا الظاهر في استعمال المتكلم ، لا على الظاهر في معناه الأول المفرد . وكل من سمع هذا القول علم المراد به وسبق ذلك الى ذهنه ، بل أحال ارادة المعنى الأول . وهذا يوجب أن يكون نصا لا محتملا ، وليس حمل اللفظ على هذا المعنى من التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره.(٢)

فابن تيمية يسمي مثل هذا الاستعمال مجازا ، لكن بمعناه اللغوي الذي ليس قسيما للحقيقة . فيقصد أن هذا الاستعمال مما يجوز في اللغة ويكون نصا في دلالته على مراد المتكلم ، ولم يقصد أن هذا الاستعمال من المجاز على اصطلاح المتأخرين الذي يكون اللفظ فيه مصروفا عن الحقيقة ، حتى يصح أن يطلق عليه أنه من التأويل . فهو يستعمل لفظ المجاز في معناه اللغوي كما كان يستعمله الامام أحمد.(٣)

(النوع الثاني) من الألفاظ : ما في معناه اضافة : اما بأن يكون المعنى اضافة محضة كالعلو والسفول وفوق وتحت ونحو ذلك ، أو بأن يكون معنى ثبوتيا فيه اضافة كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحب والرحمة .

فهذا النوع من الألفاظ لا يمكن أن يوجد له معنى مفرد بحسب

---

(١) رواه أحمد في المسند بسنده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولفظه : " نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، وسيف من سيوف الله سله الله عز وجل على الكفار والمشركين " ٨/١ . ورجاله ثقات كما قال الهيثمي . انظر : مجمع الزوائد ٣٤٨/٩ .

(٢) انظر : التسعينية : ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) انظر : الامام ابن تيمية وقضية التأويل ، للدكتور محمد السيد الجليند ، ص ٢١١ .

بعض موارده لوجهين : أحدهما : أنه لم يستعمل مفردا قط . الثاني : أن ذلك لا يلزم منه الاشتراك أو المجاز بل يجعل حقيقة في القدر المشترك بين موارده .

والصفات الالهية من هذا الباب ، فمثلا لفظ " استوى " لم تستعمله العرب في خصوص جلوس الآدمي على سريره حقيقة حتى يصير في غيره مجازا ، كما أن لفظ " العلم " لم تستعمله العرب في خصوص العرض القائم بقلب البشر حقيقة واستعملته في غيره مجازا ، بل الاستواء يستعمل تارة بلا تعدية كما في قوله تعالى (ولما بلغ أشده واستوى)[١] وتارة يعدى بحرف الغاية كقوله تعالى (ثم استوى الى السماء)[٢] وتارة يعدى بحرف الاستعلاء كقوله تعالى (واستوت على الجودي)[٣] ، ثم هذا تارة يكون صفة لله كقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)[٤] وتارة يكون صفة لخلقه كقوله تعالى (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك)[٥] ، فلا يجب أن يجعل في أحد الموضعين حقيقة وفي الآخر مجازا ، ولا يجوز أن يفهم من استواء الله تعالى الخاصية التي تثبت للمخلوق دون الخالق ، بل يجب التفريق بين ما يدل عليه مجرد اللفظ الذي هو لفظ " الاستواء " وبين ما يدل عليه بخصوص اضافته الى الفاعل المعين . فاذا أضيف الاستواء الى الله تعالى فهو له حقيقة لا ثقة بجلاله لا يشركه فيه غيره ولا يكون مجازا ، واذا أضيف الى المخلوق فهو له حقيقة مختصة به وليس مجازا ، لأن الصفات

---

(١) سورة القصص : ١٤ .

(٢) سورة البقرة : ٢٩ .

(٣) سورة هود : ٤٤ .

(٤) سورة طه : ٥ .

(٥) سورة المؤمنون : ٢٨ .

تابعة للذات، فكما أن ذاته ليست مثل ذوات خلقه فاستواؤه ليس مثل استوائهم، فلا يجوز أن يجعل فى أحد الموضعين حقيقة وفى الآخر مجازا، كما لا يجوز أن يفهم منه التماثل بين الله وخلقه.[1]

ومن هذا يتبين لنا أن الصفات الالهية لا يجوز أن تجعل من المجاز. ولذلك نرى ابن تيمية يطالب المتأولين الذين يصرفون الصفات أو بعضها عن حقيقتها المفهومة منها الى مجاز ينافى الحقيقة بأربعة أمور :

(أحدها) بيان أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازى، لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربى، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب. والا فيمكن كل مبطل أن يفسر أى لفظ بأى معنى سنح له وان لم يكن له أصل فى اللغة.

(الثانى) أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته الى مجازه، والا فاذا كان يستعمل فى معنى بطريق الحقيقة وفى معنى بطريق المجاز لم يجز حمله على المعنى المجازى بغير دليل يوجب الصرف باجماع العقلاء.

(الثالث) أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض. والا فاذا قام دليل قرآنى أو ايمانى يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها، ثم ان كان هذا الدليل نصا قاطعا لم يلتفت الى نقيضه، وان كان ظاهرا فلا بد من الترجيح.

(الرابع) أن الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح الأمة، وأنصحهم للأمة، وأقدرهم على البيان، وأبينهم للسنة، فاذا تكلم بكلام

---

(١) انظر: التسعينية ص ١٣٠ - ١٣١.

وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته ، فلا بد أن يقيم للأمة دليلا أنه لم يرد حقيقته وأنه أراد مجازه ، لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم الاعتقاد والعلم ، دون عمل الجوارح. وهذا الدليل الذي أقامه لا بد أن يكون بينا ظاهرا ، ولا يجوز أن يحيلهم الى دليل خفي لا يستنبطه الا أفراد الناس ، والا كان هذا تدليسا وتلبيسا وكان نقيض البيان والهدى .(١)

هذه هي الأمور الأربعة التي يطالب بها ابن تيمية المتأولين للصفات الذين يدعون وجوب صرفها عن الحقيقة الى المجاز. وهذه الأمور الأربعة لم يستطع المتأولون أن يقيموا على اجابتها دليلا عقليا مقنعا فضلا عن دليل نقلي ظاهر.

ولنأخذ في ذلك مثالا ذهب فيه المتأولون كل مذهب ، وليكن قوله تعالى (لما خلقت بيدىّ)(٢)، قالوا : ان المراد نعمته ، أي نعمة الدنيا و نعمة الآخرة ، أو قدرته ، أو كناية عن الذات الالهية أي " لما خلقت أنا ". فعليهم اثبات تلك الأمور الأربعة :

أما (الأول) فقالوا : ان اليد تكون بمعنى النعمة والعطية تسمية للشيء باسم سببه ، كما يسمى المطر والنبات سماء . ومنه قولهم : لفلان عنده أياد. وقد تكون بمعنى القدرة تسمية للشيء باسم مسببه لأن القدرة هي تحرك اليد ، يقولون : فلان له يد في كذا وكذا . وقد يجعلون اضافة الفعل الى اليد اضافة الفعل الى الشخص نفسه ، كقوله تعالى : (ذلك بما قدمت أيديكم)(٣) أي بما قدمتم .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٦٠/٦ - ٣٦٢ .

(٢) سورة ص : ٧٥ .

(٣) سورة آل عمران: ١٨٢ ، سورة الأنفال: ٥١ .

وجواب ابن تيميـة لهؤلاء : نحن لا ننكر لغة العرب التى نزل بها القرآن فى هذا كله. ولكن لفظ " اليدين" بصيغة التثنية لم يستعمل فى النعمة ولا فى القدرة ، لأن من لغة العرب استعمال الواحد فى الجمع كقوله (ان الانسان لفى خسر)[1] ، ولفظ الجمع فى الواحد كقوله (الذين قال لهم الناس : ان الناس)[2] ، ولفظ الجمع فى الاثنين كقوله (صغت قلوبكما)[3]. أما استعمال الواحد فى الاثنين أو الاثنين فى الواحد فلا أصل له ، لأن هذه الألفاظ عدد ، وهى نصوص فى معناها لا يتجوز بها ، ولا يجوز أن يقال : "عندى رجل" ويعنى رجلين . ولا "عندى رجلان" ويعنى به الجنس .

فقوله (لما خلقت بيدىّ) لا يجوز أن يراد به القدرة ، لأن القدرة صفة واحدة ، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد. ولا يجوز أن يراد به النعمة لأن نعم الله لا تحصى ، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التى لا تحصى بصيغة التثنية. ولا يجوز أن يكون " لما خلقت أنا " لأنهم اذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل الى اليد ، فتكون اضافته الى اليد اضافة له الى الفاعل ، كقوله (ذلك بما قدمت يداك)[4] ، وقوله (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما)[5]. أما اذا أضاف الفعل الى الفاعل وعدى الفعل الى اليد بحرف الباء كقوله (لما خلقت بيدى) فانه نص فى أنه فعل الفعل بيديه . ولهذا لا يجوز لمن تكلم

---

(١) سورة العصر : ٢ .

(٢) سورة آل عمران : ١٧٣ .

(٣) سورة التحريم : ٤ .

(٤) سورة الحج : ١٠ .

(٥) سورة يس : ٧١ .

أو مشى أن يقال : فعلت هذا بيديك ، ويقال : هذا فعلته يداك ، لأن مجرد قوله " فعلت " كاف فى الاضافة الى الفاعل ، فلو لم يرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة . وليس فى كلام العرب ولا العجم أن فصيحا يقول : فعلت هذا بيدى ، أو فلان فعل هذا بيديه ، الا ويكون فعله بيديه حقيقة ، ولا يجوز أن يكون لا يد له ، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها .

وبهذا يتبين أن المتأولين لقوله (لما خلقت بيدى) بالقدرة أو النعمة أو أنه بمعنى " لما خلقت أنا " ، لم يكن لهم أصل فى اللغة .

أما (الثانى) فما الدليل الموجب لصرف اليد عن الحقيقة الى المجاز ؟ فان قالوا : لأن اليد هى الجارحة وذلك ممتنع على الله سبحانه ، قيل لهم : هذا ونحوه يوجب امتناع وصفه بأن له يدا من جنس أيدى المخلوقين ، وهذا لا ريب فيه . لكن لما لا يجوز أن يكون له يد تناسب ذاته تستحق من صفات الكمال ما تستحق الذات ؟ فان قالوا : ليس فى العقل والسمع ما يحيل هذا ، قيل : فاذا كان هذا ممكنا وهو حقيقة اللفظ فلم يصرف عنه اللفظ الى مجازه ؟

وكل ما يذكره المتأولون من دليل يدل على امتناع وصفه بما يسمى به ، وصحت الدلالة ، سلم لهم أن المعنى الذى يستحقه المخلوق منتف عنه . وانما حقيقة اللفظ وظاهره : يد تليق بذاته المقدسة ، كما أن له علما يليق بذاته ، وقدرة تليق بذاته .

وأما (الثالث) فيقال لهم : هل فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهرة ، بل أو دلالة خفية ؟ فان أقصى ما يذكره المتكلف قوله تعالى (قل هو

الله أحد)[١] وقوله (ليس كمثله شيء)[٢] وقوله (هل تعلم له سميا)[٣].
وهذه الآيات انما تدل على انتفاء التشبيه والتمثيل ، أما انتفاء يد تليق بجلاله فليس في الكتاب ولا في السنة ما يدل عليه بوجه من الوجوه .

وكذلك هل في العقل ما يدل دلالة ظاهرة على أن الله تعالى لا يد له ألبتة تليق بجلاله ؟ وهل فيه ما يدل على ذلك أصلا ولو بوجه خفي ؟

فاذا لم يكن في السمع ولا في العقل ما ينفي حقيقة اليد ألبتة - وان فرض ما ينافيها فانما هو من الوجوه الخفية عند من يدعيه والا فنفي الحقيقة انما هو شبهة فاسدة - فلا يجوز صرف لفظ اليد عن حقيقته الى مجازه .

وأما (الرابع) فيقال لهم : ان هناك من الأدلة الجلية القاطعة والظاهرة ما يبين أن لله يدين حقيقة .

فمن ذلك : تفضيله لآدم يستوجب سجود الملائكة وامتناعهم من التكبر عليه . فلو كان المراد أنه خلقه بقدرته أو بنعمته أو مجرد اضافة خلقه اليه لشاركه في ذلك ابليس و جميع المخلوقات .

ومن ذلك : أنهم اذا قالوا : بيده الملك أو عملته يداك ، فان ذلك يدل على شيئين : أحدهما : اثبات اليد ، والثاني : اضافة الملك والعمل اليها . والثاني يقع فيه التجوز كثيرا ، أما الأول فانهم

---

(١) سورة الاخلاص : ١ .
(٢) سورة الشورى : ١١ .
(٣) سورة مريم : ٦٥ .

لا يطلقون هذا الكلام الا لجنس له يد حقيقة ، ولا يقولون : " يد الهوى " و لا " يد الماء ". فهب أن قوله : بيده الملك ، قد علم منه أن المراد بقدرته ، لكن لا يتجوز بذلك الا لمن له يد حقيقة .

ومن ذلك : أنه تعالى أضاف الفعل اليه ، وعدى الفعل الى اليد بحرف الباء ووضع لفظ اليد بصيغة التثنية . فالمفهوم من ذلك أنه خلق آدم بيديه المختصتين به حقيقة كما يليق بجلاله .

و أما الأدلة الجلية من السنة فكثيرة جدا ، مثل : قوله صلى الله عليه وسلم : " ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزوجل وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا ".(١)

وقوله صلى الله عليه وسلم : " تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده ، كما يكفؤ أحدكم خبزته فى السفر ، نزلا لأهل الجنة ".(٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم : " يقبض الله الأرض يوم القيامة و يطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ".(٣)

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الامارة باب فضيلة الامام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهى عن ادخال المشقة عليهم ٣/ ١٤٥٨، والنسائى فى كتاب آداب القضاة باب فضل الحاكم العادل فى حكمه ٢٢١/٨ ، و أحمد فى المسند ١٦٠/٢، من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الرقاق باب ما يقبض الله الأرض يوم القيامة ٣٧٢/١١ ، ومسلم فى كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب نزل أهل الجنة ٢١٥١/٤، من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

(٣) سبق تخريجه ، ص : ٧٨ ، فى الهامش رقم (١) .

وغير ذلك من الأدلة الواردة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تدل على أن لله تعالى يدين حقيقة كما يليق بجلاله سبحانه . (١)

ومما سبق بيانه يظهر لنا أن دعوى المتأولين وجوب صرف الصفات الالهية أو بعضها عن حقيقتها الى المجاز دعوى باطلة لا تستند على دليل ، لا لغوى ولا نقلى ولا عقلى .

والخلاصة :

ان ابن تيمية يعترف بالمجاز في لغة العرب ، ولكن بمفهومه اللغوى ، وليس بمفهومه الاصطلاحى عند المتأخرين الذى هو قسيم للحقيقة . فمقصوده أنه مما يجوز الاستعمال أو التعبير به فى اللغة أن يقول أحد : " خالد أسد الله ، أو لفلان عندى يد " ونحو ذلك ، كما ثبت فى لغة العرب .

وأما تقسيم الألفاظ فى دلالتها على معانيها الى الحقيقة والمجاز فهذا تقسيم باطل ، اذ لم يقل به أحد من أئمة اللغة الأوائل كما لم ينطق به أحد من السلف ، وللخلف فيه قولان ، بل نفس هذا التقسيم باطل لأنه ليس هناك فرق معقول يمكن به التمييز بين الحقيقة والمجاز . وعلى ذلك فلا مجاز فى القرآن ، ولا مجاز فى الصفات الالهية ، ودعوى المتأولين بمجازية الصفات الالهية أو بعضها دعوى فاسدة لا تنهض بها حجة .

كما يرى ابن تيمية أنه ينبغى أن نحمل كلام الله ورسوله

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى : ٣٦٣/٦ ـ ٣٧٢ .

على ضوء اللغة والعادة التى خاطب الله ورسوله بها الأمة ، ولا يجوز أن نحمله على ضوء اللغة والعادة ألتى حدثت بعد ذلك بقرون ، كما يفعله أهل التحريف والبدع .

وهذا الموقف الذى اتخذه ابن تيمية من مشكلة المجاز موقف صحيح لموافقته للكتاب والسنة وكلام السلف ولغة العرب .

الباب الثالث

موقف ابن تيمية من الصفات الالهية

وفيه ستة فصول :

ـ((الفصل الأول))ـ

قواعد منهج ابن تيمية وأصوله

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : قواعد منهج ابن تيمية .

المبحث الثاني : أصول منهج ابن تيمية .

الفصل الأول

قواعد منهج ابن تيمية وأصوله

اتضح لنا مما سبق ذكره موقف ابن تيمية من بعض المسائل المتعلقة بالصفات الالهية، حيث رجح منهج السلف وبين أن طريقتهم هي الأسلم والأعلم والأحكم، وانتقد منهج الخلف وكشف شبهاتهم، ثم وضح لنا بعد ذلك موقفه من مشكلتي التأويل والمجاز .

وقبل دراسة موقفه رحمه الله من الصفات الالهية، أرى من الضروري أن أذكر خلاصة لقواعد ابن تيمية التي بنى عليها منهجه في الصفات الالهية وأصوله فيها، لأن هذه الأمور في وجهة نظري هي أساس منهجه في هذا الباب .

المبحث الأول : قواعد منهج ابن تيمية .

واذا كان ابن تيمية يرجح منهج السلف رضى الله عنهم ويؤيده، فان المنهج الذى يسير عليه في قضية الصفات الالهية هو نفس منهجهم .

وهذا المنهج في رأيي يرتكز على أربع قواعد :

(١) القاعدة الأولى : الاثبات .

وهو اثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يليق بجلاله .

وفي الاثبات يرى ابن تيمية أنه لا يكفي مطلق الاثبات، بل لا بد من اثبات الصفات الالهية على وجه التفصيل، كما جاء بذلك

القرآن والسنة ، كقوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم)[١] الآية بكمالها ، وقوله تعالى (قل هوالله أحد الله الصمد)[٢]، وقوله تعالى (وهو العليم الحكيم)[٣]، وقوله تعالى (وهو العليم القدير)[٤]، وقوله تعالى (وهو السميع البصير)[٥] وقوله تعالى (وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد)[٦]، وقوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير)[٧]، وقوله تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه)[٨]، وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما)[٩]، وقوله تعالى (هوالله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)[١٠]، الى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أسماء الرب تعالى وصفاته ، فان فى ذلك من اثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٢) سورة الاخلاص : ١ ـ ٢ .

(٣) سورة التحريم : ٢ .

(٤) سورة الروم : ٥٤ .

(٥) سورة الشورى : ١١ .

(٦) سورة البروج : ١٤ ـ ١٦ .

(٧) سورة الحديد : ٣ ـ ٤ .

(٨) سورة البينة : ٨ .

(٩) سورة النساء : ١٦٤ .

(١٠) سورة الحشر : ٢٢ ـ ٢٤ .

و اثبات وحدانيتـــــه بنفي التمثيل ما هدى الله به عباده إلى سواء السبيل . (١)

وفى مذهب ابن تيمـــية أن العمدة فى الاثبات هو السمـــع ، أى الكتاب والسنة ، فلا يثبت رحمه الله لله تعالى من الأسماء والصفات الا ما أثبته الكتاب والسنة .

وهذا لا يعنى أن ابن تيمـــية ينكر اثبات الصفات الالهيـــة من طريق العقل ، بل يثبتها عن طريق العقل أيضا ، الا أن هذا الطريق فى مذهبه ليس هو الأصل ، بل الأصل هو السمع .

ومن الطرق العقليـــة التى يذكرها ابن تيمية لاثبات الصفات :

(أحدها) طريقة قياس الأولى ، وهى أن كل كمال ثبت للمخلوق و أمكن اتصاف الخالق به ، فالخالق أولى به . وكل نقص ينزه عنه المخلوق فالخالـــق أولى بالتنزيه عنـــه .

و قد استدل القرآن بهذه الطريقة ، كقوله تعالى (ضرب لكـــم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون)(٢) و قوله تعالى (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظـــيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب، ألا ساء ما يحكمون. للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء، ولله المثـــل الأعلى ، وهو العزيز الحكيم)(٣).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٣/٥ - ٧ .

(٢) سورة الروم : ٢٨ .

(٣) سورة النحل : ٥٨ - ٦٠ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٥٧/١٦ - ٣٥٨ .

وهذه الطريقة - كما ذكر ابن تيمية رحمه الله - سلكها الأئمة و من تبعهم من نظار السنة.[١]

(الرابع) طريقة الاستدلال بأن الفعل مستلزم للقدرة ولغيرها. فمن النظار من يثبت أولا القدرة، ومنهم من يثبت أولا العلم، ومنهم من يثبت أولا الارادة. وهذه طريقة كثير من أهل الكلام.[٢]

هذه من الطرق العقلية التي ذكرها ابن تيمية لاثبات الصفات. وقد يستدل ابن تيمية بهذه وهذه.

وقد أشرت سابقا الى أن ابن تيمية يجعل السمع هو الأصل في اثبات الصفات. ولذلك ما دل عليه السمع من صفة، وان لم يدل عليه العقل، فانه يجب اثباته ولا يجوز نفيه، لأن عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين.[٣]

(٢) القاعدة الثانية : النفي.

وهو نفي مانفاه الله تعالى عن نفسه في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. وهذا النفي يتضمن أمرين :

أحدهما : نفي مماثلة غيره له في صفات الكمال،

والثاني : نفي النقص والعيب.

ونفي مماثلة غيره له في صفات الكمال معلوم بالسمع والعقل.

أما السمع فقوله تعالى (ليس كمثله شيء)[٤]، وقوله تعالى

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٨٨/٣ : د - هـ.

(٢) نفس المرجع : ٣٥٦/١٦.

(٣) انظر: نفس المرجع : ١٩/٣.

(٤) سورة الشورى : ١١.

(هل تعلم له سميا)[١]، وقوله تعالى (ولم يكن له كفوا أحد)[٢] وقوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا)[٣].

وأما العقل ، فقد علم أن المثلين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر، ويجب له ما يجب له ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه . فلو كان المخلوق مثلا للخالق للزم اشتراكهما فيما يجب ويجوز و يمتنع. والخالق يجب وجوده وقدمه ، والمخلوق يستحيل وجوب وجوده وقدمه ، بل يجب حدوثه وامكانه . فلو كانا متماثلين للزم اشتراكهما في ذلك ، وهذا جمع بين النقيضين . فثبت بذلك أن الخالق لا يماثله غيره في صفاته .[٤]

ونفي النقص والعيب معلوم كذلك بالسمع والعقل .

أما السمع ، فقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم)[٥] ، وقوله تعالى (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين)[٦]، وقوله تعالى (لم يلد ولم يولد)[٧] وغير ذلك مما يدل على نفي النقص والعيب عن الله تعالى .

وأما دلالة العقل عليه ، فان ثبوت الكمال لله تعالى يستلزم نفي ما يناقض كماله من النقص والعيب . فثبوت الحياة يستلزم نفي

---

(١) سورة مريم : ٦٥ .

(٢) سورة الاخلاص : ٤ .

(٣) سورة البقرة : ٢٢ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى : ٣٦٣/١٦ ، شرح العقيدة الأصفهانية ص : ٩ - ١٠ .

(٥) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٦) سورة سبأ : ٣ .

(٧) سورة الاخلاص : ٣ .

الموت ، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز .[1] وقد مر بنا أن كل نقص ينزه عنه المخلوق فالخالق أولى بتنزيهه عنه .[2]

وفي طريق النفي يرى ابن تيمية أنه لابد أن يتضمن اثبات مدح وكمال ، والا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال ، لأن النفي المحض عدم محض ، والعدم المحض ليس بشيء، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع ، والمعدوم والممتنع لا يوصفان بمدح ولا كمال . ولذلك عامة ما نفاه الله عن نفسه متضمن لاثبات مدح وكمال له .

ومثال ذلك : قوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم)[3]، فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام ، فهو مبين لكمال أنه الحيّ القيوم .

وكذلك قوله : (وما مسنا من لغوب)[4]، فان نفي مس اللغوب الذي هو التعب والاعياء دال على كمال القدرة ونهاية القوة .

وكذلك قوله : (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض)[5]، فان نفي العزوب مستلزم لعلمه تعالى بكل ذرة في السموات والأرض .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٧١/٦ ، ٣٦٣/١٦ .

(٢) اذا كان في اتصاف الخالق به نقص . أما اذا كان في اتصاف الخالق به كمال فلا . مثل : عدم الولادة ، فانه كمال لله - لقوله تعالى (لم يلد) - ونقص في المخلوق .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٤) سورة ق : ٣٨ .

(٥) سورة سبأ : ٣ .

وأمثال ذلك من الآيات والأحاديث التي فيها نفي النقص والعيب ، فان هذا النفي يتضمن اثبات مدح وكمال لله تعالى . وهنا يقرر ابن تيمية أن كل نفي لا يستلزم ثبوتا هو مما لم يصف الله به نفسه.(١)

(٣) **القاعدة الثالثة : التوقف .**

وهو التوقف فيما لم يرد ذكره في الكتاب ولا في السنة ، لا نفيا ولا إثباتا . كتلك الألفاظ التي تنازع فيها الخلف مثل : التحيز والجهة والجسم وغير ذلك . فان منهم من يقول : هو متحيز، ومنهم من يقول : ليس بمتحيز، وهذا يقول : هو في جهة ، وذاك يقول : ليس هو في جهة ، وهذا يقول : هو جسم ، وذاك يقول : ليس هو بجسم .

فهذه الألفاظ ليس لأحد أن يطلق القول فيها بنفي ولا اثبات لعدم ورود ذلك في الكتاب والسنة ، ولأنها ألفاظ مجملة قد يراد بها معنى حق ، وقد يراد بها معنى باطل . فيجب التوقف في مثل هذه الألفاظ واستفسار المتكلم بذلك عن مراده ، فان أراد معنى حقا قبل، وان أراد معنى باطلا رد ، وان اشتمل كلامه على حق و باطل لم يقبل مطلقا ولم يرد مطلقا ، بل قبل الحق ورد الباطل .(٢)

فمن نفى التحيز يقال له : أتريد بالتحيز أن الله تحوزه المخلوقات وتحيط به ، أم تريد أنه مباين لها منفصل عنها ليس حالا فيها ؟ فان أراد الأول فهو حق ، وان أراد الثاني فهو باطل . وكذلك من أثبت التحيز يقال له ذلك ، فان أراد الأول فهو باطل فان الله تعالى أعظم و أكبر، بل قد وسع كرسيه السموات والأرض ، وقد قال تعالى (وما قدروا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٥/٣ - ٣٧ .

(٢) انظر: نفس المرجع : ٤١/٣ ، ٢٩٨/٥ و ٢٩٩ .

الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)[1]. وان أراد المعنى الثانى فهو حق ، فان الله تعالى فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه.

كما أن من نفى الجهة يقال له : أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق ، أم تريد بالجهة ماوراء العالم ؟ فان أراد المعنى الأول فهو حق ، فان الله تعالى ليس داخلا محصورا فى شيء من مخلوقاته ، كائنا من كان . وان أراد الثانى فهو باطل ، فان الله تعالى فوق العالم مباين للمخلوقات . وكذلك من أثبت الجهة يقال له ذلك . فان أراد المعنى الأول فهو باطل ، وان أراد الثانى فهو حق . [2]

وهكذا كل ماكان من الألفاظ المجملة التى ليس لها أصل فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا قالها أحد من سلف الأمة و أئمتها فى حق الله ،لا نفيا ولا اثباتا .

واطلاق القول فى مثل هذه الألفاظ بنفى أو اثبات ليس من منهج أهل السنة ، بل الاطلاق من الطرفين من بدعة أهل الكلام والفلسفة .[3]

ومن هذه القواعد الثلاث نرى اعتصام ابن تيمية بالكتاب والسنة ، فما أثبته الشرع فى حق الله أثبته ، وما نفاه نفاه ، ومالم يرد فيه اثبات ولا نفى توقف فيه .

---

(١) سورة الزمر : ٦٧ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٤١/٣ - ٤٢ ، ٣٠٥/٥ - ٣٠٧ .

(٣) انظر: نفس المرجع : ٣٠٥/٥ .

وقد أجمل رحمه الله هذه القواعد الثلاث بقوله :

"... فالواجب أن ينظر في هذا الباب، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه ، وما نفاه الله ورسوله نفيناه ، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الاثبات والنفي ، فنثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني وننفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني . وأما الألفاظ التي تنازع فيها من ابتدعها من المتأخرين مثل لفظ الجوهر والمتحيز والجهة ونحو ذلك ، فلا تطلق نفيا ولا اثباتا حتى ينظر في مقصود قائلها ، فان كان قد أراد بالنفي والاثبات معنى صحيحا موافقا لما أخبر به الرسول صوّب المعنى الذي قصده بلفظه ، ولكن ينبغي أن يعبر عنه بألفاظ النصوص ، لا يعدل الى هذه الألفاظ المبتدعة الا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد بها ، والحاجة مثل : أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه ان لم يخاطب بها ، وأما ان أريد بها معنى باطل نفي ذلك المعنى ، وان جمع فيها بين حق وباطل أثبت الحق وأبطل الباطل...".[١]

(٤) <u>القاعدة الرابعة : نفي علم الكيفية</u>.

وكيفية الصفات هي حقيقتها وكنهها . وذكر ابن تيمية أن علم الكيفية منفي بالنص وباجماع السلف .

أما النص : فقوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله)[٢] . وتأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته . وهذا لا يعلمه الا الله تعالى .[٣]

---

(١) منهاج السنة النبوية : ٢٤٩/١ .

(٢) سورة آل عمران : ٧ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى : ١٦٧/٣ .

ومن الآيات التي يستدل بها أيضا لهذا المعنى[1]، قوله تعالى (ولا يحيطون به علما)[2]، وقوله (وأن الى ربك المنتهى)[3].

وأما اجماع السلف ، فقد أجمعوا على أن الكيفية غير معلومة لنا ، كما قال ربيعة ومالك وابن عيينة وغيرهم ـ المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول ـ : " الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ".[4]

فالسلف رضي الله عنهم كانوا متفقين على اثبات العلم بمعاني الصفات ونفي العلم بكيفيتها ، لأن العلم بكيفية الصفات فرع العلم بكيفية الموصوف ، فاذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته امتنع أن تعلم كيفية صفاته.[5]

ويعلم مما ذكره ابن تيمية أنه يثبت العلم بمعاني صفات الله تعالى وينفي العلم بكيفيتها ، عملا بالنصوص الشرعية واتباعا لسلف الأمة ، فان العقل يعجز عن معرفة ذلك ، لأنه لا يعلم كيف الله وكيف صفاته الا الله وحده .

وقد وضح هذه القاعدة ابن القيم رحمه الله ، تلميذ ابن تيمية ، فقال :

"... ان العقل قد يئس من تعرف كنه الصفة وكيفيتها . فانه لا يعلم كيف الله الا الله . وهذا معنى قول السلف " بلا كيف " أي بلا كيف

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢١٥/١٦، تفسير البغوي ٢٦٩/٦ـ ٢٧٠، تفسير ابن كثير ٢٥٨/٤ ـ ٢٥٩، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ص ٢٦ .

(٢) سورة طه : ١١٠ .　　(٣) سورة النجم : ٤٢ .

(٤) مجموع الفتاوى : ١٦٧/٣ .

(٥) انظر: نفس المرجع: ١٦٧/٣ ، ٣٩٩/٦ .

المبحث الثاني : أصول منهج ابن تيمية .

وقد بنى ابن تيمية رحمه الله منهجه في الصفات الالهية على أصول أخرى اضافة الى القواعد الأربع السالفة الذكر :

الأصل الأول : وجوب الاقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

من الأصول التي بنى ابن تيمية منهجه عليها في الصفات الالهية : أنه يجب على الخلق الاقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به ، وهذا هو تحقيق " شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله " . فمن شهد أنه رسول الله ، شهد أنه صادق فيما أخبر به عن الله تبارك وتعالى ، فان هذه حقيقة الشهادة ، اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه .

والاقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو الاقرار بما ورد في الكتاب وفي السنة ، كما قال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)(١) ، وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا)(٢) ، وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)(٣) .

ومما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم رضاه عن السابقين

---

(١) سورة البقرة : ١٥١ .

(٢) سورة النساء : ٥٩ .

(٣) سورة النساء : ٦٥ .

الأولين وعمن تبعهم باحسان الى يوم الدين ٠ كما قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه)(١).

ومما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم اخباره تعالى بأنه قد أكمل الدين بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)(٢). ومما جاء به أمرالله له بالبلاغ المبين كما قال تعالى (وما على الرسول الا البلاغ المبين)(٣)، وقال تعالى (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)(٤).

ومن المعلوم من دين المسلمين أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئا ، كما قال صلى الله عليه وسلم : " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدى الا هالك "(٥)، وقال أبوذر : " تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و ما طائر يقلب جناحيه فى الهواء الا وهو يذكرنا منه علما ، قال : فقال صلى الله عليه وسلم : " وما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار الا وقد بين لكم "(٦).

ومن اكمال هذا الدين وتبليغه صلى الله عليه وسلم جميع ما

---

(١) سورة التوبة : ١٠٠ ٠

(٢) سورة المائدة : ٣ ٠

(٣) سورة النور : ٥٤ ، سورة العنكبوت : ١٨ ٠

(٤) سورة المائدة : ٦٧ ٠

(٥) سبق تخريجه ، ص : ١٢٢، فى الهامش رقم (٣) ٠

(٦) رواه أحمد باختصار بدون ذكر قوله صلى الله عليه وسلم ١٦٢/٥، ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٦٦/٢ ٠ قال الهيثمى :" ورجال الطبرانى رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى وهو ثقة ، وفى اسناد أحمد من لم يسم" ٠ مجمع الزوائد ٢٦٣/٨ - ٢٦٤٠

شرعه الله لعباده أنه لا بد وأن يكون الرسول قد بيّن باب الايمان بالله والعلم بأسمائه وصفاته بيانا شافيا ، ولا يجوز أن يتركه ملتبسا مشتبها ، فان هذا الباب أساس الدين و أصله ، بل هو زبدة الرسالة الالهية .

اذا تبين هذا فقد وجب على كل مسلم تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله تعالى من أسمائه وصفاته ، مما جاء في القرآن والسنة الثابتة عنه ، كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان ، فان هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة ، وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل.(١)

<u>الأصل الثاني</u> : موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول .

من الأصل الأول نلاحظ أن ابن تيمية يرى تقديم النقل وهو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا هو الواجب لأن الله تعالى أمر المؤمنين عند التنازع بالرد الى الله والى الرسول ، ولأن العقل دل على صدق الرسول دلالة عامة مطلقة . فهذا يوجب أن يكون النقل مقدما على العقل .(٢)

ومع هذا ، فقد عني ابن تيمية عناية كبيرة بتوضيح أنه لا تعارض بين العقل والنقل ، اذا كان العقل صريحا والنقل صحيحا ، أي أن العقل الصريح موافق للنقل الصحيح .

هكذا يرى ابن تيمية ، وهو يؤكد ذلك في مواضع كثيرة من كتبه أنه قد تحقق ذلك بنفسه ، اذ تبين له بعد استقصاء وتفكير طويل اتفاق

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١٥٤/٥ ـ ١٥٦ .

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل : ١٣٨/١ و ١٤٦ .

ما جاء به النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما وصل اليه العقل الصريح .(١)

يقول ابن تيمية :

"... ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع ألبتة ، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط .

وقد تأملت ذلك فى عامة ما تنازع الناس فيه ، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها ، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع .

وهذا تأملته فى مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات ، ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك ، ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط ، بل السمع الذى يقال انه يخالفه : اما حديث موضوع ، أو دلالة ضعيفة ، فلا يصلح أن يكون دليلا لو تجرد عن معارضة العقل الصريح ، فكيف اذا خالفه صريح المعقول ؟ ".(٢)

فقد بين رحمه الله أنه لا تعارض بين صريح المعقول وصحيح المنقول ، بل صريح المعقول يوافق صحيح المنقول . وأما ما قيل بالتعارض بين العقل والنقل فاما أن يكون ما وصل اليه العقل هو الشبهات الفاسدة ، واما أن يكون المنقول حديثا موضوعا أو دلالة ضعيفة .

ثم يقول رحمه الله :

" ففى الجملة : النصوص الثابتة فى الكتاب والسنة لا يعارضها معقول بيّن قط ، ولا يعارضها الا ما فيه اشتباه واضطراب ، وما علم أنه

---

(١) وخير دليل على ذلك كتابه : درء تعارض العقل والنقل .

(٢) درء تعارض العقل والنقل : ١٤٧/١ .

حق لا يعارضه ما فيه اضطراب واشتباه لم يعلم أنه حق .

بل نقول قولا عاما كليا : ان النصوص الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعارضها قط صريح معقول ، فضلا عن أن يكون مقدما عليها ، وانما الذى يعارضها شبه وخيالات ، مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة ، فمتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سوفسطائية ، لا براهين عقلية". (١)

ومما ذكره ابن تيمية يظهر لنا أن صريح المعقول يوافق صحيح المنقول وأنه لا تعارض بينهما .

الأصل الثالث : القول فى الصفات كالقول فى الذات .

فان الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله . فاذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات ، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات .

فاذا قال السائل : كيف استوى على العرش ؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضى الله عنهما : "الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة" ، لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الاجابة عنه .

وكذلك اذا قال : كيف ينزل ربنا الى السماء الدنيا ؟ قيل له : كيف هو؟ فاذا قال: لا أعلم كيفيته ، قيل له : ونحن لا نعلم كيفية نزوله ، اذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، وهو فرع له وتابع له ، فكيف تطالبنى بالعلم بكيفية استوائه ونزوله ، وأنت لا تعلم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل : ١/١٥٥ - ١٥٦ .

كيفيـــة ذاته ؟

فالعلم بكيفية الصفات يستلزم العلم بكيفية الذات المتصفة بالصفات ، وهو فرع له وتابع له ، يحتذى فيه حذوه ، واذا كنا لا نعلم كيفية ذاته تعالى، فكيف نعلم كيفية صفاته ؟ فلا نعلم كيفيـــة سمعه وبصـــره وكلامه واستوائه ونزوله ، كما لا نعلم كيفية ذاته .

واذا كنا مقرين بأن له ذاتا ثابتة فى نفس الأمر مستوجبـــة لصفات الكمال لا يماثلها شيء ، فسمعه وبصره وكلامه واستواؤه ونزولـــه ثابتة فى نفس الأمر ، وهو متصف بصفات الكمال التى لا يماثله فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم واستواؤهم ونزولهم .

وهكذا ، فالقول فى صفاته تعالى كالقول فى ذاته ، وهو فرع له ، وتابع له ، يحتذى فيه حذوه ، ويتبـــع فيه مثاله .(١)

<u>الأصل الرابع</u> : القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر.

ومفاد هذا الأصل : أننا اذا أثبتنا لله تعالى الأسمـــــاء حقيقة على الوجه اللائق بجلاله ، فلا بد من أن نثبت له الصفات حقيقـــة على الوجه اللائق بجلاله ، لأنه لا فرق بين اثبات الأسماء واثبات الصفات، بل القول فى أحدهما كالقول فى الآخر .

وكذلك اذا أثبتنا لله تعالى الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمـــع والبصر والكلام حقيقة على الوجه اللائق بجلاله ، فلا بد مـــن أن نثبت له الصفات الأخرى : كالمحبـــة والرضا والغضب والوجه واليديـــن والاستواء والنزول حقيقـــة على الوجه اللائق بجلاله ، لأنه لا فرق بيـــن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٥/٣ - ٢٦ .

هذه الصفات وهذه الصفات ، بل القول فى أحدهما كالقول فى الآخر.

فان كان المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالأسماء ، كالمعتزلى الذى يقول انه حي عليم قدير، وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة.

قيل له : لا فرق بين اثبات الأسماء واثبات الصفات، فانك ان قلت : اثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضى تشبيها أو تجسيما ، لأنا لا نجد فى الشاهد متصفا بالصفات الا ما هو جسم ، فان نفيت ما نفيت لكونك لم تجده فى الشاهد الا للجسم فانف الأسماء ، بل وكل شيء، لأنك لا تجده فى الشاهد الا للجسم ، وان أثبتّ الأسماء لله تعالى على الوجه اللائق به وأن ذلك لا يقتضى تشبيها أو تجسيما فأثبت له الصفات على الوجه اللائق به وأن ذلك لا يقتضى تشبيها أو تجسيما.

وان كان المخاطب ممن يثبت الصفات السبع[1] ويجعل ذلك كله حقيقة ، وينازع فى محبته ورضاه وغضبه وكراهته ، فيجعل ذلك مجازا ويفسره اما بالارادة أو ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات.

فيقال له : لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته ، بل القول فى أحدهما كالقول فى الآخر. فان قلت : ان ارادته مثل ارادة المخلوقين ، فكذلك محبته ورضاه وغضبه ، وهذا هو التمثيل. وان قلت: ان له ارادة تليق به ، كما أن للمخلوق ارادة تليق به ، فكذلك له محبة تليق به ، وللمخلوق محبة تليق به ، وله رضا وغضب يليقان به ، وللمخلوق رضا وغضب يليقان به.

وهكذا ، فالقول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر، ولا يجوز التفريق بينهما. [2]

---

(١) وهى : الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ١٧/٣ ـ ٢٠ .

الأصل الخامس : الاتفاق في الأسماء لا يلزم منه التماثل في مسماها .

من المعلوم بصريح العقل أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه ، وما هو محدث ممكن . وهما متفقان في كون كل منهما موجودا ، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا ، بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه ، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الاضافة والتخصيص والتقييد ولا في غيره .

فلا يقول عاقل - اذا قيل: ان العرش شيء موجود وان البعوض شيء موجود - : ان هذا مثل هذا ، لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود ، لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه ، بل الذهن يأخذ معنى مشتركا كليا هو مسمى الاسم المطلق . واذا قيل: هذا موجود وهذا موجود ، فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره ، مع أن الاسم حقيقة في كل منهما .

ولهذا لما سمى الله نفسه بأسماء وصفاته بأسماء ، وسمى بعض عباده وصفات بعضهم بنظير ذلك ، لا يلزم منه التماثل بين الله و بين خلقه . بل هذه الأسماء اذا أضيفت اليه تبارك وتعالى فهي مختصة به لا يشركه فيها غيره ، واذا أضيفت الى عباده فهي مختصة بهم ، والله منزه عن مشاركتهم في خصائصهم .

فقد سمى الله نفسه حيا ، فقال (الله لا اله الا هو الحي القيوم)[1] ، وسمى بعض عباده حيا فقال (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)[2] . وليس هذا الحي مثل هذا الحي ، لأن الحي في الآية الأولى اسم لله مختص به ، والحي في الآية الثانية اسم للمخلوق مختص به .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٢) سورة الروم : ١٩ .

وكذلك سمى نفسه سميعا بصيرا ، فقال (ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا)[١]، وسمى بعض عباده سميعا بصيرا فقال : (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)[٢]، وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير.

وكذلك سمى صفاته بأسماء وسمى صفات عباده بنظير ذلك ، فقال: (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء)[٣] وقال (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)[٤] ، وسمى صفة المخلوق علما وقوة فقال (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)[٥] وقال (ويزدكم قوة الى قوتكم)[٦] ، وليس العلم كالعلم ولا القوة كالقوة.

وهكذا وصف نفسه بالمحبة ووصف عبده بالمحبة فقال (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه)[٧] وقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)[٨]، ومعلوم أن محبة الله ليست مثل محبة عبده ، بل محبة الله تليق به ، ومحبة عبده تليق به.

وكذلك وصف نفسه بأنه استوى على عرشه فقال (الرحمن على العرش استوى)[٩]، ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره كقوله تعالى

---

(١) سورة النساء : ٥٨ .

(٢) سورة الانسان : ٢ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٤) سورة الذاريات : ٥٨ .

(٥) سورة الاسراء : ٨٥ .

(٦) سورة هود : ٥٢ .

(٧) سورة المائدة : ٥٤ .

(٨) سورة آل عمران : ٣١ .

(٩) سورة طه : ٥ .

(لتستووا على ظهوره)[1]، وقوله (واستوت على الجودى)[2]، و ليس الا ستواء كالا ستواء، فان استواء الله مختص به يناسب ذاته، واستواء خلقه مختص بهم يناسب ذواتهم .

الى أمثال ذلك مما يدل على أن الا تفاق في الأسماء لا يلزم منه التماثل في مسماها . (٣)

ويتبين هذا الأصل بمثلين مضروبين - ولله المثل الأعلى :

<u>(المثل الأول)</u> : نعيم الجنـــة .

فان الله سبحانه وتعالى أخبرنا عما في الجنة من المخلوقات من أصناف المطاعم والملابس والمساكن، فأخبرنا أن فيها لبنا وعسلا وخمرا وماء ولحما وحريرا وذهبا وفضة وفاكهة وحورا وقصورا .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : " ليس في الدنيا مما في الجنة الا الأسماء".(٤)

واذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها هي موافقـــة في الأسماء للحقائق الموجودة في الدنيا وليست مماثلة لها، بل بينهما من التباين ما لا يعلمه الا الله تعالى، فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق، ومباينته لمخلوقاتـه أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا، اذ المخلوق أقرب الى

---

(١) سورة الزخرف : ١٣ .

(٢) سورة هود : ٤٤ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٩/٣ - ١٥ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١٧٤/١ باسناد حسن لأن رجاله ثقات الا مؤمل صدوق سيء الحفظ . انظر: تقريب التهذيب ٢٩٠/٢. ورواه أيضا بلفظ آخر باسناد صحيـــح .

المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق الى المخلوق ، وهذا بيّن واضح.[1]

(المثل الثاني) : الروح

فقد أخبرت النصوص الشرعية أن الروح تعرج وتنزل ، وتذهب وتجيء ، وأنها تقبض من البدن ، ونحو ذلك من الصفات . وأهل العقول معترفون بوجودها وبآثارها ، الا أنهم مضطربون فيها ، وقاصرون عن تحديدها وتكييفها ، لأنهم لم يشاهدوا لها نظيرا ، والشيء انما تعرف حقيقته بمشاهدته أو مشاهدة نظيره .

فاذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات ، فالخالق أولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه وصفاته . وأهل العقول هم أعجز عن أن يحدوه أو يكيفوه منهم عن أن يحدوا الروح أو يكيفوها .[2]

وبهذين المثلين المضروبين - ولله المثل الأعلى - يظهر لنا أن الاتفاق في الأسماء والصفات بين الله وبين بعض عباده لا يوجب التماثل بينهما .

وخلاصة القول ، فان منهج ابن تيمية في الصفات الالهية كما يرتكز على القواعد الأربع السابقة الذكر ، فانه ينبني على أصول ، ومن هذه الأصول :

١ - وجوب الاقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٢٨/٣ .

(٢) انظر : نفس المرجع : ٣١/٣ و ٣٣ ، ٣٥٤/٥ .

٢ - موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، وعدم تعارضهما .

٣ - القول فى الصفات كالقول فى الذات .

٤ - القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر .

٥ - الاتفاق فى الأسماء لا يلزم منه تماثل مسماها .

هذه بعض أصول منهج ابن تيمية فى الصفات الالهية .

وبعد هذا التقديم لقواعد منهج ابن تيمية وأصوله ، نأتى الآن الى دراسة موقفه رحمه الله من الصفات الالهية التى أثبتها الله تعالى لنفسه فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

((الفصل الثاني))

موقفه من أسماء الله وصلتها بالصفات

وفيه مباحث:

المبحث الأول : طريق اثبات الاسماء .

المبحث الثاني : أسماء الله بين الحقيقة والمجاز

المبحث الثالث: عدد أسماء الله تعالى .

المبحث الرابع: هل الاسم هو المسمى أولا ؟

المبحث الخامس: صلة الاسماء بالصفات .

===========

الفصل الثاني

موقفه من أسماء الله وصلتها بالصفات

لقد سمى الله سبحانه نفسه بأسماء وأمرنا بالتعبد بها كما قال تبارك وتعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)[1]. وكان ثبوت أسمائه عز وجل في الكتاب والسنة أمرا واضحا ، ومع ذلك فقد وجد من بين الفرق المنتمية الى الاسلام من خالف في ذلك فلم يقر بثبوت الأسماء لله تعالى .

وأصحاب هذا الرأى هم الجهمية أتباع جهم بن صفوان ، كما سبقت الاشارة اليه[2] ، فانهم ينفون الأسماء عن الله تعالى كما ينفون عنه الصفات .

وأما السلف رضي الله عنهم وجمهور الخلف فهم مقرون بالأسماء التي أثبتها الله لنفسه المقدسة في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فاثبات الأسماء لله تعالى هو قول جماهير الأمة.

المبحث الأول : طريق اثبات الأسماء.

تبين لنا أن اثبات الأسماء لله هو قول جماهير الأمة. ولكنهم اختلفوا في طريق اثباتها الى مذهبين : مذهب قال بأنها مأخوذة من التوقيف ، ومذهب قال بأنها مأخوذة من الاصطلاح والقياس . وهذا

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٠ .

(٢) انظر ص : ٩٩ من هذه الرسالة.

الأخير هو مذهب المعتزلة البصريين .(١)

وقد سلك ابن تيمية المذهب الأول ، وهذا واضح من قواعد منهجه في الصفات الالهية ، التي سبق بيانها . فلا يثبت رحمه الله تعالى أسماء الله الا بما أثبته الله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ويقول ابن القيم رحمه الله :

" ... ما يطلق في باب الأسماء والصفات توقيفي ، وما يطلق عليه من الاخبار لا يجب أن يكون توقيفيا كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه ...".(٢)

وهذا المذهب الذي ذهب اليه ابن تيمية في اثبات أسماء الله مذهب صائب ، لاعتماده على الكتاب والسنة واتفاقه مع السلف رضي الله عنهم في هذا الاتجاه . وأما القياس الذي قال به المعتزلة البصريون فهو مذهب مردود عند السلف ، لأن هذا المذهب مع مخالفته للكتاب والسنة مبناه هو العقل . ومن المعلوم أن العقول البشرية تختلف وتتفاوت في قدرتها ، وما يقبله عقل أحد قد يرفضه عقل غيره ، فلا يمكن أن يستقل في اثبات الأسماء وفي غيرها من القضايا الالهية ، بل لا بد أن يرشده الوحي حتى يصل بذلك الى غاية المطالب . ومن هنا كان العقل وحده لا يكفي أن يكون مستندا في اثبات الأسماء ، وكذلك في اثبات الصفات .

ومما يؤكد صحة ماذهب اليه ابن تيمية ما قاله امام الحرمين

---

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي ، ص : ١١٥ - ١١٦ .

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ، ١٦٢/١ .

الجوينى[١]:

" ماورد الشرع باطلاقه فى أسماء الله تعالى وصفاته أطلقناه، وما منع الشرع من اطلاقه منعناه، ومالم يرد فيه أذن ولا منع لم نقض فيه بتحليل ولا تحريم، فان الأحكام الشرعية تتلقى من موارد السمع، ولو قضينا بتحليل أو تحريم من غير شرع لكنا مثبتين حكما دون السمع ".[٢]

وقد استدل ابن تيمية على ثبوت الأسماء لله تعالى فى الجملة بطريق النقل الذى هو الأصل وبطريق العقل المحكوم بالنقل .

ومن الأدلة النقلية التى استدل بها رحمه الله :[٣]

قوله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون)[٤]، وقوله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى)[٥] وقوله تعالى (الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى)[٦]، وقوله تعالى (هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى)[٧].

---

(١) ضياء الدين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى، النيسابورى، الشافعى، المعروف بامام الحرمين . ولد سنة ٤١٩ هـ وتوفى سنة ٤٧٨ هـ . انظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٣ - ١٧٠، البداية والنهاية ١٢٨/١٢ - ١٢٩، شذرات الذهب ٣٥٨/٣ - ٣٦٢، الأعلام ١٦٠/٤، معجم المؤلفين ١٨٤/٦ .

(٢) الارشاد للجوينى، ص : ١٤٣ .

(٣) مجموع الفتاوى : ١٤١/٦ .

(٤) سورة الأعراف : ١٨٠ .

(٥) سورة الاسراء : ١١٠ .

(٦) سورة طه : ٨ .

(٧) سورة الحشر : ٢٤ .

وأما استدلاله عن طريق العقل ، فيذكر ابن تيمية أن معرفة ذاته سبحانه بدون معرفة شيء من أسمائه وصفاته الثبوتية والسلبية ممتنعة. ولو قدر امكان ذلك أو فرض العبد في نفسه ذاتا مجردة عن جميع القيود الثبوتية والسلبية فليس ذاك معرفته بالله ألبتة،[1] وعلى ذلك فلا بد من اثبات الأسماء والصفات لله تعالى .

وخلاصة القول ، فان موقف ابن تيمية من طريق اثبات الأسماء هو أن الأسماء - من حيث التفصيل - توقيفية ، وقد وافق رحمه الله في هذا الاتجاه مذهب السلف ومن وافقهم من الخلف . وقد استدل على ثبوت الأسماء لله من حيث الجملة بطريقي النقل والعقل ، كما سلف .

المبحث الثاني : أسماء الله بين الحقيقة والمجاز .

اتفق جميع أهل الاثبات على أن الأسماء حقيقة في الله كما هي حقيقة في المخلوق . فالله حي حقيقة ، عليم حقيقة ، قدير حقيقة ، سميع حقيقة ، بصير حقيقة ، مريد حقيقة ، متكلم حقيقة ، حتى المعتزلة النفاة للصفات قالوا بهذا .

وقالت طائفة كأبي العباس الناشيء[2] : انها حقيقة في الخالق مجاز في المخلوق . وقالت طائفة من الجهمية والقرامطة الباطنية والمتفلسفة بالعكس : هي مجاز في الخالق حقيقة في المخلوق ، لزعمهم أن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١٧/١٠٦ .

(٢) أبو العباس عبد الله بن محمد الناشيء الأنباري ، المعروف بابن شرشير الشاعر ، وهو الناشيء الأكبر. توفي سنة ٢٩٣ هـ . انظر: وفيات الأعيان ٣/٩١ - ٩٣ ، شذرات الذهب ٢/٢١٤ - ٢١٥ ، الأعلام ٤/١١٨ ، معجم المؤلفين ٦/١١١ .

اطلاق ذلك يقتضى أن يكون المخلوق مماثلا للخالق .(١)

وقد وافق ابن تيمية جمهور هذه الأمة ازاء هذه القضية ، فرأى أن الأسماء حقيقة فى الله كما هى حقيقة فى المخلوق ، وليست مجازا . وقد وضح ذلك رحمه الله فقال : " ومن المعلوم باتفاق المسلمين أن الله حي حقيقة ، عليم حقيقة ، قدير حقيقة ، بصير حقيقة ، الى غير ذلك من أسمائه وصفاته ...".(٢)

وقد رد رحمه الله القول بمجازية أسماء الله وبين أنه قول معلوم الفساد بالضرورة فى الشرع والعقل واللغة :

أما كونه معلوم الفساد فى الشرع فانه معلوم بالضرورة من دين المسلمين أن الله تعالى مستحق للأسماء الحسنى كما جاء بها الكتاب والسنة ، فلا بد من اثبات هذه الأسماء لله حقيقة على الوجه اللائق بجلاله .

وأما كونه معلوم الفساد فى العقل، فانه معلوم بالضرورة أن أسماء الله أكمل وأتم وهو أحق بهذه الأسماء الحسنى، فلا نسبة بين أسماء العبد وأسماء الرب ، كما لا نسبة بين ذات العبد وذات الرب ، فكيف يكون العبد مستحقا للأسماء حقيقة والرب لا تستحق ذلك الا مجازا ؟ ومعلوم أن كل كمال حصل للمخلوق فهو من الخالق سبحانه ، وله المثل الأعلى : فكل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق أحق به ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزه عنه . وعلى هذا فالله تعالى أحق أن يتصف بتلك الأسماء الحسنى حقيقة .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٢١٨/٣ - ٢١٩ ، ١٩٦/٥ - ١٩٧ ، ١٤٦/٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ١٥٣/٢ ، مقالات الاسلاميين للأشعرى: ٢٤٠/١ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٢١٨/٣ .

وأما كونه معلوم الفساد فى اللغة، فان جميع أهل اللغات، من العرب والعجم، يعلمون أنه يقع مثل هذه الأسماء فى لغاتهم. فهى حقيقة فى جميع لغات الأمم، بل يعلمون أن الله أحق بأن يكون حيا وسميعا وعليما وقديرا من العبد، وأن استحقاق الرب لهذه الأسماء حقيقة أعظم من استحقاق العبد لذلك، وكذلك غيرها من الأسماء الحسنى.(١)

وأما شبهتهم أن اطلاق هذه الأسماء لله حقيقة يقتضى أن يكون المخلوق مماثلا للخالق، فهذه شبهة فاسدة لأن الاتفاق فى الاسم بين الخالق والمخلوق لا يوجب مماثلة المخلوق للخالق، وانما يوجب الدلالة على أن بين المسميين قدرا مشتركا فقط، وهذا القدر المشترك يوجد فى الذهن لا فى الخارج، وأما فى الخارج فكل موجود مختص بوجوده لا اشتراك فيه. فالله سبحانه مختص بأسمائه لا يشركه غيره فى شئ من ذلك، والعبد مختص بأسمائه والله منزه عن مشاركته فى شئ من خصائصه، وهذه الأسماء حقيقة فى كل منهما.(٢) وقد مر بنا أن من أصول ابن تيمية فى الصفات الالهية : أن الاتفاق فى الأسماء لا يلزم منه التماثل فى مسماها، ويتبين هذا الأصل بمثلين مضروبين : نعيم الجنة والروح، فيتضح لنا أن شبهة القائلين بمجازية أسماء الله شبهة باطلة لا يجوز الاحتجاج بها مع مخالفتها لما جاء فى الكتاب والسنة.

ومما يدل كذلك على فساد هذا المذهب، أنهم اذا قالوا : هذه الأسماء مجاز، أمكنهم نفى ذلك لأن علامة المجاز صحة نفيه. فكل من أنكر أن يكون اللفظ حقيقة لزمه جواز اطلاق نفيه، كما أن من قال : ان لفظ الأسد للرجل الشجاع ليس بحقيقة، فانه يلزمه صحة نفيه، فيقول :

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٠١/٥ - ٢٠٣.

(٢) انظر: نفس المرجع : ٢٠٢/٥.

هذا ليس بأسد، ولكنه آدمي، فلو كانت هذه الأسماء مجازا لكان يجوز أن يقال : ان الله ليس بحي ولا عليم ولا قدير ولا سميع ولا بصير، و معلوم بالاضطرار من دين الاسلام أنه لا يجوز اطلاق النفي على ما أثبته الله تعالى من الأسماء الحسنى والصفات العليا.[(١)]

وهؤلاء الذين يقولون بمجازية أسماء الله ملاحدة، لأنهم ألحدوا في أسماء الله وآياته. وقد قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)[(٢)]، و قال تعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا)[(٣)]. وهؤلاء شر من مشركي العرب الذين أخبر الله عنهم بقوله (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا : وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ؟ وزادهم نفورا)[(٤)]. فان أولئك المشركين انما أنكروا اسم الرحمن فقط، ولا ينكرون كل أسمائه وصفاته، ولهذا كانوا عند المسلمين أكفر من اليهود والنصارى.[(٥)]

وقد قال ابن القيم رحمه الله في هذا المذهب الفاسد :

" ... ومن أعظم الالحاد في أسمائه انكار حقائقها ومعانيها والتصريح بأنها مجازات، وهو أنواع، هذا أحدها. (الثاني) جحدها وانكارها بالكلية، (الثالث) تشبيهه فيها بصفات المخلوقين ومعاني أسمائه وأن الثابت له منها مماثل للثابت لخلقه ...".[(٦)]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٢١٩/٣ ، ١٩٧/٥ .

(٢) سورة الأعراف : ١٨٠ .

(٣) سورة فصلت : ٤٠ .

(٤) سورة الفرقان : ٦٠ .

(٥) انظر: مجموع الفتاوى : ١٩٧/٥ .

(٦) مختصر الصواعق المرسلة : ١١٠/٢ .

وخلاصة القول ، فان ابن تيمية يرى أن أسماء الله تعالى حقيقة وليست مجازا . وهذا الرأى الذى ذهب اليه رحمه الله رأى صحيح ، لموافقته مذهب جمهور الأمة ، ولاعتماده على الأدلة الشرعية والعقلية واللغوية ، ولأن انكار حقيقة أسماء الله هو من الالحاد فى أسمائه الذى حذرنا منه سبحانه وتعالى .

ولا شك أن ابن تيمية قد بنى رأيه هذا على أساس أنه لا يتحقق الايمان بالله الا بالايمان بما أخبر به عن نفسه من أسمائه وصفاته ، ولا يتحقق ذلك الا بالايمان بأسمائه التى أثبتها فى كتابه وسنة رسوله وبالايمان بما دلت عليه من المعانى وبما تعلقت به من الآثار . ومثال ذلك : الايمان بأنه رحيم ، قدير ، عليم ، وبأن هذه الأسماء تدل على المعانى : الرحمة والقدرة والعلم ، وأنها مقتضية لآثارها وهى أنه تعالى يرحم من يشاء ، ويقدر على كل شيء ، وعليم بكل شيء . وكل هذه الأمور لا يمكن تحقيقها الا بالايمان بأن هذه الأسماء التى أثبتها الله لنفسه حقيقة له وليست مجازا .

المبحث الثالث : عدد أسماء الله تعالى .

وقد ورد حديث فهم بعض العلماء منه حصر أسماء الله تعالى فى العدد المذكور فيه ، وهو حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان لله تسعة وتسعين اسما ، مائة الا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة ".(١)

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الشروط باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا فى الاقرار ٣٥٤/٥، وفى كتاب الدعوات باب لله مائة اسم غير واحدة ٢١٤/١١، وفى كتاب التوحيد باب ان لله مائة اسم الا واحد ٣٧٧/١٣، ومسلم فى كتاب الذكر باب فى أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ٢٠٦٢/٤ - ٢٠٦٣ ، والترمذى فى كتاب الدعوات ٥٣٠/٥، وابن ماجه فى كتاب الدعاء باب أسماء الله عزوجل ١٢٦٩/٢ .

فقد ذهب ابن حزم الى أن العدد الوارد فى هذا الحديث يقتضى الحصر لأسماء الله تعالى فى تسعة وتسعين ، كما قال ابن حزم :

" وان له عزوجل تسعة وتسعين اسما ، مائة غير واحد ، وهى أسماؤه الحسنى ، من زاد شيئا من عنده فقد ألحد فى أسمائه ، وهى الأسماء المذكورة فى القرآن والسنة ... وقد صح أنها تسعة وتسعون اسما فقط ، ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد ، لأنه عليه السلام قال: " مائة غير واحد" ، فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد ، لكانت مائة اسم ، و لو كان هذا لكان قوله عليه السلام " مائة غير واحد" كذبا ، ومن أجاز هذا فهو كافر".(١)

وأما جمهور العلماء فهم على خلافه ، اذ يرون أن الحديث ليس فيه حصر أسماء الله فى تسعة وتسعين ، وانما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بحصر الأسماء.(٢)

وقد وقف ابن تيمية من هذه القضية مع جمهور العلماء وتبنى رأيهم ، فقال رحمه الله : " ... فان الذى عليه جماهير المسلمين أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين ..."(٣) ، وقال فى موضع آخر ردا على من حصر أسماء الله فى تسعة وتسعين : " وهذا القائل الذى حصر أسماء الله فى تسعة وتسعين لم يمكنه استخراجها من القرآن ..."(٤).

فنص كلام ابن تيمية هذا يدل بوضوح على رأيه فى هذا الحديث وهو أنه لا يقتضى الحصر فى ذلك .

---

(١) المحلى لابن حزم : ٣٠/١ .

(٢) انظر: فتح البارى لابن حجر العسقلانى : ٢٢٠/١١ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٣٨١/٦ .

(٤) نفس المرجع : ٤٨٣/٢٢ .

وذكر ابن تيمية توجيه بعض العلماء - كالخطابي وغيره - لحديث أبي هريرة المذكور. فذكر أن التقييد بالعدد في قوله صلى الله عليه وسلم " ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا " عائد الى الأسماء الموصوفة بأنها هي هذه الأسماء. والجملة - وهي قوله : " من أحصاها دخل الجنة " - صفة للتسعة والتسعين ليست مبتدأة ، ولكن موضعها النصب ، ويجوز أن تكون مبتدأة والمعنى لا يختلف ، والتقدير : ان لله أسماء بقدر هذا العدد من أحصاها دخل الجنة ، كما يقول القائل : ان لي مائة غلام أعددتهم للعتق ، وألف درهم أعددتها للحج. فالتقييد بالعدد هو في الموصوف بهذه الصفة لا في أصل استحقاقه لذلك العدد ، فانه لم يقل : ان أسماء الله تسعة وتسعون . (١)

واستدل رحمه الله على أن أسماء الله غير محصورة في التسعة والتسعين بأمور :

(أحدها) : أن التسعة والتسعين اسما لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بل تعيينها ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم . وأشهر ما عند الناس في تعيينها حديث رواه الترمذي[٢] ، من

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى : ٣٨١/٦ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥٣٠/٥ - ٥٣١ . وقال : " هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ، ولا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح ، وهو ثقة عند أهل الحديث . وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير شيء من الروايات له اسناد صحيح ذكر الاسماء الا في هذا الحديث . وقد روى آدم بن أبي اياس هذا الحديث باسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر فيه الأسماء وليس له اسناد صحيح".

طريق الوليد بن مسلم [١]، وحفاظ أهل الحديث يقولون : هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث.[٢] وهناك حديث ثان أضعف من هذا ، رواه ابن ماجه.[٣] وقد روى في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف .

(الثاني)، أنه اذا قيل بتعيينها على ما في حديث الترمذي مثلا ، ففي الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث . ومثال ذلك : اسم " الرب " فانه ليس في حديث الترمذي ، وأكثر الدعاء المشرع انما هو بهذا الاسم ، بل انه دعاء الأنبياء وغيرهم كما ذكر الله في القرآن، كقول آدم (ربنا ظلمنا أنفسنا)[٤]، وقول ابراهيم (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)[٥]. وكذلك اسمه " السبوح" ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : سبوح قدوس رب

---

(١) الوليد بن مسلم القرشي ، مولى بني أمية وقيل مولى بني العباس، أبو العباس الدمشقي . قال ابن حجر: ثقة ، لكنه كثير التدليس والتسوية. ولد سنة ١١٩ ومات آخر سنة ١٩٤ أو أول سنة ١٩٥ هـ . انظر: تهذيب التهذيب ١٥١/١١ - ١٥٥ ، تقريب التهذيب ٣٣٦/٢ ، شذرات الذهب ٣٤٤/١ .

(٢) ومما يؤيد ما ذكره ابن تيمية ما يقوله ابن كثير: " والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه ، وانما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أي أنهم جمعوها من القرآن ، كما روى عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي . تفسير ابن كثير ٢٦٩/٢ .

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الدعاء باب أسماء الله عزوجل ١٢٦٩/٢ ، وفي اسناده : عبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد التميمي ، وعبد الملك بن محمد لين الحديث (تقريب التهذيب ٥٢٢/١) ، وأما زهير فقال أبوحاتم : حدث بالشام من حفظه فكثر غلطه (نفس المرجع: ٢٦٤/١).

(٤) سورة الأعراف : ٢٣ .

(٥) سورة ابراهيم : ٤١ .

الملائكة والروح " [1]، وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، وأحسن الخالقين، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها، وليس من هذه التسعة والتسعين.

(الثالث): ما احتج به الخطابي وغيره وهو حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ... أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ... " [2] فهذا يدل على أن له أسماء استأثر بها، فأسماؤه تعالى ليست محصورة في التسعة والتسعين، وانما في أسمائه تسعة وتسعون من أحصاها دخل الجنة.

هذه من الأمور التي استدل بها ابن تيمية على عدم حصر الأسماء لله تعالى في التسعة والتسعين. [3]

وقصارى القول، فان أسماء الله تبارك وتعالى غير محصورة في تسعة وتسعين اسما. وهذا الرأي صحيح سليم، ولا يسعنا العدول الى غيره، اذ يتفق مع الحق الذي نطق به الكتاب والسنة، واليه ذهب جمهور العلماء.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣٥/٦ و ٩٤، ومسلم في كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٣/١، وأبوداود في كتاب الصلاة باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ١٢٤/٣، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه أحمد في المسند ٣٩١/١ و ٤٥٢، والحاكم في المستدرك ٥٠٩/١ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ان سلم من ارسال عبد الرحمن ابن عبد الله عن أبيه، فانه مختلف في سماعه عن أبيه. وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى ... ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان. مجمع الزوائد ١٨٦/١٠ - ١٨٧.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٧٩/٦ - ٣٨٢، ٤٨١/٢٢ - ٤٨٦.

وممن ذهب الى القول بعدم حصر أسماء الله تعالى : البيهقى[١]، والنووى[٢]، وابن القيم[٣]، وابن كثير[٤]، وغيرهم من العلماء .

المبحث الرابع : هل الاسم هو المسمى أو لا ؟

هذه مسألة من المسائل التى حدث فيها النزاع بين العلماء، وهذا النزاع لم يعرف فى عهد السلف الأوائل، وانما عرف واشتهر - كما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية - بعد عصر الأئمة : بعد أحمد وغيره، والذى كان معروفا عند أئمة السنة الانكار على الجهمية الذين يقولون : أسماء الله مخلوقة، فيقولون: الاسم غير المسمى، وأسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق . فذمهم السلف وأغلظوا فيهم القول، فلهذا يروى عن الشافعى والأصمعى[٥] وغيرهما أنهم قالوا : " اذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة ".[٦]، ولم يعرف أيضا عن أحد من السلف أنه

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقى ص ١٧.
والبيهقى هو أبوبكر أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله بن موسى البيهقى الخسروجردى الخراسانى الشافعى ، ولد سنة ٣٨٤ وتوفى سنة ٤٥٨ هـ . انظر: وفيات الأعيان ١/٧٥-٧٦ ، البداية والنهاية ١٢/٩٤، تذكرة الحفاظ ٣/١١٣٢-١١٣٥، شذرات الذهب ٣/٣٠٤-٣٠٥، الأعلام ١/١١٦، معجم المؤلفين ١/٢٠٦ .

(٢) انظر: فتح البارى : ١١/٢٢٠ .
والنووى هو محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى الحورانى النووى الدمشقى الشافعى. ولد سنة ٦٣١ وتوفى سنة ٦٧٦ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ٤/١٤٧٠-١٤٧٤، فوات الوفيات ٤/٢٦٤-٢٦٨، البداية والنهاية ١٣/٢٧٨-٢٧٩، شذرات الذهب ٥/٣٥٤-٣٥٦ ، الأعلام ٨/١٤٩-١٥٠، معجم المؤلفين ١٣/٢٠٢ .

(٣) انظر: بدائع الفوائد: ١/١٦٦ .

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٢٦٩ .

(٥) أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصمع الباهلى البصرى اللغوى الاخبارى ، المعروف بالأصمعى. ولد سنة ١٢٢ هـ وتوفى سنة ٢١٦ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٣/١٧٠-١٧٦ ، شذرات الذهب ٢/٣٦-٣٧، الأعلام ٤/١٦٢، معجم المؤلفين ٦/١٨٧ .

(٦) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى: ١/٢٠٧ و ٢١١.

قال : الاسم هو المسمى.(١)

وحتى يتبين لنا موقف ابن تيمية من هذه المسألة أرى من المناسب أن أذكر أولا الأقوال في ذلك :

(الأول) : ان الاسم هو المسمى . وذكر ابن تيمية أن هذا القول قاله كثير من المنتسبين الى السنة ، مثل : اللالكائي(٢) وأبي محمد البغوي(٣) وغيرهما ، وهو أحد قولي أصحاب أبي الحسن الأشعري اختاره أبو بكر بن فورك وغيره. (٤)

ومما احتج به أصحاب هذا القول : قوله تعالى (انا نبشرك بغلام اسمه يحيى)(٥)، فأخبر تعالى أن اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال (يا يحيى)(٦). وقوله تعالى (تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام)(٧) بمعنى : تبارك ربك ، فان " ذي الجلال والاكرام " صفة للمسمى ، لا صفة لما هو قول وكلام . وقالوا : ويدل على ذلك أن القائل اذا قال : ما اسم معبودكم ؟ قلنا : الله ، واذا قال : وما معبودكم ؟ قلنا : الله . فنجيب في الاسم بما نجيب به في المعبود ، فدل على أن اسم المعبود هو

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١٨٥/٦ - ١٨٧ .

(٢) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢٠٤/١ .
واللالكائي هو: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي . توفي سنة ٤١٨ هـ . انظر: تذكرة الحفاظ ١٠٨٣/٣ - ١٠٨٥ ، شذرات الذهب ٢١١/٣ ، الأعلام ٧١/٨ ، معجم المؤلفين ١٣٦/١٣ .

(٣) انظر: شرح السنة للبغوي ٢٩/٥ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١٨٧/٦ - ١٨٨ .

(٥) سورة مريم : ٧ .

(٦) سورة مريم : ١٢ .

(٧) سورة الرحمن : ٧٨ .

المعبود. الى غير ذلك من الأدلة التى استدلوا بها.[1]

(الثانى): ان الاسم غير المسمى . وهو قول الجهمية والمعتزلة.[2] وممن يؤيد هذا القول ابن حزم، فقد ناصره ورد على مخالفيه، ثم قال: " ... فصحت البراهين المذكورة من القرآن والسنن والاجماع والعقل واللغة والنحو على أن الاسم غير المسمى بلا شك ".[3]

(الثالث): ان الأسماء ثلاثة أقسام: تارة يكون الاسم هو المسمى كاسم الموجود، وتارة يكون غير المسمى كاسم الخالق، وتارة لا يكون هوولا غيره كاسم العليم والقدير. وهذا القول هو المشهور عن أبى الحسن الأشعرى [4]، وممن قال به من الأشعرية: امام الحرمين الجوينى[5].

(الرابع): ان الاسم للمسمى، وأصحاب هذا القول أمسكوا عن القول فى هذه المسألة نفيا واثباتا، أى لا يقولون: الاسم غير المسمى أو الاسم هو المسمى، لأن كلا من الاطلاقين بدعة. واستدلوا على أن الاسم للمسمى بقوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى)[6]. وذكر ابن تيمية أن هذا القول اختيار أكثر المنتسبين الى السنة من أصحاب أحمد وغيره.[7]

واذا كانت هذه هى الأقوال فى مسألة الاسم والمسمى، فما

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ١٨٩/٦ - ١٩١ .

(٢) انظر: نفس المرجع : ٢٠٤/٦، مقالات الاسلاميين للأشعرى: ٢٣٢/١ .

(٣) الفصل لابن حزم : ٣٥/٥ .

(٤) مجموع الفتاوى: ١٨٨/٦، وانظر: الارشاد للجوينى ص ١٤٣ .

(٥) انظر: الارشاد ص ١٤٤ .

(٦) سورة الأعراف : ١٨٠ .

(٧) مجموع الفتاوى: ١٨٨/٦ .

موقف ابن تيميـــة منها ؟

أما القول الأول فذكر رحمه الله أن أصحاب هذا القول لم يريدوا بقولهم : "ان الاسم هو المسمى" أن اللفظ المؤلف من الحروف هو نفس الشخص المسمى به ، فان هذا لا يقوله عاقل. ولهذا يقال : لوكان الاسم هو المسمى لكان من قال " نار" احترق لسانه .

ومن الناس من يظن أن هذا مرادهم ، ويشنع عليهم ، وهذا غلط عليهم . بل هؤلاء يقولون :" اللفظ هو التسمية ، والاسم ليس هو اللفظ، بل هو المراد باللفظ . فانك اذا قلت : يا زيد ، يا عمر ، فليس مرادك دعاء اللفظ ، بل مرادك دعاء المسمى باللفظ ، وذكرت الاسم فصار المراد بالاسم هو المسمى".

فلما كان اسم الشيء اذا ذكر في الكلام المؤلف فانما المقصود هو المسمى ، قال هؤلاء : " الاسم هو المسمى"، وجعلوا اللفظ الذى هـــو الاسم عند الناس هو التسمـــــية.(١)

وهؤلاء في رأى ابن تيمية لم يوفقوا الى الحق ، وذلك لتكلفهم وعدم اقتصارهم على أن اسم الشيء اذا ذكر في الكلام فالمراد به هو المسمى. يقول رحمه الله :

" لو اقتصروا على أن أسماء الشيء اذا ذكرت في الكلام فالمراد بها المسميات - كما ذكروه في قوله (يا يحيى) ونحو ذلك - لكان ذلك معنى واضحا لا ينازع فيه من فهمه ، لكن لم يقتصروا على ذلك ، ولهذا أنكر قولهم جمهور الناس من أهل السنة وغيرهم ، لما في قولهم من الأمور الباطـــلة ، مثل دعواهم أن لفظ اسم الذى هو " ا س م " معناه ذات الشيء ونفسه ، وأن الأسماء - التى هى الأسماء - مثل: زيد و عمرو هى التسميات ، ليست هى أسماء المسميات ، وكلاهما باطل مخالف لما يعلمه جميع الناس من

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١٨٨/٦ - ١٨٩ .

جميع الأمم ولما يقولونه.

فانهم يقولون، ان زيدا وعمرا ونحو ذلك هي أسماء الناس، والتسمية جعل الشيء اسما لغيره هي مصدر سميته تسمية اذا جعلت له اسما، والاسم هو القول الدال على المسمى، ليس الاسم الذي هو لفظ اسم هو المسمى، بل قد يراد به المسمى، لأنه حكم عليه ودليل عليه".[1]

هذا هو الانتقاد الذي وجهه ابن تيمية اليهم لمجانبتهم طريق الصواب.

وأما احتجاجهم بقوله تعالى (انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا)[2] ثم قال (يا يحيى)[3]، ففي وجهة نظر ابن تيمية أن الاسم الذي هو يحيى هو هذا اللفظ من " يا وحا ويا ". هذا هو اسمه، ليس اسمه هو ذاته. بل هذا مكابرة. ثم لما ناداه فقال: (يا يحيى) فالمراد بنداء الاسم هو نداء المسمى وليس المراد نداء اللفظ، لكن المتكلم لا يمكنه نداء الشخص المنادى الا بذكر اسمه ونداائه، فيعرف حينئذ أن مراده نداء الشخص المسمى، وهذا من فائدة اللغات. وقد يدعى بالاشارة وليست الحركة هي ذاته، ولكن هي دليل على ذاته.

وأما قوله تعالى (تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام)[4] ففيه قراءتان: بالجر والرفع، وقرأ الأكثرون (ذى الجلال والاكرام) بالجر، فالرب المسمى هو ذو الجلال والاكرام، فلو كان لفظ الاسم معناه المسمى لكان يكفى قوله (تبارك ربك) فان نفس الاسم عندهم

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٩١/٦ - ١٩٢.

(٢) سورة مريم: ٧

(٣) سورة مريم: ١٢

(٤) سورة الرحمن: ٧٨

هو نفس الرب . فكان هذا تكرارا . وهذا مما يدل على أن الاسم ليس هو نفس المسمى.(١)

وأما ما ذكروه من أن القائل اذا قال : ما اسم معبودكم ؟ قلنا : الله، واذا قال: وما معبودكم ؟ قلنا : الله، فنجيب في الاسم بما نجيب به في المعبود، فدل على أن اسم المعبود هو المعبود، فهذا في نظر ابن تيمية حجة باطلة، وهي عليهم لا لهم .

فان القائل اذا قال : ما اسم معبودكم ؟ فقلنا : الله، فالمراد أن اسمه هو هذا القول، ليس المراد أن اسمه هو ذاته وعينه . واذا قال: ما معبودكم ؟ فقلنا : الله، فالمراد هنا المسمى، ليس المراد أن المعبود هو القول . فلما اختلف السؤال في الموضعين اختلف المقصود بالجواب ، وان كان في الموضعين قال: الله . فانه في أحدهما أريد به هذا القول، وفي الآخر أريد به المسمى بهذا القول. كما اذا قيل: ما اسم فلان ؟ فقيل : زيد، فالمراد به أن اسمه هو هذا القول ، واذا قيل: من أميركم ؟ فقيل: زيد، فالمراد به هو الشخص المسمى. فكيف يجعل المقصود في الموضعين واحدا ؟ (٢)

هذا هو موقف ابن تيمية من أصحاب القول الأول، وهو ان الاسم هو المسمى . فهو معهم في أن الاسم اذا ذكر في الكلام فالمراد به هو المسمى ، ولكنه انتقدهم لمجانبتهم الحق بعدم اقتصارهم على هذا المفهوم ، حيث تكلفوا في ذلك وادعوا أن الاسم هو ذات المسمى وعينه ، و أن اللفظ مثل: زيد هو التسمية ، وليس هو اسم المسمى. وهذا مخالف لما يعلمه جميع الناس من جميع الأمم .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١٩٢/٦ ـ ١٩٣ .

(٢) انظر : نفس المرجع : ١٩٧/٦ ـ ١٩٨ .

وأما موقف ابن تيمية من أصحاب القول الثاني : ان الاسم غير المسمى ، فيرى ابن تيمية أنه اذا أرادوا بذلك أن الأسماء التي هي أقوال ليست نفسها هي المسميات فهذا صحيح ، لا ينازع فيه أحد من العقلاء. ولكن هؤلاء الجهمية والمعتزلة الذين أطلقوا هذا القول كان مقصودهم أن أسماء الله مخلوقة ، لأن أسماءه غيره ، وما كان غيره فهو مخلوق . ولهذا أنكر عليهم أئمة السنة.(١)

ثم لفظ الغير في قولهم اجمال لا بد من تفصيله . ان أريد بالغير أن أسماءه غير الذات المسماة بها فهذا أمر لا ينازع فيه أحد من العقلاء. وان أريد أن ذلك شيء بائن عنه حتى يقال ان أسماءه مخلوقة لأن ما كان غيره فهو مخلوق ، فهذا باطل ، لأن أسماء الله من كلامه ، وكلامه غير مخلوق ، لأن كلامه صفته.(٢)

فموقف ابن تيمية من الطائفة الثانية ، أنه لا ينازعهم في أن الاسم ليس هو ذات المسمى ولا عينه . ولكن قولهم : الاسم غير المسمى مجمل ، لاجمال لفظ الغير ، لأنه قد يراد به معنى حق ويراد به معنى باطل . وكان مقصود الجهمية والمعتزلة بذلك هو أسماء الله تعالى مخلوقة ، ولهذا أنكر عليهم أئمة السنة .

وأما أصحاب القول الثالث الذين قالوا : الأسماء ثلاثة : قد تكون هي المسمى ، وقد تكون غيره ، وقد تكون لا هي هو ولا غيره ، وجعلوا الخالق والرازق ونحوهما غير المسمى ، وجعلوا العليم والقدير ونحوهما للمسمى ، فهؤلاء - كما شاركوا أصحاب القول الأول في أصلهم - غلطوا من وجه آخر. فانه اذا سلم لهم أن المراد بالاسم الذي هو " ألف سين ميم "

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١٨٦/٦ و ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) انظر: نفس المرجع : ٢٠٥/٦ - ٢٠٦

وأما كونه موافقا للمعقول ، فانه أمر لا ينازع فيه أحد من العقلاء أن الاسم ليس هو نفس المسمى وعينه ، بل الاسم اذا ذكر فى الكلام فالمراد به المسمى. فالاسم للمسمى ، لأنه دليل على المسمى وعلم عليه ، به يظهر المسمى ويعلو ، ولذلك ما ليس له اسم فانه لا يذكر ولا يظهر ولا يعلو ذكره.(١)

فهذا القول هو الراجح عند ابن تيمية. وأصحاب هذا القول أمسكوا من اطلاق القول : الاسم هو المسمى أو غيره - نفيا واثباتا ، لأن هذا بدعة. واذا قيل : أهو المسمى أو غيره ؟ فصلوا فى ذلك ، فقالوا : " ليس هو نفس المسمى ، ولكن يراد به المسمى ، واذا قيل : انه غيره بمعنى أنه يجب أن يكون مباينا له فهذا باطل ، فان المخلوق قد يتكلم بأسماء نفسه فلا تكون بائنة عنه ، فكيف بالخالق ، وأسماؤه كلامه ، وليس كلامه بائنا عنه ، ولكن قد يكون الاسم نفسه بائنا مثل أن يسمى الرجل غيره باسم ، أو يتكلم باسمه ، فهذا الاسم نفسه ليس قائما بالمسمى ، لكن المقصود به المسمى ، فان الاسم مقصوده اظهار المسمى وبيانه ".(٢)

والخلاصة ، أن ابن تيمية يرى أن الراجح فى هذه المسألة هو القول ان الاسم للمسمى ، ولا يطلق القول : الاسم هو المسمى أو الاسم غير المسمى. وهذا الموقف الذى اتخذه ابن تيمية من هذه المسألة موقف صحيح لموافقته للأدلة من الكتاب والسنة ، ولأن القول : الاسم هو المسمى أو الاسم غير المسمى بدعة فى الشرع لم يأت به الكتاب ولا السنة ، ولم ينطق به أحد من سلف الأمة رضي الله عنهم ، ولما فى اطلاق ذلك من الأمور الباطلة كما بينه ابن تيمية رحمه الله.

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى : ٢٠٧/٦ و ٢٠٩.

(٢) نفس المرجع : ٢٠٧/٦.

المبحث الخامس : صلة الأسماء بالصفات .

ذهب جمهور أهل الاثبات الى وجود علاقة بين أسماء الله تعالى وصفاته. وذهب المعتزلة الى عدم وجود علاقة بين أسماء الله وصفاته اذ كان منهجهم هو اثبات الأسماء ونفي الصفات، وهذا انما يعنى أنهم ينكرون وجود العلاقة بين أسمائه تعالى وصفاته .

وقد وافق المعتزلة فى هذه المسألة ابن حزم الذى يرى أن الأسماء جامدة ليست مشتقة من صفة أصلا ، فلا علاقة بينها وبين الصفات . قال رحمه الله :

" ... وأما قولهم : هل يفهم من قول القائل: "الله" كالذى يفهم من قوله " عالم " فقط ، أو يفهم من قوله " عالم " معنى غير ما يفهم من قوله " الله " ؟ فجوابنا - وبالله نتأيد - : اننا لا نفهم من قولنا " قدير وعالم " اذا أردنا بذلك الله تعالى الا ما نفهم من قولنا " الله " فقط ، لأن كل ذلك أسماء أعلام لا مشتقة من صفة أصلا . لكن اذا قلنا :" هو الله تعالى بكل شيء عليم ويعلم الغيب " فانما يفهم من كل ذلك أن ههنا له تعالى معلومات ، وأنه لا يخفى عليه شيء، ولا يفهم منه ألبتة أن له علما هو غيره ...".(١)

فهذا النص الذى أوردته من كلام ابن حزم يدل بوضوح على مذهبه أنه لا صلة ولا علاقة بين أسماء الله وصفاته . ففى وجهة نظره أن أسماء الله تعالى كالحي والعليم والقدير بمنزلة أسماء الأعلام التى لا تدل - عنده - على حياة ولا علم ولا قدرة .

وأما موقف ابن تيمية من هذه القضية فهو مخالف لابن حزم

---

(١) الفصل لابن حزم : ١٢٨/٢ - ١٢٩ .

حيث يرى أن هناك صلة وثيقة بين أسماء الله وصفاته. ويدل على ذلك قوله رحمه الله :

" وكل اسم من أسمائه يدل على الذات المسماة ، وعلى الصفة التي تضمنها الاسم. كالعليم يدل على الذات والعلم ، والقدير يدل على الذات والقدرة ، والرحيم يدل على الذات والرحمة ، ومن أنكر دلالة أسمائه على صفاته ممن يدعي الظاهر فقوله من جنس قول غلاة الباطنية القرامطة الذين يقولون : لا يقال هو حي ، ولا ليس بحي ، بل ينفون عنه النقيضين ، فان أولئك القرامطة الباطنية لا ينكرون اسما هو علم محض كالمضمرات ، وانما ينكرون ما في أسمائه الحسنى من صفات الاثبات. فمن وافقهم على مقصودهم كان - مع دعواه الغلو في الظاهر - موافقا لغلاة الباطنية في ذلك ...".(١)

فيظهر لنا بوضوح من قوله هذا أن ثمة صلة وثيقة بين أسمائه تعالى وصفاته ، لأن كل اسم - كما قال رحمه الله - يدل على الذات المسماة وعلى الصفة التي تضمنها الاسم ، كما يظهر لنا من قوله الرد على ابن حزم - الذي يدعي الظاهر - في دعواه بعدم الصلة بين الأسماء والصفات ، وموافقته - مع ظاهريته - للباطنية.

وقد رد ابن تيمية على رأي ابن حزم وادعائه أن الأسماء الحسنى بمنزلة أسماء الأعلام غير المشتقة من صفة أصلا ، فقال :

" ... ومعلوم أن مثل هذه المقالات سفسطة في العقليات وقرمطة في السمعيات. فانا نعلم بالاضطرار الفرق بين الحي والقدير والعليم والملك والقدوس والغفور.

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٣/٣٣٣ - ٣٣٤.

وان العبد اذا قال: رب اغفرلي وتب علي انك أنت التواب الغفور، كان قد أحسن في مناجاة ربه. واذا قال: اغفرلي وتب علي انك أنت الجبار المتكبر الشديد العقاب، لم يكن محسنا في مناجاته. وان الله أنكر على المشركين الذين امتنعوا من تسميته بالرحمن فقال تعالى (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا)(١) وقال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)(٢) وقال تعالى (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب)(٣) وقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى)(٤).

ومعلوم أن الأسماء اذا كانت أعلاما وجامدات لا تدل على معنى لم يكن فرق فيها بين اسم واسم فلا يلحد أحد في اسم دون اسم، ولا ينكر عاقل اسما دون اسم، بل قد يمتنع عن تسميته مطلقا. ولم يكن المشركون يمتنعون عن تسمية الله بكثير من أسمائه، وانما امتنعوا عن بعضها. وأيضا فالله له الأسماء الحسنى دون السوآى، وانما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيء بمعناه. فلو كانت كلها بمنزلة الأعلام الجامدات التي لا تدل على معنى لم تنقسم الى حسنى وسوآى، بل هذا القائل لو سمى معبوده بالميت والعاجز والجاهل بدل الحي والعالم والقادر لجاز ذلك عنده.

---

(١) سورة الفرقان : ٦٠.

(٢) سورة الأعراف : ١٨٠.

(٣) سورة الرعد : ٣٠.

(٤) سورة الاسراء : ١١٠.

فهذا ونحوه قرمطة ظاهرة من هؤلاء الظاهرية الذين يدعون الوقوف مع الظاهر، وقد قالوا بنحو مقالة القرامطة الباطنية في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته..."(١)

هذا شيء من الرد الذي وجهه ابن تيمية الى ابن حزم و من تابعه. وقد أغلظ ابن تيمية فيه القول حيث شبه مقالة ابن حزم بمقالة القرامطة الباطنية.

وقد أيد ابن القيم الموقف الذي اتخذه شيخه من هذه القضية فذكر أن أسماء الله تعالى دالة على صفات كماله، فهي مشتقة، فهي أسماء وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى. ولولم تكن هذه الأسماء دالة على صفات كمال لكانت ألفاظا لا معاني فيها، فلم تكن حسنى ولم تدل على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والاحسان وبالعكس، فيقال: "اللهم اني ظلمت نفسي فاغفرلي انك أنت المنتقم". ولولم تكن أسماؤه كذلك لم يسغ أن يخبر عنه بأفعالها، فلا يقال: يسمع ويعلم ويقدر، فان ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوت الأسماء، فاذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها. وكذلك لو لم تكن أسماؤه ذوات معان وصفات لكانت جامدة كالأعلام المحضة، التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به، فكانت كلها سواء، ولم يكن ثمة فرق بين مدلولاتها. وهذا مكابرة صريحة، فمن جعل معنى اسم "القدير" هو معنى اسم "السميع"، ومعنى اسم "التواب" هو معنى اسم "المنتقم" وما أشبه ذلك، فقد كابر العقل واللغة والفطرة.(٢)

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية: ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) انظر: مدارج السالكين: ٢٨/١ - ٢٩.

ومما يدل على قوة الصلة بين الأسماء والصفات :" ... أن كل اسم من أسمائه يدل على ذاته ، وعلى ما في الاسم من صفاته ، ويدل أيضا على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم ...".(١)

وقد وضح ابن القيم شأن هذه الصلة ، حيث قال :

" ... ان الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة ، فانه يدل عليه دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم . فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن ، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة . ويدل على الصفة الأخرى باللزوم . فان اسم "السميع" يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة . وعلى الذات وحدها ، وعلى السمع وحده بالتضمن . ويدل على اسم " الحي" وصفة الحياة بالالتزام . وكذلك سائر أسمائه وصفاته ، ولكن يتفاوت الناس في معرفة اللزوم وعدمه ...".(٢)

وقصارى القول ، فان موقف ابن تيمية من هذه القضية هو القول بوجود الصلة الوثيقة بين أسماء الله تعالى وصفاته . وتكمن وثاقة هذه الصلة في كون دلالة كل اسم من أسمائه على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة ، ودلالته على الذات على حدة وعلى الصفة على حدة بالتضمن ، ودلالته على الصفة الأخرى باللزوم .

وهذا الموقف الذي اتخذه رحمه الله موقف صحيح ، لأنه يتفق مع الكتاب والسنة ، وعليه تجتمع الأدلة ، واليه ذهب جمهور المسلمين .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٣٣٤/١٣ .

(٢) مدارج السالكين : ٣٠/١ - ٣١ .

((الفصل الثالث))

موقفه من علاقة الصفات بالذات وتقسيمها

وفيه مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الذات والصفة .

المبحث الثاني : علاقة الصفات بالذات .

المبحث الثالث : تقسيم الصفات .

============

الفصل الثالث

موقفه من علاقة الصفات بالذات وتقسيمها

تبين لنا من الفصل السابق موقف ابن تيمية من أسماء الله تعالى وعلتها بالصفات . ونأتي الآن الى دراسة موقفه رحمه الله من علاقة الصفات بالذات وتقسيم الصفات .

المبحث الأول : مفهوم الذات والصفة .

ويشتمل هذا المبحث على أمرين : (أحدهما): مفهوم الذات ، و (الثاني): مفهوم الصفة .

(١) مفهوم الذات :

لفظ " ذات " في اللغة تأنيث ذو بمعنى صاحب . فذات بمعنى صاحبة . كقولنا : فلان ذو مال ، و فلانة ذات مال ، أي صاحب مال وصاحبة مال .[١] يقول ابن سيده[٢]: " ذو كلمة صيغت ليتوصل بها الى الوصف بالأجناس ، ومعناها : صاحب ، أصلها ذوا ... ".[٣]

وهذا اللفظ في الأصل لا يستعمل الا فيما كان مضافا الى غيره ، كما يقول الجوهري[٤]: " وأما ذو الذي بمعنى صاحب فلا يكون الا مضافا ،

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري : ٢٥٥١/٦، ولسان العرب : ٤٥٦/١٥ - ٤٥٧ .

(٢) أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي المرسي الضرير، المعروف بابن سيده. كان اماما في اللغة و آدابها . ولد سنة ٣٩٨ وتوفي سنة ٤٥٨ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٣٣٠/٣ - ٣٣١، البداية والنهاية ٦٥/١٢ ، شذرات الذهب ٣٠٥/٣ - ٣٠٦ ، الأعلام ٢٦٣/٤ - ٢٦٤ ، معجم المؤلفين ٣٦/٧.

(٣) لسان العرب : ٤٥٧/٦ .

(٤) أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي . أديب لغوي . توفي سنة ٣٩٣ هـ وقيل في حدود الأربعمائة. انظر: شذرات الذهب ١٤٢/٣ - ١٤٣، الأعلام ٣١٣/١، معجم المؤلفين ٢٦٧/٢.

ومما سبق ذكره نجد فرقا بين لفظ " ذات" في اللغة التي أنزل بها القرآن وبين لفظ " الذات " في اصطلاح المتأخرين . أما في اللغة فهي بمعنى صاحبة ، ولا تستعمل الا فيما كان مضافا . وفي اصطلاح المتأخرين بمعنى النفس والحقيقة ، وتستعمل أيضا معرفة ومجردة .

وقد نبه شيخ الاسلام ابن تيمية الى وجود هذا الفرق فقال :

" وأما لفظ " الذات " فانها في اللغة تأنيث ذو ، وهذا اللفظ يستعمل مضافا الى أسماء الأجناس ، يتوصلون به الى الوصف بذلك ، فيقال : شخص ذو علم وذو مال وشرف ، ويعني حقيقته . أو عين أو نفس ذات علم وقدرة وسلطان ونحو ذلك ...

فلما وجدوا الله قال في القرآن (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)[١]، (ويحذركم الله نفسه)[٢]، و (كتب على نفسه الرحمة)[٣]، وصفوها . فقالوا : نفس ذات علم وقدرة ، ورحمة ومشيئة ونحوذلك ، ثم حذفوا الموصوف وعرفوا الصفة فقالوا : الذات . وهي كلمة مولدة ، ليست قديمة . وقد وجدت في كلام النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ، لكن بمعنى آخر ، مثل قول خبيب الذي في صحيح البخاري :[٤]

وذلك في ذات الاله وان يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : " لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ، كلهن في ذات الله "[٥]... والمعنى في جهة الله وناحيته ،

---

(١) سورة المائدة : ١١٦ . (٢) سورة آل عمران : ٢٨ و ٣٠ .

(٣) سورة الأنعام : ١٢ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الجهاد باب هل يستأسر الرجل ١٦٦/٦ ، وفي كتاب التوحيد باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل ٣٨٠/١٣ .

(٥) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب (واتخذالله ابراهيم خليلا) ٣٨٨/٦ ، ومسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ١٨٤٠/٤ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ولفظه فيهما : "... الا ثلاث كذبات ، ثنتين منهن في ذات الله عزوجل ...".

أى لأجل الله و لا بتغاء وجهه، وليس المراد بذلك النفس. ونحـــوه فى القرآن (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم)[١]، وقوله (عليـــــم بذات الصدور)[٢] أى الخصلة و الجهة التى هى صاحبة بينكم، وعليم بالخواطر ونحوها، التى هى صاحبة الصدور.

فاسم " الذات " فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم، والصحابة، والعربية المحضة، بهذا المعنى. ثم أطلقه المتكلمون وغيرهم على النفس" بالاعتبار الذى تقدم، فانها صاحبة الصفات. فاذا قالوا الذات فقد قالوا التى لها الصفـــات ".[٣]

وابن تيمية ليس وحده الذى نبه الى هذا، فقد نبه أيضا الراغب الأصفهانى[٤]، وابن القيم[٥]، وشارح العقيدة الطحاوية[٦] الى ذلك.

وقد ذهب ابن تيمية الى أبعد من هذا التنبيه، حيث قرر أن لفظ " الذات " - بالتعريف - ليس من لفظ العرب العرباء، بل مولـــد كلفظ الماهية والكيفية ونحو ذلك.[٧]

وهذا الذى ذهب اليه ابن تيمية صحيـــح، يتفق مع الحق الذى دلت عليه لغة العرب. ومما يدل على صحة هذا الأمر:

١ - أن لفظ " ذات " فى الأصل لا يستعمل الا فيما كان مضافا الى غيره، ثم جرده المتكلمون من هذه الاضافـــة.

---

(١) سورة الأنفال: ١.

(٢) انظر: ص ٢٧١، فى الهامش رقم (٥).

(٣) مجموع الفتاوى: ٣٤١/٦ - ٣٤٢.

(٤) انظر: المفردات فى غريب القرآن: ص ١٨٢.

(٥) انظر: بدائع الفوائد: ٦/٢-٧.

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى: ص ١٣٠.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى: ٩٩/٦.

٢ - ادخالهم الألف واللام فى لفظ " ذات "، والأصل فى لغة العرب أنه لا مدخل لهما هنا ، كما لا يقال: الذو، فى لفظ " ذو " .

٣ - أن القائل اذا قال : " فرطت فى ذات الله " أو " فعلت كذا فى ذات الله " فانه قد أحسن . ولكنه لا يحسن اذا قال : " فرطت فى نفس الله وحقيقته " أو " فعلت كذا فى نفس الله وحقيقته ".(١)

فهذه الأمور مما يدل على عدم أصالة لفظ الذات فى اصطلاح المتكلمين، وأنه لفظ مولد ليس من لفظ العرب العرباء من حيث المفهوم والاستعمال .

وانما نبه ابن تيمية الى هذه القضية لأن لا يتصور عاقل أن هناك ذاتا عرية عن الصفات ، كما أثبت ذلك الجهمية والمعتزلة وغيرهم من نفاة الصفات . ولهذا يقول رحمه الله :

" ... فهذا اللفظ يقتضى وجود صفات تضاف الذات اليها ، فيقال: ذات علم وذات قدرة وذات كلام ، والمعنى كذلك . فانه لا يمكن وجود شىء قائم بنفسه فى الخارج لا يتصف بصفة ثبوتية أصلا ، بل فرض هذا فى الخارج كفرض عرض يقوم بنفسه لا بغيره.

ففرض قائم بنفسه لا صفة له ، كفرض صفة لا تقوم بغيرها ، وكلاهما ممتنع ، فما هو قائم بنفسه فلا بد له من صفة ، وما كان صفة فلا بد له من قائم بنفسه متصف به ".(٢)

ويقول أيضا فى موضع آخر :

" ... وكذلك اثبات ذات مجردة عن جميع الصفات أمر يقدره الذهن ، والا فوجوده فى الخارج ممتنع. ولفظ " ذات " يقتضى ذلك . فان

---

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم ، ٢/٧ - ٨ .

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦/٩٩ .

ذات هى فى الأصل تأنيث ذو، وأصل الكلمة ذات الصفات، أى النفس ذات الصفات، فلفظ الذات معناه: الصاحبة والمستلزمة للصفات ..."(1).

وخلاصة القول، فان لفظ " ذات " فى اللغة بمعنى صاحبة، ولا يستعمل الا فيما كان مضافا. وأما لفظ الذات فى اصطلاح المتأخرين فمعناه: النفس والحقيقة. وقد نبه ابن تيمية الى أن لفظ الذات بهذا الاصطلاح لفظ مولد، وليس من لغة العرب العرباء، وانما أطلق هذا فهو مستلزم لوجود صفات تضاف الذات اليها، لأن "ذات" فى اللغة تأنيث: ذو، بمعنى صاحب، ولا يستعمل الا فيما كان مضافا، وأصل الكلمة: ذات الصفات، أى النفس ذات الصفات. فلفظ الذات معناه فى الأصل: الصاحبة والمستلزمة للصفات. فلا يمكن بذلك تصور الذات وهى مجردة عن الصفات، كما فهم ذلك الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من نفاة الصفات.

وموقف ابن تيمية هذا موقف حق، لأنه يتفق مع مادلت عليه لغة العرب ولغة القرآن وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة.

(٢) <u>مفهوم الصفة</u>:

وأما لفظ " الصفة " وكذلك " الوصف " فقد اختلف المتكلمون فى تحديد مفهومه ومدلوله.

وذكر ابن تيمية فى هذه القضية ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: أن الصفة والوصف اسم للكلام فقط، من غير أن يقوم بالذات القديمة معان. وهذا مذهب الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم.

---

(1) مجموع الفتاوى: ٥/٢٨٣.

والمذهب الثاني : التفريق بين الصفة والوصف . فالوصف هو القول، والصفة هي المعنى القائم بالموصوف . وهذا مذهب الكلابية ومن اتبعهم من الصفاتية .

والمذهب الثالث : أن كل واحد من اللفظين يطلق على القول تارة وعلى المعنى أخرى ، وهذا مذهب الجمهور.[1]

وقد اختار ابن تيمية المذهب الأخير، واستدل على ذلك بأن كل واحد من اللفظين في الأصل مصدر، يقال: وصفت الشيء أصفه وصفا وصفة ، مثل: وعد وعدا وعدة ، وزن وزنا وزنة ، فلا فرق بين اللفظين في المفهوم .[2]

وأما كون كل واحد منهما يطلق على القول تارة وعلى المعنى تارة ، فاستدل ابن تيمية على الأول بما ورد من الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ(قل هو الله أحد) ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: "سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟" فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أخبروه أن الله يحبه ".[3] فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على تسميتها صفة الرحمن . واستدل أيضا بقوله تعالى (سيجزيهم

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٣٥/٣ ، ٣٤١/٦. وانظر أيضا : أصول الدين للبغدادي : ص ١٢٨ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٣٥/٣ ، ٣٤٠/٦ .

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته الى توحيد الله تبارك وتعالى ٣٤٧/١٣ ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة (قل هو الله أحد) ٥٥٧/١، والنسائي في كتاب الافتتاح باب الفضل في قراءة (قل هو الله أحد) ١٧١/٢.

وصفهم)[١]، وقوله تعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون)[٢]، فهذه الأدلة تدل على أن كلا من اللفظين قد يطلق على القول .[٣]

وأما كون كل منهما يطلق تارة على المعنى أيضا ، فاستدل رحمه الله على أن القرآن والسنة قد صرحا بأن الله سبحانه وتعالى له : علم وقدرة و رحمة وعزة وقوة وغير ذلك . وهذه المعانى التى وصف بها الموصوف سميت صفة وسميت كذلك وصفا . [٤]

فثبت بذلك رجحان مذهب الجمهور الذى قال به ابن تيمية ، وهو أن لفظ " الصفة " ولفظ " الوصف " يطلق كل واحد منهما على القول تارة وعلى المعنى أخرى .

المبحث الثانى : علاقة الصفات بالذات .

اختلف النظار فى قضية علاقة الصفات بالذات : هل الصفات هى عين ذاته تعالى المقدسة أو غيرها ، وهل الصفات زائدة على الذات أو لا ؟

وليتبين لنا موقف ابن تيمية من هذه القضية أرى من المناسب أن أذكر الأقوال فيها ، فأقول :

القول الأول : ان الصفات غير الذات ، وأصحاب هذا القول هم المعتزلة والكرامية ، ثم المعتزلة تنفى الصفات ، والكرامية تثبتها .[٥]

---

(١) سورة الأنعام : ١٣٩ .

(٢) سورة الصافات : ١٨٠ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى : ٣٣٥/٣ ، ٣٤٠/٦ .

(٤) انظر : نفس المرجع : ٣٣٥/٣ ، ٣٤٠/٦ .

(٥) انظر : نفس المرجع : ٣٣٦/٣ .

وانما نفى المعتزلة الصفات بناء على شبهتهم أنه لوكانت له تعالى صفات قديمة لشاركت فى أخص وصف له وهو القدم ، ولتعدد بذلك القدماء. وشبهتهم هذه فاسدة ، وقد بين ابن تيمية - كما مر بنا [١] - وجوه بطلان شبهة التعدد التى احتجوا بها لنفى الصفات .

وأصحاب هذا القول فى رأيى لم يوفقوا الى الحق ، لأنهم اذا أرادوا بقولهم : ان الصفات غير الذات ، أن هذه الصفات ليست هى نفس ذاته وعينها ، فلا أظن أن أحدا ينازع فى ذلك . ولكن اذا أرادوا بذلك أن الصفات مباينة للذات ومنفكة عنها فهذا باطل ، لأنه لا يمكن وجود ذات خالية و متميزة عن صفاتها . وكان مقصود المعتزلة بقولهم هذا أن الصفات محدثة ، لأن الصفات غير ذاته تعالى .

والقول الثانى : ان الصفات هى عين الذات . وممن يقول بهذا أبو الهذيل العلاف[٢] من المعتزلة ، فانه كان يقول : " ان علم البارى هو هو ، وقدرته هى هو ، وسمعه هو هو ، وبصره هو هو". وكان اذا قيل له : أتقول ان لله علما ؟ قال : ان له علما هو هو ، وانه عالم بعلم هو هو ، وهكذا قوله فى سائر صفاته الذاتية .[٣]

والذى يترجح عندى أن أبا الهذيل العلاف انما قال بهذه المقالة ، فرارا من التعدد الذى ألزمه المعتزلة على من أثبت الصفات قائمة بذاته تعالى .

---

(١) انظر : ص ١٦٩ ، من هذه الرسالة .

(٢) أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى المعروف بالعلاف . كان شيخ البصريين فى الاعتزال ومن أكبر علمائهم . توفى سنة ٢٣٥ هـ ، وفى رواية ٢٢٦ هـ ، وفى أخرى ٢٢٧ هـ . انظر فى ترجمته : وفيات الأعيان ٢٦٥/٤ - ٢٦٧ ، الفهرست لابن النديم فى التكملة ص : ١ - ٢ (بعد ص ٥٢٨) ، لسان الميزان ٤١٣/٥ - ٤١٤ ، الأعلام ١٣١/٧ ، معجم المؤلفين ٩١/١٢ .

(٣) انظر : مقالات الاسلاميين ١٥٦/١ - ١٥٧ ، الفرق بين الفرق ص ١٢٧ ، الملل والنحل ٤٩/١ - ٥٠ .

ومن المعلوم بصريح العقل أن الصفة ليست هي عين الذات، وهذا مخالف للحق الذي يدين به الناس ، لأنه يلزم من ذلك أن يكون الله علما وقدرة وسمعا وبصرا ، ويلزم أن يكون علمه نفس قدرته ، وقدرته نفس سمعه ، و سمعه نفس بصره . ونحن نجد فروقا بين هذه المعاني.

والقول الثالث : ان الصفة لا هي الموصوف ولا هي غيره . وهذا يقوله طوائف من الصفاتية كأبي الحسن الأشعري وغيره .(١)

ويقول شارح العقيدة الطحاوية :

" ... هذا له معنى صحيح ، وهو أن الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة بل هي غيرها ، وليست غير الموصوف ، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد . فاذا قلت : أعوذ بالله ، فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابتة التي لا تقبل الانفصال بوجه من الوجوه . واذا قلت : أعوذ بعزة الله ، فقد عذت بصفة من صفات الله تعالى، ولم أعذ بغير الله ...".(٢)

وهذا القول مهما يكن فيه من معنى صحيح ، كما بينه شارح العقيدة الطحاوية ، فانه في رأيي لا يسلم من الاعتراض ، ذلك لأنه لا يتحرى متابعة الحق ، فان اطلاق هذا القول نفيا واثباتا لم يسبق اليه أئمة السلف رضي الله عنهم ، لما في ذلك من معنى مجمل قد يكون حقا وقد يكون باطلا . والواجب في مثل هذا هو التوقف عن الاطلاق واستفصال المتكلم به ، فان أراد معنى حقا فهو مقبول، وان أراد معنى باطلا فهو مرفوض .

والقول الرابع هو التوقف عن اطلاق لفظ الغير نفيا واثباتا ، فأصحاب هذا القول يمسكون عن أن يقولوا : الصفة هي الموصوف، وأن يقولوا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٣٣٦/٣ . وانظر أيضا : تحفة المريد ص ٧٩ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ص ١٣٠ .

الصفة هى غير الموصوف، لأن اطلاق الاثبات عندهم قد يشعر بأنها هو، واطلاق النفى قد يشعر بأنها مباينة له . وهذا مذهب السلف رضى الله عنهم.(١)

واذا كانت هذه هى الأقوال فى قضية علاقة الصفات بالذات، فما موقف ابن تيمية منها ؟

اختار ابن تيمية القول الأخير وارتضاه، لأنه مذهب السلف رضى الله عنهم، كما قال رحمه الله:

" ... فانا لا نطلق على صفاته أنها غيره وأنها ليست غيره، على ما عليه أئمة السلف كالامام أحمد بن حنبل وغيره، وهو اختيار حذاق المثبتة كابن كلاب وغيره ".(٢)

وقال فى موضع آخر:

" ... والذى عليه سلف الأمة وأئمتها اذا قيل لهم علم الله وكلام الله هل هو غير الله أم لا ؟ لم يطلقوا النفى ولا الاثبات، فانه اذا قيل: غيره، أوهم أنه مباين له، واذا قيل: ليس غيره، أوهم أنه هو. بل يستفصل السائل، فان أراد بقوله: "غيره" أنه مباين له منفصل عنه فصفات الموصوف لا تكون مباينة له منفصلة عنه، وان كان مخلوقا، فكيف بالخالق ؟ وان أراد بالغير أنها ليست هى هو، فليست الصفة هى الموصوف، فهى غيره بهذا الاعتبار. واسم الرب اذا أطلق يتناول الذات المقدسة بما يستحقه من صفات الكمال، فيمتنع وجود الذات عرية عن صفات الكمال ".(٣)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٣٧/٣، ٩٦/٦، منهاج السنة النبوية ٢٤٥/١.

(٢) مجموع الفتاوى: ٩٦/٦ .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ١٥٤/٢ .

فهذان النصان من كلام ابن تيمية يدلان بوضوح على موقفه من هذه القضية وهو التوقف عن الاطلاق على صفاته أنها غيره أو أنها ليست غيره واستفصال السائل عن مراده . ومن هذا الموقف نلحظ أن ابن تيمية ملتزم بقواعد منهجه التى سبق بيانها .

وقد قرر ابن تيمية من خلال كلامه المذكور أنه لا يمكن وجود ذات مجردة عن الصفات ، لأن اسم " الرب " اذا أطلق يتناول الذات المقدسة بما يستحقه من صفات الكمال . فالذات لا تنفك عن الصفات أصلا .

واذا كانت الذات والصفات شيئين متلازمين ، لأن الذات لا تنفك عن الصفات ، فهل يقال: الصفات زائدة على الذات ؟

يقول بعض الصفاتية : الصفات زائدة على الذات.[1] ومقصودهم بذلك أنهم لا يقتصرون على مجرد اثبات ذات بلا صفات ، ولكن يثبتون الصفات زائدة على ما أثبته نفاة الصفات من الذات المجردة.[2]

وأما ابن تيمية ، فان الذى يترجح عندى أنه لا يطلق هذه العبارة[3]، لأن اطلاقها يشعر الناس أن هناك ذاتا متميزة عن الصفات وأن هناك صفات متميزة عن الذات ، مع أن الواقع ليس هناك ذات مجردة عن الصفات أصلا ،[4] ولذلك نرى ابن تيمية يستفصل فى هذه القضية فيقول :

---

(١) انظر: الاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى : ص ٦٥ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٣٦/٣ ، منهاج السنة النبوية : ٢٣٥/١ .

(٣) انظر: فى العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ، للدكتور محمود أحمد خفاجى : ٢٥٩/١، فان كلامه يشير الى أن ابن تيمية يقول بزيادة الصفات على الذات .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٣٥/٣ - ٣٣٦ .

" واذا قيل: هل صفاته زائدة على الذات أم لا ؟ قيل: ان أريد بالذات المجردة التي يقر بها نفاة الصفات ، فالصفات زائدة عليها ، وان أريد بالذات الذات الموجودة في الخارج ، فتلك لا تكون موجودة الا بصفاتها اللازمة. والصفات ليست زائدة على الذات المتصفة بالصفات ، وان كانت زائدة على الذات التي يقدر تجردها عن الصفات ".(١)

ويقول في موضع آخر :

" واسم " الله " اذا قيل : الحمد لله ، أو قيل: بسم الله ، يتناول ذاته وصفاته ، لا يتناول ذاتا مجردة عن الصفات ، ولا صفات مجردة عن الذات . وقد نص أئمة السنة - كأحمد وغيره - على أن صفاته داخلة في مسمى أسمائه ، فلا يقال : ان علم الله وقدرته زائدة عليه. لكن من أهل الاثبات من قال: انها زائدة على الذات ، وهذا اذا أريد به أنها زائدة على ما أثبته أهل النفي من الذات المجردة فهو صحيح ، فان أولئك قصروا في الاثبات ، فزاد هذا عليهم وقال : الرب له صفات زائدة على ما علمتموه.

وان أراد أنها زائدة على الذات الموجودة في نفس الأمر فهو كلام متناقض لأنه ليس في نفس الأمر ذات مجردة حتى يقال: ان الصفات زائدة عليها ، بل لا يمكن وجود الذات الا بما به تصير ذاتا من الصفات ، ولا يمكن وجود الصفات الا بما به تصير صفات من الذات ، فتخيل وجود أحدهما دون الآخر ثم زيادة الآخر عليه تخيل باطل ".(٢)

وما أوردت من نص كلام ابن تيمية يدل بوضوح على أنه يرى التوقف عن اطلاق تلك العبارة ، فيمسك رحمه الله عن أن يقول :" ان

---

(١) مجموع الفتاوى : ٩٧/٦ ، وانظر: نفس المرجع : ٣٣٨/٥ .

(٢) نفس المرجع : ٢٠٦/٦ ، وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ١٥٤/٢ .

الصفات زائدة على الذات "، ولكنه يستفصل السائل عن مراده بذلك، فان أراد معنى حقا قبل، والا رد. وهذه قاعدة من قواعد منهج ابن تيمية في الصفات، وهي: التوقف فيما لم يرد ذكره في الكتاب ولا في السنة نفيا أو اثباتا واستفصال المتكلم عن مراده بكلامه.

والخلاصة أن ابن تيمية يرى التوقف عن القول بأن صفات الله غيره أو ليست غيره، أو هي زائدة على الذات أو غير زائدة. فلا يطلق هذه الأمور نفيا ولا اثباتا، بل يستفصل السائل عن مراده. وهذا الموقف هو الحق في مثل هذه القضية التي يحتوى الكلام فيها على ألفاظ مجملة، قد يراد بها معنى حق وقد يراد بها معنى باطل، وهذه الألفاظ من الألفاظ المبتدعة لم يرد ذكرها في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام السلف رضي الله عنهم نفيا أو اثباتا. وفي مثل ذلك لا يمكن تحرى الحق وتفادى الباطل الا بالتوقف عن الاطلاق والاستفصال عن المراد.

المبحث الثالث: تقسيم الصفات.

ان السلف رضي الله عنهم كانوا يثبتون لله تعالى الصفات التي أثبتها لنفسه، فيثبتون له العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والعزة والعظمة والعلو والوجه واليد والعين والاستواء والنزول ونحو ذلك مع تنزيهه تعالى عن مماثلة المخلوقين، ولا يفرقون في ذلك بين كونها صفة ذات أو صفة فعل، بل يجرونها كما وردت بلا كيف - مع علمهم بمعانيها - ويسوقون الكلام في ذلك سوقا واحدا.(١)

ولكن لما درج المتأخرون على تقسيم صفاته تعالى في دراستهم لها، فانه يجدر بنا معرفة موقف ابن تيمية من هذا التقسيم.

---

(١) انظر: الملل والنحل: ٩٢/١، خطط المقريزي: ٣٥٦/٢.

وقبل بيان الموقف الذى يرتضيه ابن تيمية أرى من المناسب أن أذكر أنواع التقسيم التى ذكرها مثبتو الصفات حتى يتضح لنا موقفه فى ذلك ، فأقول :

ان المتكلمين الذين أثبتوا الصفات منهم من قسم الصفات الى أربعة أقسام : نفسية وسلبية وصفات معان وصفات معنوية .

أما الصفة النفسية فعرفوها بأنها " الحال الواجبة للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة "(١)، وهى: الوجود .

وأما الصفات السلبية فعرفوها بأنها " التى دلت على سلب ما لا يليق به سبحانه وتعالى "(٢)، وهى خمس صفات : القدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية .

وأما صفات المعانى فعرفوها بأنها " كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكما "(٣)، وهى سبع : القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام .

وأما الصفات المعنوية فهى عندهم ملازمة للسبع الأولى . وعللوا تسمية هذه الصفات بهذا الاسم بأن الاتصاف بها فرع الاتصاف بالسبع الأولى، فان اتصاف محل من المحال بكونه عالما أو قادرا مثلا لا يصح الا اذا قام به العلم أو القدرة ، وقس على هذا . فصارت السبع الأولى وهى صفات المعانى عللا لهذه ، أى ملزومة لها ، فلهذا نسبت هذه الى تلك ، فقيل فيها : صفات معنوية .(٤) وهى: كونه تعالى قادرا ومريدا وعالما وحيا

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجورى : ص ٥٣، شرح أم البراهين بهامش حاشية الدسوقى : ص ٩٣.

(٢) تحفة المريد: ص ٥٤ ويرى البيجورى أنها ليست منحصرة فى هذه الخمس ، وأما من عد الخمس منها فلأنها أمهاتها أى أصولها . نفس المرجع ص ٥٤.

(٣) نفس المرجع : ص ٦٣ .

(٤) شرح أم البراهين : ص ١١٨ .

وسميعا وبصيرا ومتكلما .

وفى الحقيقة عد هذه الصفات السبع المعنوية لا وجه له ، كما يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطى :

" والتحقيق أن عد هذه الصفات السبع المعنوية ... لا وجه له ، لأنها فى الحقيقة انما هى كيفية الاتصاف بالمعانى السبع التى ذكرنا ، ومن عدها من المتكلمين عدوها بناء على ثبوت ما يسمونه الحال المعنوية التى يزعمون أنها واسطة ثبوتية ، لا معدومة ولا موجودة.(١) والتحقيق أن هذه خرافة وخيال، وأن العقل الصحيح لا يجعل بين الشيء ونقيضه واسطة ألبتة ، فكل ما ليس بموجود فهو معدوم قطعا وكل ما ليس بمعدوم فهو موجود قطعا ، ولا واسطة ألبتة كما هو معروف عند العقلاء ...".(٢)

وهذا التقسيم هو المشهور عن الأشاعرة ، وهذا مبنى على منهجهم وهو اثبات بعض الصفات دون بعض ، وأما الصفات التى ظاهرها يوهم التشبيه - على حد زعمهم - فمنهجهم فيها هو التأويل أو التوقف .(٣)

ثم هناك تقسيم آخر لمثبتى الصفات ، وهو أن الصفات تنقسم الى قسمين : صفات ذات وصفات فعل . وممن يقول بهذا التقسيم البيهقى. وقد عرف رحمه الله صفات الذات بأنها "ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال". وعرف صفات الفعل بأنها " ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل".(٤)

هذه بعض التقسيمات التى ذكرها مثبتو الصفات . فما موقف ابن تيمية من ذلك ؟

---

(١) انظر: شرح أم البراهين : ص ١١٨ .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطى ص : ٩ - ١٠، وانظر: تفسير أضواء البيان : ٣١٠/٢ .

(٣) انظر: تحفة المريد: ص ٩١ .

(٤) الأسماء والصفات للبيهقى : ص ١٣٧ .

الذى يظهر لى أن ابن تيمية يختار هذا التقسيم الأخير وهو تقسيم الصفات الى صفات الذات وصفات الفعل . ويدل على ذلك قوله عند ما تحدث عن صفة الكلام ، حيث يقول :

" أما السلف وأئمة السنة وكثير من أهل الكلام ... يقولون: انه صفة ذات وفعل ، هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته ، وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم ...".(١)

وقوله أيضا :

" ان هذه الصفات انما هى صفات الله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله ، نسبتها الى ذاته المقدسة كنسبة صفات كل شيء الى ذاته ، فيعلم أن العلم صفة ذاتية للموصوف ولها خصائص ، وكذلك الوجه ، ولا يقال: انه مستغن عن هذه الصفات لأن هذه الصفات واجبة لذاته ...

وكذلك فعله ، نعلم أن الخلق هو ابداع الكائنات من العدم ، وان كنا لا نكيف ذلك ولا يشبه أفعالنا ، اذ نحن لا نفعل الا لحاجة الى الفعل ، والله غنى حميد".(٢)

وقد وضع ابن تيمية ضابطا للصفات الفعلية ، التى عبر عنها أيضا بالصفات الاختيارية ، بأنها : " الأمور التى يتصف بها الرب عز وجل ، فتقوم بذاته ، بمشيئته وقدرته : مثل : كلامه ، وسمعه ، وبصره وارادته ، ومحبته ورضاه ، ورحمته وغضبه وسخطه ، ومثل خلقه واحسانه وعدله ، ومثل استوائه ومجيئه واتيانه ونزوله ونحوذلك من الصفات التى نطق بها الكتاب العزيز والسنة ".(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى : ٦/٢١٩ .

(٢) نفس المرجع : ٦/٣٥٧ .

(٣) نفس المرجع : ٦/٢١٧ .

هذا هو الضابط للصفات الفعلية عند ابن تيمية ، ويفهم من ذلك أن الصفات الذاتية هي: التي يتصف بها الرب تعالى وتقوم بذاته ولا تتعلق بمشيئته وقدرته ، وذلك مثل القدرة والحياة والعلو والعظمة والوجه واليدين والعينين ونحو ذلك .

ونلحظ من الضابط الذي وضعه ابن تيمية أن الصفات منها ما يكون صفة ذات وفعل مثل: الكلام والسمع والبصر والارادة ، ومنها ما يكون صفة فعل فقط مثل الاستواء والنزول والاتيان والمجيء ، ومنها ما يكون صفة ذات فقط مثل الحياة والعلو والعظمة والوجه واليدين وغيرها .

ومما سبق ذكره يظهر أن ابن تيمية موافق للبيهقي من حيث تقسيم الصفات الى صفات ذات وصفات فعل، ولكنه مخالف للبيهقي من حيث الضابط .

ولا شك أن التقسيم الذي ارتضاه ابن تيمية والبيهقي أشمل من التقسيم الأول ، لأنه شامل لجميع الصفات التي أثبتها الله في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، بخلاف التقسيم الأول فان ذلك قاصر على الصفات التي أثبتها هؤلاء المتكلمون من الأشاعرة فقط .

وأما من حيث الضابط ، فان الضابط الذي وضعه البيهقي للصفات الفعلية عليه اعتراض ، حيث عرفها بأنها ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل ، فهو بذلك يقول بحدوث الصفات الفعلية ، وهو بهذا موافق للأشاعرة القائلين هم أيضا بحدوثها ، وهذا هو نفس رأي المعتزلة .(١)

وأما الضابط الذي وضعه ابن تيمية فأرى أنه منطقي سليم من ذلك الاعتراض .

---

(١) انظر: البيهقي وموقفه من الالهيات ، للدكتور أحمد بن عطية الغامدي ص : ١٥٣ و ١٨٥ . وسيأتي ان شاء الله مبحث يتناول أيضا دراسة موقف المعتزلة والأشاعرة من الصفات الفعلية .

وقد حذا بعض المتأخرين من أتباع السلف حذو ابن تيمية رحمه الله، منهم الأستاذ محمد خليل هراس الذى قال :

" ... دلت هذه النصوص القرآنية على أن صفات البارى قسمان:

١ - صفات ذاتية لا تنفك عنها الذات ، بل هى لازمة لها أزلا وأبدا ولا تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته ، وذلك كصفات الحياة والعلم والقدرة والقوة والعزة والملك والعظمة والكبرياء والمجد والجلال الخ .

٢ - صفات فعلية تتعلق بها مشيئته وقدرته ... كالاستواء على العرش والمجيء والاتيان والنزول الى السماء الدنيا والضحك والرضى والغضب والكراهية والمحبة و ... كالخلق والرزق والاحياء والاماتة وأنواع التدبير المختلفة ".(١)

وقد وضح ابن تيمية رحمه الله أن من الصفات الذاتية أو الفعلية منها ما يعلم ثبوته بطريق العقل الموافق للسمع ، ومنها ما يعلم بطريق السمع فقط ، حيث قال :

" وقد اتفق النظار من مثبتة الصفات على أنه يعلم بالعقل عند المحققين أنه حي ، عليم ، قدير، مريد، وكذلك السمع والبصر والكلام يثبت بالعقل عند المحققين منهم ، بل وكذلك الحب والرضا والغضب يمكن اثباته بالعقل، وكذلك علوه على المخلوقات ومباينته لها مما يعلم بالعقل ، كما أثبته بذلك الأئمة مثل أحمد بن حنبل وغيره ".(٢)

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ، ص : ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٨٨/٣ ؛ ج - د .

وقوله - رحمه الله - أيضا :

" ... ذلك أن النصوص كلها دلت على وصف الإله بالعلو والفوقية على المخلوقات واستوائه على العرش ، فأما علوه ومباينته للمخلوقات فيعلم بالعقل الموافق للسمع ، وأما الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع ...". (١)

والخلاصة ، أن تقسيم الصفات الى : الذاتية والفعلية هو الأرجح ، لشموله لجميع الصفات التى أثبتها الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وهذا التقسيم هوالذى وافق عليه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٤٩/٣ .

ـ((الفصل الرابـع))ـ

موقفـه من الصفات المتفق على اثباتها

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : موقف ابن تيمية من الصفات الســبع .

المبحث الثاني : موقفه من الاختلاف في كلام الله تعالى .

========

الفصل الرابع

موقفه من الصفات المتفق على اثباتها

ان هؤلاء الذين أثبتوا الأسماء لله عز وجل لم يتفقوا على موقف واحد ازاء الصفات التى أثبتها الله تعالى لنفسه، فمنهم من نفوا هذه الصفات مع اثباتهم الأسماء، وهم المعتزلة، ومنهم من أثبتوا الصفات كما أثبتوا الأسماء.

ومذهب نفاة الصفات معروف بطلانه وتناقضه عند العقلاء، لأنه اذا لم يقم بذاته تعالى حياة وقدرة وعلم وسمع وبصر ونحو ذلك من صفات الكمال، استحال أن يقال: انه حي قادر عالم سميع بصير.[1]

والذين أثبتوا الصفات مع الأسماء لم يتحد موقفهم أيضا فى اثبات الصفات، اذ أن منهم من أثبتوا جميع الصفات التى أثبتها الله تبارك وتعالى لنفسه فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم كما يليق بجلاله، وهؤلاء هم السلف ومن حذا حذوهم، ومنهم من أثبتوا بعض الصفات دون بعض وهم الأشعرية ومن وافقهم.

وليتبين لنا موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من صفاته تعالى، فانى أحاول باذن الله عز وجل أن أذكر ما يمكن ذكره من الصفات التى أثبتها رحمه الله، فان الصفات كثيرة غير محصورة، بل ولا يمكن أن يحصرها العباد فى عدد معين.[2]

---

(١) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، للشيخ محمد الأمين الشنقيطى، ص ٥.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية: ١/٢٣٧.

ان الذين أثبتوا الصفات وان لم يتحد موقفهم في اثبات الصفات ، فانهم اتفقوا على اثبات صفات معينة . والصفات التي اتفقوا على اثباتها هي : الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام. وهذه الصفات السبع هي التي اصطلح عليها الأشعرية بصفات المعاني.(١)

المبحث الأول : موقف ابن تيمية من الصفات السبع .

واذا كان السلف والخلف المثبتة للصفات متفقين على اثبات تلك الصفات السبع ، فنحن نأتي الآن الى دراسة موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من هذه الصفات :

(١)

صفة الحياة

وهي صفة له تبارك وتعالى لازمة لذاته ، فلا يعرض لها موت ولا زوال أصلا ، وهي أزلية أبدية . وحياته سبحانه أكمل حياة وأتمها ، يستلزم ثبوتها ثبوت جميع صفات الكمال الذاتية له من العزة والقدرة والعلم والسمع والبصر والحكمة والارادة وغيرها ، اذ لا يتخلف شيء منها الا لنقص في الحياة .(٢)

وأنكر الجهمية ثبوت صفة الحياة لله ، بل أنكروا أن يقال في حقه تعالى: انه حي ، لأن هذه الصفة تطلق على الخلق .(٣) وانكارهم

---

(١) انظر: تحفة المريد ، ص : ٦٣ .

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية ، لمحمد خليل هراس ، ص : ٣٨ و ٤٣ - ٤٤ .

(٣) انظر: الفرق بين الفرق ص : ٢١١، التبصير في الدين ص : ١٠٨، الملل والنحل : ٨٦/١ .

هذا مبنى على منهجهم وهو: نفى أسماء الله وصفاته، لأن اثبات ذلك في زعمهم يقتضى تشبيه الله بخلقه.

وأما المعتزلة، فانهم - مع قولهم: ان البارى تعالى حي - لا يثبتون له الحياة صفة قائمة بذاته المقدسة.[1] وهذا مبنى على منهجهم وهو اثبات أسماء الله تعالى ونفى صفاته عنه. وقد اختلفت أقوالهم في ذلك، فقال أكثرهم: "ان الله حي بذاته لا بحياة"، وقال أبو الهذيل: "هو حي بحياة وحياته ذاته".[2]

وقد أثبت ابن تيمية صفة الحياة لله تعالى، واستدل على ذلك بالدليلين: العقلى والنقلى.

الدليل العقلى:

أما الدليل العقلى الذى استدل به ابن تيمية فتقريره: ان الحياة صفة كمال ممكنة بالضرورة، ولا نقص فيها، فان من اتصف بهذه الصفة أكمل ممن لا يتصف بها، والنقص في انتفائها لا في ثبوتها. والقابل للاتصاف بها كالحيوان أكمل ممن لا يقبل الاتصاف بها كالجمادات. فالرب ان لم يقبل الاتصاف بهذه الصفة لزم اتصافه بضدها، وأن يكون القابل لها - كالحيوان مثلا - أكمل منه. وهذا ممتنع لأن حياة الحيوان انما استفادها من الرب عز وجل، فثبت أن يكون الرب متصفا بالحياة، وأن حياته أكمل الحياة.[3]

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص: ١٦٠ و ٢٠٠.

(٢) انظر: مقالات الاسلاميين: ٢٢٤/١ - ٢٢٥، الملل والنحل: ٤٤/١ و ٥٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٨٨/٦ - ٨٩.

الدليل النقلي :

وأما الدليل النقلي الذي استدل به فمنه[1]، قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم)[2]، وقوله تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت)[3].

وهاتان الآيتان وان كانتا لم تتناولا صفة الحياة بصريح العبارة، وانما اشتملتا على اثبات اسمه تعالى " الحي"، فان هذا الاسم دليل على ثبوت صفة الحياة لله جل جلاله، اذ قد بين ابن تيمية - كما سبق ذكره - أن هناك صلة وثيقة بين أسمائه تعالى وصفاته، فكل اسم من أسمائه كما يدل على الذات المسماة فهو يدل على الصفة التي تضمنها . فاسمه " الحي" كما يدل على ذاته تعالى فهو يدل على صفة الحياة.

وقصارى القول : ان ابن تيمية وافق السلف وجمهور الخلف في اثبات صفة الحياة لله تعالى، وثبوت الحياة له تعالى مما يعلم بالفطرة كما يعلم بالعقل ، لأنه تعالى لو لم يكن متصفا بالحياة لما جاز أن يكون ربا خالقا والها معبودا وصمدا يصمد اليه وملجأ يلجأ اليه ، لأنه بذلك لا ينفع ولا يغني شيئا .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٣/١٣١ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣) سورة الفرقان : ٥٨ .

(٢)

صفة العلم

ومن الصفات المتفق على اثباتها بين السلف وجمهور الخلف المثبتة للصفات : صفة العلم ، وهى صفة حقيقية لله عزوجل قائمة بذاته ، " بها يدرك جميع المعلومات على ما هى به ، فلا يخفى عليه منها شيء ".(١)

وقالت الجهمية : ان علم الله سبحانه محدث مخلوق .(٢) وأما المعتزلة فقال أكثرهم : ان الله عالم بذاته لا بعلم ، ومنهم من قال : له علم بمعنى معلوم ، وقال أبو الهذيل: انه تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته .(٣)

وقد أثبت ابن تيمية هذه الصفة لله ، واستدل على ذلك بالدليلين : العقلى والنقلى .

الدليل العقلى :

ومن الدليل العقلى الذى ساقه ابن تيمية لاثبات هذه الصفة : " أن من المخلوقات ما هو عالم ، والعلم صفة كمال ، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالما . وهذا له طريقان :

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ، ص : ٤٤ .

(٢) انظر: مقالات الاسلاميين : ٣١٢/١ ، الفصل : ١٢٦/٢ ، الفرق بين الفرق ص : ٢١١ ، التبصير فى الدين ص : ١٠٨ ، الملل والنحل : ٨٧/١ ، الارشاد للجوينى ، ص : ٩٦ .

(٣) انظر: مقالات الاسلاميين : ٢٢٤/١ - ٢٢٥ ، الملل والنحل : ٤٤/١و ٤٩ ، الفرق بين الفرق ص : ١٥٤ و ١٢٧ ، التبصيرفى الدين ، ص : ٦٣ و ٧٠ ، شرح الأصول الخمسة ، ص : ١٨٣ و ٢٠١ .

(أحدها) أن يقال : نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق ، و أن الواجب أكمل من الممكن ، ونعلم ضرورة أنا اذا فرضنا شيئين أحدهما عالم والآخر غير عالم ، كان العالم أكمل منه . فاذا لم يكن الخالق سبحانه عالما ، يلزم أن يكون غير عالم أى جاهلا ، وهو ممتنع .

(الثانى) أن يقال : كل علم فى الممكنات التى هى المخلوقات فهو منه . ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريا منه ، بل هو أحق . والله سبحانه - وله المثل الأعلى - لا يستوى هو والمخلوق ، لا فى قياس تمثيل ولا قياس شمول[1] ، بل كل ما أثبت لمخلوق فالخالق به أحق[2] ، وكل نقص تنزه عنه مخلوق فتنزيه الخالق عنه أولى ". [3]

الدليل النقلى :

ومن الدليل النقلى الذى ذكره ابن تيمية لاثبات صفة العلم[4] ، قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم)[5] ،

---

(١) قياس التمثيل قياس معروف عند علماء الأصول ، وهو الحاق فرع بأصل فى حكم الجامع ، كالحاق النبيذ بالخمر فى الحرمة لاشتراكهما فى علة الحكم وهى الاسكار . فقياس التمثيل مبنى على وجود مماثلة بين الفرع والأصل ، والله لا يجوز أن يمثل بشئ من خلقه . وأما قياس الشمول فهو قياس معروف عند المناطقة ، وهو الاستدلال بكلى على جزئى بواسطة اندراج ذلك الجزئى مع غيره تحت هذا الكلى . فهذا القياس مبنى على استواء الأفراد المندرجة تحت هذا الكلى ، ولذلك يحكم على كل منها بما حكم به عليه . ومعلوم أنه لا مساواة بين الله عزوجل وبين شئ من خلقه . فلا يستعمل فى حقه تعالى قياس التمثيل ولا قياس الشمول ، وانما يستعمل فى حقه تعالى قياس الأولى . انظر: شرح العقيدة الواسطية ، ص : ٢٧ .

(٢) أى كمال أثبت لمخلوق وأمكن اتصاف الخالق به ، فالخالق به أحق وأولى .

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية ، ص : ٢٤ - ٢٥ .

(٤) مجموع الفتاوى : ١٣١/٣ .

(٥) سورة الحديد : ٣ .

وقوله (يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها)[١]، وقوله (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو، ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين)[٢]، وقوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه)[٣]، وقوله (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما)[٤]. وهذه الآيات التى ذكرها رحمه الله تفيد اثبات صفة العلم لله تعالى .

وموقف ابن تيمية من هذه الصفة : أن علم الله تبارك وتعالى قديم أزلى لازم لنفسه المقدسة ، لم يحتج فى علمه الى غيره لأنه غنيّ بنفسه فى جميع صفاته ، وأن علمه سبحانه محيط بكل شيء، فيعلم الكليات والجزئيات ، ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لوكان كيف يكون.[٥]

وقد خالف ابن تيمية فى موقفه من هذه الصفة الفلاسفة الذين أنكروا علمه تعالى بالجزئيات[٦]، وخالف أيضا القدرية الذين قالوا : " لم يعلم أفعال العباد الا بعد وجودها ، وأن الأمر أنف " [٧].

---

(١) سورة السبأ : ٢، سورة الحديد: ٤ .

(٢) سورة الأنعام : ٥٩ .

(٣) سورة فاطر : ١١ .

(٤) سورة الطلاق : ١٢ .

(٥) انظر: مجموع الفتاوى : ٢١١/٢، جامع الرسائل : ١٨٣/١ .

(٦) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٤٩/٩، لوامع الأنوار البهية، لمحمد السفارينى : ١٤٧/١ .

(٧) جامع الرسائل : ١٧٧/١ .

والموقف الذى اتخذه ابن تيمية موقف صحيح لموافقته للنصوص الشرعية الواردة فى علم الله، ولما أجمع عليه جمهور الأمة سلفا وخلفا .

هذا، واذا شهد العبد سعة علم الله تبارك وتعالى واحاطته بكل شيء، ظاهره وباطنه، سره وعلانيته، أكبره وأصغره، ماضيه وحاضره ومستقبله، ولا يخفى عليه شيء من ذلك، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، فاذا شهد هذا كله وتحقق هذا المعنى فى نفسه، فانه يعامل هذه الصفة بمقتضى ذلك الشهود، فيراقب الله فى كل أحواله، ويطهر له سريرته لأنها عنده علانية، ويصلح له غيبه لأنه عنده شهادة، ويزكى له باطنه فانه عنده ظاهر، فيخلص بذلك العبودية والعبادة لله عز وجل .

(٣)

صفة القدرة

اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قدير، كما نطق بذلك القرآن فى مواضع كثيرة جدًا .(١) وقد أثبت الجهمية كونه تعالى قادرا لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة، وهذا مبنى على مذهبهم وهو القول بالجبر، أى أن الانسان مجبور فى أفعاله، لا قدرة له ولا ارادة ولا اختيار،(٢) ومع ذلك فانهم لا يثبتون له القدرة صفة قائمة بذاته تبارك وتعالى .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٧/٨ .

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص : ٢١٧، التبصير فى الدين ص : ١٠٨، الملل والنحل : ٨٦/١ .

وكذلك المعتزلة، فانهم - مع اثباتهم أنه تعالى قادر - لا يثبتون له القدرة صفة قائمة بذاته المقدسة.[١] واختلفت أقوالهم في ذلك، فقال أكثرهم: " ان الله قادر بذاته لا بقدرة"، ومنهم من قال: " لله قدرة بمعنى مقدور"، وقال أبو الهذيل: " ان الله قادر بقدرة وقدرته ذاته".[٢]

وقد وافق ابن تيمية جمهور المسلمين على اثبات صفة القدرة لله تعالى، كما يقول رحمه الله: " ... القدرة من صفات الله تعالى، وقد يسمى المقدور قدرة، ويسمى تعلقها بالمقدور قدرة ...".[٣] واستدل على اثبات هذه الصفة بالدليل العقلي والدليل النقلي:

الدليل العقلي:

ومن الدليل العقلي الذي أورده ابن تيمية لاثبات صفة القدرة هو: ايجاده الأشياء. وتقرير ذلك كما يقول رحمه الله:

" الفاعل اما مجرد الذات، واما الذات بصفة. فان كان الأول فمعلوم أن العلة التامة تستلزم وجود المعلول، فاذا كان مجرد الذات هو الواجب فمجرد الذات علة تامة، فيلزم وجود المعلول جميعه، ويلزم قدم جميع الحوادث، وهو خلاف المشاهدة.

وان كان الثاني، فالصفة التي يصلح بها الفعل هي القدرة.

أو يقال: فاذا لم يكن موجبا لذاته بل بصفة تعين أن يكون مختارا، فانه إما

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص: ١٥١ و ٢٠١.

(٢) انظر: مقالات الاسلاميين: ١/٢٢٤ - ٢٢٥، الفرق بين الفرق ص ١١٤ و ١٢٧، التبصير في الدين ص: ٦٣ و ٧٠، الملل والنحل: ١/٤٤ و ٤٩.

(٣) مجموع الفتاوى: ٦/١٨.

موجب بالذات واما فاعل بالاختيار، والمختار انما يفعل بالقـــــدرة، اذ القادر هو الذى ان شاء فعل وان لم يفعل، فأما من يلزمه المفعول بدون ارادته فهذا ليس بقادر، بل ملزوم بمنزلة الذى تلزمه الحـــركات الطبيعية التى لا قدرة له على فعلها ولا تركها ".(١)

الدليل النقلي :

ومن الدليل النقلي الذى استدل به لاثبات صفة القدرة(٢)، قوله تعالى (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير ...)(٣)، وقوله (قـل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكـم)(٤)، وقوله (بلى قادرين على أن نسوى بنانه)(٥)، وقوله (وهو على كل شـيء قديـــر)(٦)، الى غير ذلك من الدليل النقلي الذى ذكره ابن تيمية .

وهذه الآيات التى ذكرها رحمه الله تدل على اثبات صفـــة القدرة لله عز و جل .

ومما يدل على صحة مذهب جمهور الأمة الذى وافقهـــم عليه ابن تيمية هو قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الاستخارة : " اللهــم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيـــم ، فانك

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ، ص : ٢٥ .

(٢) مجموع الفتاوى : ١٣١/٣ ، ٢٣٧/٦ ، ٩/٨ - ١١ .

(٣) سورة الطـلاق : ١٢ .

(٤) سورة الأنعام : ٦٥ .

(٥) سورة القيامة : ٤ .

(٦) سورة المائدة : ١٢٠ ، سورة هود : ٤ ، سورة الروم : ٥٠ ، سورة الشورى: ٩ ، سورة الحديد : ٢ ، سورة التغابن : ١ ، سورة الملك : ١ .

تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيـــوب ..."[1] فقـد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث ربه بعلمه وقدرته سبحانـــه، لأنه هو الذى يقدر ويعلم وهو علام الغيوب. فدل ذلك على أن العلـــم والقدرة صفتان حقيقيتان لله تعالى، لأنه لولم تكونا من صفاته القائمة بذاته لما جاز الدعاء بهما.

وهناك آيات كثيرة وأحاديث مستفيضة تثبت قدرة الله تعالى، فلا شك أن القدرة صفة حقيقية ثابتة لله.

وموقف ابن تيمية من هذه الصفـة : أن قدرته عز و جل عامـــة شاملة لكل شيء، فلا يتعذر عليه ما أراد، ولا يمتنع عليه ما شاء، فهـــو القادر على ما كان، وما يكون، وما لم يكن بعد اذا شاء أن يكون، والقادر على الأفعال القائمة بنفسه، وعلى الأمور المباينة له من أفعال العباد وغيرها، وأنه سبحانه كان قادرا ولا يزال قادرا على ما يشاؤه بمشيئته.[2]

وقد خالف ابن تيمـــية بهذا الموقف الجهمـية و المعتزلـة و الكلابية والأشعرية الذين قالوا : ان مقدوره لا يكون الا بائنا عنـــه،

---

(١) رواه أحمد فى المسند ٣٤٤/٣، والبخارى فى كتاب الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة ١٨٣/١١، وفى كتاب التوحيد باب قول الله تعالـــى (قل هو القادر) ٣٧٥/١٣، وأبو داود فى كتاب الوتر باب الاستخارة ٣٩٦/٤ - ٣٩٨، والترمذى فى كتاب الوتر باب ما جاء فى صـــــلاة الاستخارة ٣٤٥/٢، والنسائى فى كتاب النكاح باب كيف الاستخارة ٨٠/٦ - ٨١، وابن ماجه فى كتاب اقامة الصلاة باب ما جاء فى صلاة الاستخارة ٤٤٠/١، من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

(٢) انظر : مجموع الفتاوى : ٢٢٧/٦، ٩/٨ - ١١ و ١٨ - ١٩ و ٢٩ - ٣٠.

وخالف السالمية[١] والكرامية[٢] الذين قالوا : ان مقدوره لا يكون الا ما يقوم بذاته،[٣] كما خالف القدرية لزعمهم أن أفعال العباد غير مقدورة لله تعالى .

وموقف ابن تيمية من هذه الصفة هو الصائب، لأنه هو الموافق للحق الذى نطق به الكتاب والسنة، ودل عليه العقل ، وبه قال السلف رضى الله عنهم . وهذا الموقف هو الذى يظهر من خلاله التعظيم والاجلال للبارى سبحانه .

يقول ابن تيمية :

" ... وفى الحقيقة انه من لم يقل بقول السلف فانه لا يثبت لله قدرة ولا يثبته قادرا . فالجهمية ومن اتبعهم والمعتزلة والقدرية المجبرة والنافية حقيقة قولهم : انه ليس قادرا وليس له الملك، فان الملك اما أن يكون هو القدرة، أو المقدور، أو كلاهما . وعلى كل تقدير فلا بد من القدرة، فمن لم يثبت له القدرة حقيقة لم يثبت له ملكا، كما لا يثبتون له حمدا ".[٤]

---

(١) السالمية: هم أتباع أبى عبد الله محمد بن أحمد بن سالم المتوفى سنة ٢٩٧ هـ، وابنه أبى الحسن أحمد بن محمد بن سالم المتوفى سنة بضع و ٣٥٠ هـ . ومن أشهر رجال السالمية أبو طالب المكى صاحب كتاب قوت القلوب المتوفى سنة ٣٨٦ هـ . انظر: شذرات الذهب ٣٦/٣ و ١٢٠ ـ ١٢١، طبقات الصوفية للسلمى ص ٤١٤ـ٤١٦، اللباب ٩٣/٢، دائرة المعارف الاسلامية فى مادة " السالمية" ١١/ ٦٩ ـ ٧١ .

(٢) الكرامية هم أتباع أبى عبد الله محمد بن كرام بن عراق بن حزابة السجستانى ، المتوفى سنة ٢٥٥ هـ . انظر عن ابن كرام والكرامية : لسان الميزان ٣٥٣/٥ـ٣٥٦، الأعلام ١٤/٧، الفصل ٤٥/٤و ٢٠٤ و ٢٠٥، الفرق بين الفرق ص ٢١٥ـ٢٢٥، التبصيرفى الدين ص ١١١ـ١١٧، الملل والنحل ١٠٨/١ـ١١٣، اعتقادات فرق المسلمين ص ٦٧، خطط المقريزى ٣٤٩/٢ و ٣٥٧ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٣٧/٦ ، ١٨/٨ ـ ١٩ .

(٤) نفس المرجع : ٣٠/٨ .

فأشار رحمه الله بهذا القول الى أن المخالفين لقول السلف ما قدروا الله حق قدره، ولا عرفوه حق معرفته، ولا عظموه حق تعظيمه، ولا نزهوه عما لا يليق بجلاله، (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون)[١].

(٤)

صفة الارادة

اتفق السلف وجمهور الخلف المثبتة للصفات على اثبات صفة الارادة لله عز وجل .

وقد نفى الجهمية هذه الصفة، كمنهجهم فى سائر صفاته تعالى، بل انهم امتنعوا عن أن يصفوا البارى بأنه مريد، لأن هذا الوصف فى زعمهم يجوز اطلاقه على غيره من خلقه فيقتضى ذلك تشبيها .[٢]

وأما المعتزلة فقد اختلفت أقوالهم فى هذا، فمنهم من نفى عنه تعالى الارادة وقال : " ان الارادة ليست صفة قائمة بذات البارى تعالى، فاذا وصف شرعا بكونه مريدا فى أفعاله فالمراد به أنه خالقها على وفق علمه، واذا وصف بكونه مريدا لأفعال عباده فالمراد به أنه آمر بها ". والقائل بهذا النظام[٣] والكعبى[٤] وأتباعهما من

---

(١) سورة يس : ٨٣ .

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص ٢١١، التبصير فى الدين ص ١٠٨ .

(٣) أبو اسحاق ابراهيم بن سيار بن هانىء النظام، من أئمة المعتزلة . توفى سنة ٢٣١ هـ. انظر: فرق وطبقات المعتزلة ص ٥٩-٤٢، لسان الميزان ٦٧/١، الفهرست (فى التكملة) ص ٢، اللباب ٣١٦/٣، الأعلام ٤٣/١ .

(٤) أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى البلخى. كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم الكعبية . توفى سنة ٣١٩ هـ. انظر : وفيات الأعيان ٤٥/٣، فرق وطبقات المعتزلة ص ٩٣-٩٥، لسان الميزان ٢٥٥/٣، شذرات الذهب ٢٨١/٢، الأعلام ٦٥/٤، معجم المؤلفين ٣١/٦ .

المعتزلة البغداديين.[١] ومنهم من أثبت ارادة حادثة لا في محل يكون البارى تعالى مريدا بها. وهذا مذهب الجبائي[٢] وابنه أبي هاشم وأصحابهما من المعتزلة البصريين.[٣]

وأما الفلاسفة فقالوا: "ارادته نفس علمه بوجه النظام الأكمل"، ويسمونه عناية.[٤]

وقد وافق ابن تيمية جمهور المسلمين على اثبات هذه الصفة لله تعالى، واستدل على ذلك بالدليل العقلي والدليل النقلي.

<u>الدليل العقلي :</u>

ومن الدليل العقلي الذي استدل به هو تخصيصه تعالى الأشياء بخصوصيات. وتقرير ذلك: أن العالم فيه تخصيصات كثيرة مثل تخصيص كل شيء بماله من القدر والصفات والحركات، كطوله وقصره، وطعمه ولونه وريحه، وحياته وقدرته وسمعه وبصره، وسائر ما فيه، مع العلم الضروري بأنه من الممكن أن يكون خلاف ذلك، اذ ليس واجب الوجود بنفسه، ومعلوم

---

(١) انظر: مقالات الاسلاميين ٢٤٥/١، الفرق بين الفرق ص ١٨١ - ١٨٢ و٣٣٤، أصول الدين للبغدادي ص ١٠٣، الملل والنحل ٥٥/١ و٧٨، الارشاد للجويني ص ٦٣.

(٢) أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان، مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، المعروف بالجبائي، اليه تنسب الطائفة الجبائية. ولد سنة ٢٣٥ هـ، وتوفي سنة ٣٠٣ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٢٦٧/٤ - ٢٦٩، فرق وطبقات المعتزلة ص ٨٥ - ٩٠، لسان الميزان ٢٧١/٥، الفهرست (في التكملة) ص ٦، شذرات الذهب ٢٤١/٢، الأعلام ٢٥٦/٦، معجم المؤلفين ٢٦٩/١٠.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٨١ و٣٣٤، أصول الدين للبغدادي ص ١٠٣، الملل والنحل ٨٠/١، الارشاد للجويني ص ٦٤.

(٤) المواقف للايجي ص ٢٩١.

أن الذات المجردة التي لا ارادة لها لا تخصص ، انما يكون التخصيص بالارادة.[1] فثبت بهذا أن يكون الباري تعالى الذي خصص هذه الأشياء أن يكون متصفا بالارادة.

الدليل النقلي :

وقد أورد ابن تيمية آيات من كتاب الله الكريم لاثبات صفة الارادة ، منها[2]: قوله تعالى (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله)[3]، وقوله تعالى (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد)[4]، وقوله تعالى (أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم ، ان الله يحكم ما يريد)[5]، وقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء)[6].

وهذه الآيات التي أوردها ابن تيمية تدل على ثبوت صفتي الارادة والمشيئة لله عز وجل. والنصوص الواردة في ذلك كثيرة لا تحصى .

الارادة نوعان :

تبين لنا مما ذكره ابن تيمية من الدليل العقلي والدليل النقلي ثبوت صفة الارادة لله تعالى. وكان رحمه الله في اثباته هذه

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٦٦ .
(٢) مجموع الفتاوى : ١٣٢/٣.
(٣) سورة الكهف : ٣٩ .
(٤) سورة البقرة : ٢٥٣ .
(٥) سورة المائدة : ١ .
(٦) سورة الأنعام : ١٢٥ .

الصفة لله تعالى بالنظر الى النصوص الشرعية الواردة فى ذلك يقسم الارادة الى نوعين :

(الأولى) : ارادة شرعية دينية ، وهى ترادف المحبة والرضا . وتتعلق هذه الارادة بالأمور الدينية التى يحبها الله ويرضاها ، كما فى قوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)(١) ، وقوله (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم)(٢) ، وقوله (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم)(٣) ، وقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)(٤).

(الثانية) : ارادة قدرية كونية ، وترادفها المشيئة ، وهى شاملة لجميع الكائنات ، محيطة بجميع الحادثات . وقد أراد من العباد ما هم فاعلوه بهذا المعنى ، لا بالمعنى الأول . كما فى قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء)(٥) ، وقوله تعالى (ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم)(٦) ، وقوله (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد)(٧).

---

(١) سورة البقرة : ١٨٥ .

(٢) سورة النساء : ٢٦ .

(٣) سورة المائدة : ٦ .

(٤) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٥) سورة الأنعام : ١٢٥ .

(٦) سورة هود : ٣٤ .

(٧) سورة البقرة : ٢٥٣ .

وهذه الارادة الثانية هي المستلزمة لوقوع المراد، فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن. وأما الارادة الأولى فلا تستلزم وقوع المراد الا أن تتعلق به الارادة الثانية.(١)

يقول ابن تيميـــة :

" وهذه الارادة - أي الثانية - تتناول ماحدث من الطاعات والمعاصي، دون مالم يحدث، كما أن الأولى تتناول الطاعات حدثت أو لم تحدث، والسعيد من أراد منه تقديرا ما أراد به تشريعا، والعبد الشقي من أراد به تقديرا مالم يرد به تشريعا، والحكم يجري على وفق هاتيـــن الارادتين، فمن نظر الى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرا، ومن نظر الى القدر دون الشرع أو الشرع دون القدر كان أعور ...".(٢)

ومما سبق ذكره يظهر لنا أن ابن تيمية لا يجعل الارادة مرادفة للمشيئة، بل كان يفرق بين نوعين من الارادة. والارادة الكونيـــة هي التي ترادف المشيئة، وأما الارادة الدينية فهي مرادفة للمحبة والرضا.

وهذا التقسيم والتفريق بين الارادتين مما اتفق عليـــــه السلف وكثير من طوائف النظار من الخلف كما أشار الى ذلك ابن تيميـــة بقوله:

" وأما سلف الأمة وأئمتها وأكابر أهل الفقه والحديث والتصوف وكثير من طوائف النظار كالكلابية والكرامية وغيرهم، فيفرقون بين هـذا وهذا، ويقولون: ان الله يحب الايمان والعمل الصالح ويرضى به، كمـا لا يأمر ولا يرضى بالكفر والفسوق والعصيان، ولا يحبه، كما لا يأمر به، وان

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٥٨/٨ و ١٥٩ - ١٦٠ و ١٩٧ - ١٩٨ و ٤٧٦، مجموعة الرسائل الكبرى: ٧٦/٢ - ٧٧.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٩٨/٨.

كان قد شاء ...".(١)

وفي هذه النقطة خالف ابن تيمية المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الأشعرية حيث لا يفرقون بين الارادة الكونية والارادة الدينية ، أي لا يفرقون بين مشيئته تعالى وبين محبته ورضاه ، بل جعلوا ذلك بمعنى واحد.

وأما المعتزلة فقالوا : " وقد علم بالكتاب والسنة واجماع السلف أن الله يحب الايمان والعمل الصالح ، ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ، ويكره الكفر والفسوق والعصيان"، قالوا : " فيلزم من ذلك أن يكون كل ما في الوجود من المعاصي واقعا بدون مشيئته وارادته كما هو واقع على خلاف أمره ، وخلاف محبته ورضاه "، وقالوا : " ان محبته ورضاه لأعمال عباده هو بمعنى أمره بها ، فكذلك ارادته لها بمعنى أمره بها ، فلا يكون قط عندهم مريدا لغير ما أمر به "، وأخذ هؤلاء يتأولون ما في القرآن من ارادته لكل ما يحدث ومن خلقه لأفعال العباد بتأويلات محرفة.(٢)

وقالت الجهمية ومن اتبعها من الأشعرية : " قد علم بالكتاب والسنة والاجماع أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه ، ولا يكون خالقا الا بقدرته ومشيئته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وكل ما في الوجود فهو بمشيئته وقدرته ، وهو خالقه ، سواء في ذلك أفعال العباد وغيرها "، ثم قالوا : " وانا كان مريدا لكل حادث ، والارادة هي المحبة والرضا ، فهو محب راض لكل حادث "، وقالوا : " كل ما في الوجود من كفر وفسوق وعصيان

---

(١) مجموع الفتاوى : ٤٧٥/٨ .

(٢) نفس المرجع : ٣٤٠/٨ و ٤٧٤ ، وانظر : الارشاد للجويني ص ٢٤٠ .

فان الله راض به ، محب له ، كما هو مريد له ".[1]

ومقالة كلا الفريقين مردود عليها ، بناء على الأدلة الشرعية الواردة في ذلك. وأما مقالة المعتزلة فيرد عليها قوله تعالى (وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين)[2]، وقوله تعالى (ولوشاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا)[3]، وقوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها)[4]، وقوله تعالى (ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أوأرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته)[5]، وقوله تعالى (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا)[6]، وغيرها من الآيات القرآنية الكثيرة التي أفادت عموم مشيئته تعالى وشمولها ، فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن.

وأما مقالة الجهمية ومن اتبعها من الأشعرية فيرد عليهم قوله تعالى (والله لا يحب الفساد)[7]، وقوله تعالى (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر، وان تشكروا يرضه لكم)[8]، وقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)[9]، وقوله تعالى

---

(١) مجموع الفتاوى : ٨/٣٤٠ ـ ٣٤١، وانظر: الارشاد ص ١٠١ ـ ١٠٢ .
(٢) سورة التكوير : ٢٩ .
(٣) سورة يونس : ٩٩ .
(٤) سورة السجدة : ١٣ .
(٥) سورة الزمر : ٣٨ .
(٦) سورة المائدة : ٤١ .
(٧) سورة البقرة : ٢٠٥ .
(٨) سورة الزمر : ٧ .
(٩) سورة البقرة : ١٨٥ .

(وما الله يريد ظلما للعباد)[١]، وقوله تعالى (ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)[٢]، وغير ذلك من الآيات التى دلت على أن الله تعالى لا يحب الفساد والكفر والفسوق والعصيان والظلم ولا يرضى بها ، ولا يريد ذلك ارادة تشريع ودين .

ومن هنا يتضح لنا صحة موقف ابن تيمية من صفة الارادة التى أثبتها لله تعالى حيث فرق بين كونها شرعية دينية وترادفها المحبة والرضا ، وبين كونها قدرية كونية وترادفها المشيئة . وهو موقف موافق للحق الذى دل عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها وكثير من طوائف الخلف . وكان رحمه الله بهذا الموقف قد نجا من السلبيات التى حصلت للفرق الأخرى التى لم تهتد الى هذا التفريق .

الارادة صفة ذات وفعل :

وابن تيمية فى اثباته صفة الارادة لله تعالى جعلها صفة ذات و صفة فعل ، خلافا للكلابية والأشعرية ومن وافقهم الذين يثبتون له صفات قائمة بذاته بغير مشيئته وقدرته ، وخلافا للجهمية والمعتزلة الذين ينفون الصفات القائمة بذاته المقدسة .

فصفة الارادة فى وجهة نظر ابن تيمية هى من الأمور التى يتصف بها الرب عز وجل، فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته ، فهى كذلك من الصفات الاختيارية . (٣)

---

(١) سورة غافر : ٣١ .

(٢) سورة البقرة : ١٩٠، سورة المائدة : ٨٧ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٢١٧/٦ .

ومن الأدلة التي استدل بها ابن تيمية على أن الارادة صفة فعل [1] - كما هي صفة ذات : قوله تعالى (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[2]، وقوله (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله)[3]، وقوله (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين)[4]، وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)[5]، وقوله (واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له)[6]، وقوله (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا)[7]، وقوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك)[8]، وأمثال ذلك من الآيات القرآنية .

يقول ابن تيمية : " فان جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال ، مثل "ان" و "أن" وكذلك "اذا" ظرف لما يستقبل من الزمان ، فقوله (اذا أراد) و (ان شاء الله) ونحو ذلك ، يقتضي حصول ارادة مستقبلة و مشيئة مستقبلة ".[9]

ومن الأدلة التي أوردها رحمه الله يتبين لنا أن الارادة من الصفات الفعلية أيضا . فالارادة صفة فعل، كما هي صفة ذات .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٢٢٥/٦ .

(٢) سورة يس : ٨٢ .

(٣) سورة الكهف : ٢٤ .

(٤) سورة الفتح : ٢٧ .

(٥) سورة الاسراء : ١٦ .

(٦) سورة الرعد : ١١ .

(٧) سورة الانسان : ٢٨ .

(٨) سورة الاسراء : ٨٦ .

(٩) مجموع الفتاوى : ٢٢٥/٦ .

واثبات الصفات الفعلية من منهج السلف وكثير من أهـل الكلام كالهشامية والكرامية ، كما سيأتي تفصيله ان شاء الله في الفصل القادم .

ومما تقدم ذكره يظهر لنا أن موقف ابن تيمية من جعل الارادة صفة ذات وفعل هو الموافق للأدلة الشرعية ولمنهج السلف رضي الله عنهم وكثير من الخلف ، فهو بذلك الموقف الأرجح في هذه القضية .

وخلاصة القول ، فان موقف ابن تيمية من صفة الارادة هو اثبات هذه الصفة حقيقة لله تعالى، وأنها نوعان : ارادة شرعية دينية وترادفها المحبة والرضا ، وارادة قدرية كونية وترادفها المشيئة ، وأن الارادة كما هي صفة ذات ، فهي أيضا صفة فعل كما دلت على ذلك النصوص الشرعية الواردة في ارادته تبارك وتعالى .

(٥)

صفتا السمع والبصر

من الصفات المتفق على اثباتها بين السلف والخلف الصفاتية - أي المثبتة للصفات : صفتا السمع والبصر.

ونفت الجهمية هاتين الصفتين ، بل ونفى وصفه تعالى بأنه سميع بصير لجواز اطلاق ذلك على خلقه .

وأما المعتزلة فنفوا كذلك صفتي السمع والبصر ولكنهم أثبتوا أنه تعالى سميع بصير،(١) طردا منهم على منهجهم في اثبات الأسماء ونفي الصفات .

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ، ص ١٦٧ .

وقد اختلفت أقوالهم في معنى كونه سميعا بصيرا . فقال الكعبي وأتباعه من المعتزلة البغداديين : ان الباري تعالى سميع بمعنى أنه عالم بالمسموعات، وبصير بمعنى أنه عالم بالمبصرات .[1] وذهب الجبائي وابنه أبو هاشم من معتزلة البصرة الى أن معنى كونه سميعا بصيرا أنه حي لا آفة به .[2] وذهب بقية البصريين، بل والمتقدمون منهم ، الى أن الباري تعالى سميع بصير على الحقيقة ، كما أنه عالم على الحقيقة ، وزعموا أنه سميع بصير لنفسه .[3]

وقد وافق ابن تيمية السلف والخلف الصفاتية على اثبات صفتى السمع والبصر لله تعالى ، وأنهما صفتان حقيقيتان له زائدتان على صفة العلم .

يقول رحمه الله :

" ... اثبات كونه سميعا بصيرا وأنه ليس مجرد العلم بالمسموعات والمرئيات هو قول أهل الاثبات قاطبة من أهل السنة والجماعة من السلف وأهل الحديث والتصوف والمتكلمين من الصفاتية كأبي محمد بن كلاب ،

---

(١) انظر: مقالات الاسلاميين ٢٢٩/١، شرح الأصول الخمسة ص ١٦٨، الفرق بين الفرق ص ١٨١، أصول الدين للبغدادي ص ٩٦ و ٩٧ - ٩٨، التبصير في الدين ص ٨٥، الارشاد للجويني ص ٨٢، الملل والنحل ٧٨/١ .

(٢) أصول الدين للبغدادي ص ٩٧، الارشاد ص ٧٢.
وقال فيهما الشهرستاني : " واختلفا في كونه سميعا بصيرا ، فقال الجبائي : معنى كونه سميعا بصيرا أنه حي لا آفة به . وخالفه ابنه وسائر أصحابه ، أما ابنه فصار الى أن كونه سميعا حالة ، وكونه بصيرا حالة ، وكونه بصيرا حالة سوى كونه عالما ، لاختلاف القضيتين والمفهومين والمتعلقين والأثرين. وقال غيره من أصحابه : معناه كونه مدركا للمبصرات، مدركا للمسموعات " . الملل والنحل ٨٣/١ .

(٣) انظر: الفرق بين الفرق ص ١٨١، الارشاد ص ٧٢، شرح الأصول الخمسة ص ١٦٨ - ١٦٩ .

وأبي العباس القلانسي(١)، وأبي الحسن الأشعري ، وأصحابه ، وطائفة من المعتزلة البصريين ، بل قدماؤهم على ذلك ، ويجعلونه سميعا بصيرا لنفسه كما يجعلونه عالما قادرا لنفسه ..."(٢).

واستدل ابن تيمية على اثبات صفتي السمع والبصر بالدليل العقلي وبالدليل النقلي .

الدليل العقلي :

وأما الدليل العقلي ، فقد ذكر ابن تيمية طرقا لاثبات صفتي السمع والبصر :

(أحدها): أنه لولم يتصف بالسمع والبصر لاتصف بضدذلك وهو العمى والصمم ، وذلك لأن المصحح لكون الشيء سميعا بصيرا هو الحياة ، فاذا انتفت الحياة امتنع اتصاف المتصف بذلك ، فالجمادات لا توصف بالسمع والبصر لانتفاء الحياة فيها . واذا كان المصحح هو الحياة ، كان الحي قابلا للاتصاف بالسمع والبصر ، فان لم يتصف بهما لزم اتصافه بضدهما ، بناء على أن القابل للضدين لا يخلو من اتصافه بأحدهما ، اذ لو جاز خلوّ الموصوف من جميع الصفات المتضادات لزم وجود عين لا صفة لها وهو وجود جوهر بلا عرض يقوم به . وقد علم بالاضطرار امتناع خلو الجواهر من الأعراض ، وهو امتناع خلو الأعيان والذات من الصفات .(٣)

---

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي ، من معاصري أبي الحسن الأشعري . انظر: تبيين كذب المفتري ، ص ٣٩٨ . وانظر فيما ورد عنه وعن آرائه : أصول الدين للبغدادي ص : ٤٠ و٤٥ و٦٧ و ٢٥٤ ، الارشاد للجويني ص : ٣٩٩ ، الملل والنحل : ٩٣/١ .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ، ص : ٧٣ .

(٣) انظر: نفس المرجع ، ص : ٧٤ .

(الطريق الثاني): أن السمع والبصر من صفات الكمال ، فإن الحي السميع البصير أكمل من حي ليس بسميع ولا بصير، كما أن الموجود الحي أكمل من موجود ليس بحي ، والموجود العالم أكمل من موجود ليس بعالم. وهذا معلوم بضرورة العقل. وإذا كان السمع والبصر من صفات الكمال ، فلو لم يتصف الرب بهما لكان ناقصا ، والله منزه عن كل نقص. وأيضا فلو لم يتصف الرب بهما لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل منه . ومن المعلوم أن كل كمال في المخلوقات فهو منه تعالى ، فلا يجوز أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريا منه ، بل هو أحق به . وإذا تبين هذا فيجب أن يكون الرب متصفا بالسمع والبصر.(١)

(الطريق الثالث): أن نفي صفتي السمع والبصر نقص مطلقا سواء نفيتا عن حي أو جماد. وما انتفت عنه هاتان الصفتان لا يجوز أن يعبد ولا يدعى ولا يجيب سائلا ، لأنه من المستقر في الفطر أن ما لا يسمع ولا يبصر لا يكون ربا معبودا ، كما أن ما لا يغني شيئا ولا يملك ضرا ولا نفعا لا يكون ربا معبودا .

ومن المستقر في العقول أن ما لا يسمع ولا يبصر ناقص عن صفات الكمال لأنه لا يسمع كلام أحد ولا يبصر أحدا . فإن لم يكن كالحي الأعمى الأصم كان بمنزلة ما هو شر منه وهو الجماد الذي ليس فيه قبول أن يسمع ويبصر، ونفي قبول هاتين الصفتين أبلغ في النقص والعجز وأقرب إلى اتصاف المعدوم ، ممن يقبلهما واتصف بضدهما ، إذ الإنسان الأعمى أكمل من الحجر ، والإنسان الأصم أكمل من التراب ، ونحو ذلك مما لا يوصف بشيء من هذه الصفات .

---

(١) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ، ص : ٨٥ .

وا ذا كان نفي هاتين الصفتين معلوما بالفطرة من النقائص والعيوب التي ينزه عنها مخلوق، كان معلوما بالفطرة أن الخالق أبعد من هذه النقائص والعيوب و أنه يمتنع اتصافه بها .

وهذا الطريق ليس هو الأول ولا الثاني ، لأن الأول مبني على أنه حي فلا بد من اتصافه بهما أو بضدهما ، والثاني مبني على أنهما من صفات كمال فيجب اتصاف الرب بهما ، وأما هذا فمبني على أن نفي هاتين الصفتين نقائص ومعايب يمتنع وصف الرب بها . (1)

ومن الطرق التي ذكرها ابن تيمية يتبين لنا بوضوح ثبوت صفتي السمع والبصر لله تبارك وتعالى .

الدليل النقلي :

هناك آيات كثيرة تفيد اثبات صفتي السمع والبصر. ومن جملة ما استدل به ابن تيمية على اثباتهما (2)، قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(3)، وقوله (ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا)(4)، وقوله (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله ، والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير)(5)، وقوله (لقد

---

(1) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ، ص : ٨٧ - ٨٨ .

(2) مجموع الفتاوى: ١٣٢/٣ و ١٣٣ - ١٣٤ .

(3) سورة الشورى : ١١ . (4) سورة النساء : ٥٨ .

(5) سورة المجادلة : ١ .
ومن عائشة رضي الله عنها قالت : " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة الى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز و جل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) الى آخر الآية ". رواه أحمد في المسند ٤٦/٦، والبخاري في كتاب التوحيد باب (وكان الله سميعا بصيرا) ٣٧٢/١٣، والنسائي في كتاب الطلاق باب الظهار ١٦٨/٦، وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٦٧/١، وابن جرير الطبري في تفسيره ٦/٢٨ .

تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا)[١] ووضع ابهامه على أذنه وسبابته على عينه.[٢] ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق. فلو كان السمع والبصر العلم لم يصح ذلك.[٣]

وبهذا الموقف خالف ابن تيمية المعتزلة البغداديين الذين ردّوا سمعه وبصره الى علمه بالمسموع والمبصر.

وممن وافق المعتزلة البغداديين على هذا ابن حزم، مع أنه لا يثبت صفة لله هي العلم، ويجعل أسماءه الحسنى انما هي أعلام محضة، فالحي والعالم والقادر ونحوه كلها أسماء أعلام لا تدل على الحياة والعلم والقدرة.[٤] يقول ابن حزم :

" ونحن نقول انه تعالى لم يزل سميعا للمسموعات، بصيرا بالمبصرات، يرى المرئيات ويسمع المسموعات، ومعنى هذا كله أنه عالم بكل ذلك، كما قال تعالى (انني معكما أسمع وأرى)[٥]، وهذا كله معنى العلم الذي لا يقتضي وجودا لمعلومات لم تزل، لكن يعلم ما يكون أنه سيكون على حقيقته، ويعلم ما هو كما هو، ويعلم ما قد كان كما قد كان ....".[٦]

---

(١) سورة النساء : ٥٨ .

(٢) رواه أبو داود بنحوه في كتاب السنة باب في الجهمية ٣٧/١٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورجاله ثقات كما رأيت في تقريب التهذيب . ورواه أيضا البيهقي في الأسماء والصفات ، ص : ٢٣٤ .

(٣) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ، ص : ٧٤ .

(٤) انظر: الفصل لابن حزم : ١٢٩/٢ .

(٥) سورة طه : ٤٦ .

(٦) الفصل لابن حزم : ١٢٤/٢ .

ويقول في موضع آخر: " ... المعنى في سميع وبصير عن الله تعالى هو المعنى في عليم، ولا فرق ...".(١)

وموقف ابن تيمية من هذه الناحية هو الصائب لأنه هو الموافق لما نطق به الكتاب والسنة ولما دل عليه صريح العقل ولما أجمع عليه جمهور المسلمين سلفا وخلفا كما قد أشار الى ذلك ابن تيمية فيما تقدم.

ومما يؤكد صحة موقف ابن تيمية ما قاله البيهقي بعد ما أورد الحديث الذي مر بنا ذكره، قال رحمه الله :

" والمراد بالاشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر، فأشار الى محلي السمع والبصر منا لاثبات صفة السمع والبصر لله تعالى ... وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر، لا على معنى أنه عليم، اذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه الى القلب، لأنه محل العلوم منا ...".(٢)

<u>السمع والبصر صفتا ذات وفعل :</u>

وابن تيمية رحمه الله في اثباته هاتين الصفتين لله عز وجل، جعلهما صفتي ذات وفعل، خلافا للكلابية والأشعرية والسالمية الذين نفوا عنه تعالى الصفات الفعلية وجعلوهما من لوازم ذاته كالحياة، وخلافا للجهمية والمعتزلة الذين نفوا عنه الصفات القائمة بذاته المقدسة.

يقول ابن تيمية :

" ... وقوله (فسيرى الله)(٣) دليل على أنه يراها بعد نزول

---

(١) الفصل لابن حزم : ١٤٤/٢ .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي : ص : ٢٣٤ .

(٣) سورة التوبة : ١٠٥ .

هذه الآية الكريمة ، والمنازع اما أن ينفى الرؤية ، واما أن يثبت رؤية قديمة أزلية . وكذلك قوله (ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون)[1]، ولام كى تقتضى أن ما بعدها متأخر عن المعلول ، فنظره كيف يعملون هو بعد جعلهم خلائف .

وكذلك (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ، وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما)[2] أخبر أنه يسمع تحاورهما حين كانت تجادل وتشتكى الى الله . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : " اذا قال الامام سمع الله لمن حمده ، فقولوا : ربنا ولك الحمد ، يسمع الله لكم "[3] فجعل سمعه لنا جزاء وجوابا للحمد ، فيكون ذلك بعد الحمد ، والسمع يتضمن مع سمع القول قبوله واجابته ، ومنه قول الخليل (ان ربى لسميع الدعاء)[4]." [5]

ومن النصوص الشرعية التى استدل بها ابن تيمية يتضح لنا أن السمع والبصر صفتان ذاتية وفعل . وهذا الموقف هو الأرجح فى هذه القضية

---

(١) سورة يونس : ١٤ .

(٢) سورة المجادلة : ١ .

(٣) وهو قطعة من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه الذى علم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم كيفية الصلاة . رواه مسلم فى كتاب الصلاة باب التشهد فى الصلاة ١/٣٠٣ - ٣٠٤ ، والنسائى فى كتاب الاقامة باب مبادرة الامام ٢/٩٦-٩٧ ، وفى كتاب التطبيق باب قوله ربنا ولك الحمد ٢/١٩٦ ، وباب نوع آخر من التشهد ٢/٢٤١ ، ولفظه كما ورد فى مسلم : " ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتلك بتلك ، واذا قال : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد ، يسمع الله لكم ، فان الله تبارك وتعالى قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : سمع الله لمن حمده ... " .

(٤) سورة ابراهيم : ٣٩ .

(٥) مجموع الفتاوى : ٦/٢٢٧ .

لموافقته لما نطق به الكتاب والسنة ولما دل عليه العقل ، فان المعقول أن السمع والبصر ليسا من الصفات اللازمة للذات كصفة الحياة ، كما أن هذا الموقف هو الموافق لمنهج السلف رضى الله عنهم وكثيرمن طوائف الخلف .

وخلاصة القول : ان موقف ابن تيمية من صفتى السمع والبصر هو اثباتهما لله تعالى حقيقة كما يليق بجلاله ، وأنهما لا يرجعان الى علمه تعالى بل صفتان زائدتان على صفة علمه ، وهما من صفات ذاته وفعله ، فسمعه وبصره صفتان قائمتان بنفسه تعالى ، وهو يسمع ويبصر بمشيئته وقدرته ، فهو لم يزل ولا يزال يسمع ويبصر .

و بعد ، فان العبد اذا أثبت السمع والبصر لله تعالى كما دل على ذلك الكتاب والسنة وشهد أنه سبحانه يسمع كل الأصوات ويبصر جميع التصرفات ، كان ذلك يبعث فى نفس العبد قوة الحياء فيستحيى من ربه أن يراه على ما يكره ، أو يسمع منه ما يكره ، أو يخفى فى سريرته ما يمقت عليه ، فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى [1] ، كما كان ذلك يدفعه الى بلوغ مقام الاحسان فى عبادته لربه عز وجل ، كما جاء فى حديث جبريل عليه السلام أنه لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان قال له :" الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ".[2]

---

(١) انظر: الفوائد لابن القيم ، ص : ٩١ .

(٢) رواه أحمد فى المسند ٤٢٦/٢، والبخارى فى كتاب الايمان باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان وعلم الساعة وبيان النبى صلى الله عليه وسلم له ١١٤/١، ومسلم فى كتاب الايمان باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ... ٣٦/١ ، و ٣٩ ، وأبوداود فى كتاب السنة باب فى القدر ٤٦٢/١٢، والترمذى فى كتاب الايمان باب ما جاء فى وصف جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم الايمان والاسلام ٥/٦-٧، من حديث عمربن الخطاب وأبى هريرة رضى الله عنهما .

(٦)

صفة الكلام

من الصفات المتفق على اثباتها بين السلف والخلف الصفاتية هي صفة الكلام . وقد اتفق الجهمية والمعتزلة على نفي قيام هذه الصفة بذاته تعالى وقالوا بحدوثها ، الا أن الجهمية امتنعوا عن تسميته تعالى متكلما [١]، طردا منهم على منهجهم في نفي الأسماء والصفات .

وأما المعتزلة فقد اختلفوا في ذلك ، فمنهم من أثبت البارى متكلما ، ومنهم من امتنع أن يثبت متكلما وقال : " لو ثبّتّه متكلما لثبّتّه متفعلا "، والقائل بهذا الاسكافى [٢] و عباد بن سليمان [٣]. [٤]

وقد وافق ابن تيمية جمهور المسلمين على اثبات هذه الصفة لله تعالى واستدل على ذلك بالدليلين : العقلي والنقلي :

الدليل العقلي :

وهناك طرق عقلية ذكرها ابن تيمية لاثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى :

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٢، التبصير في الدين ص ١٠٨، مجموع الفتاوى : ٢١٩/٦ .

(٢) أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى، أحد أئمة المعتزلة ، تنسب اليه الطائفة الاسكافية . توفى سنة ٢٤٠ هـ . انظر: فرق وطبقات المعتزلة ص ٨٣، لسان الميزان ٢٢١/٥، الأعلام ٢٢١/٦ ، معجم المؤلفين : ٢٠٠/١٠ .

(٣) عباد بن سليمان الضمرى ، من كبار المعتزلة ، كان من أصحاب هشام ابن عمرو الفوطى ، وبينه وبين عبد الله بن سعيد بن كلاب مناظرة وكان في أيام المأمون . انظر: فرق وطبقات المعتزلة ص ٨٣، لسان الميزان ٢٢٩/٣ - ٢٣٠ .

(٤) مقالات الاسلاميين : ٢٤١/١ .

(أحدها) أن الحي اذا لم يتصف بالكلام لزم اتصافه بضده كالسكوت والخرس ، وهذه آفة يتنزه الله عنها ، فتعين اتصافه بالكلام .

(الثانى) أن الكلام صفة كمال ، فان من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم . واذا كان الكلام صفة كمال ولا نقص فيه فهو ثابت لله تعالى ، اذ الكمال لا يجوز أن يفارق ذاته ، فانه لم يزل ولا يزال كاملا مستحقا لجميع صفات الكمال .

(الثالث) أن يقال : المخلوق ينقسم الى متكلم وغير متكلم ، والمتكلم أكمل من غير المتكلم ، وكل كمال هو فى المخلوق مستفاد من الخالق ، فالخالق به أحق وأولى ، اذ يمتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريا منه . ومن جعله لا يتكلم فقد شبهه بالموات والجماد الذى لا يتكلم وذلك صفة نقص اذ المتكلم أكمل من غيره ، قال تعالى فى ذم من يعبد من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر (أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا)[1] ، وقال (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا)[2] ، فعاب الصنم بأنه أبكم لا يقدر على شيء ، اذ كان من المعلوم أن العجز عن النطق والفعل صفة نقص ، فالنطق والقدرة صفة كمال .[3]

يقول ابن تيمية :

" والفرق بين هذه الطريق وبين التى قبلها أن هذه استدلال بما فى المخلوق من الكمال على أن الخالق أحق به وأنه يمتنع أن يكون مفاهيا للناقص ، والأولى أنه مستحق لصفات الكمال من حيث هى هى مع قطع

---

(١) سورة طـه : ٨٩ .

(٢) سورة الأعراف : ١٤٨ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الأصفهانية ، ص : ٧٢ - ٧٣ .

النظر عن كونها ثابتة فى المخلوقات لامتناع النقص عليه بوجه من الوجوه سبحانه وتعالى ". (١)

الدليل النقلى :

ومن الدليل النقلى الذى استدل به رحمه الله (٢)، قوله تعالى (ومن أصدق من الله حديثا) (٣)، وقوله (ومن أصدق من الله قيلا) (٤)، وقوله (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم) (٥)، وقوله (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) (٦)، وقوله (وكلم الله موسى تكليما) (٧)، وقوله (منهم من كلم الله) (٨)، وقوله (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) (٩)، وقوله (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا) (١٠)، وقوله (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (١١)، وقوله صلى الله عليه وسلم : " يقول الله تعالى : يا آدم ، فيقول: لبّيك وسعديك ، فينادى بصوت : ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار " (١٢) ،

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ، ص : ٧٣ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٣/١٣٦ - ١٣٧ و ١٣٩ .

(٣) سورة النساء : ٨٧ .

(٤) سورة النساء : ١٢٢ .

(٥) سورة المائدة : ١١٦ .

(٦) سورة الأنعام : ١١٥ .

(٧) سورة النساء : ١٦٤ .

(٨) سورة البقرة : ٢٥٣ .

(٩) سورة الأعراف : ١٤٣ .

(١٠) سورة مريم : ٥٢ .

(١١) سورة التوبة : ٦ .

(١٢) رواه أحمد فى المسند ٣/٣٢ - ٣٣، والبخارى فى كتاب الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج ٦/٣٨٢، وفى كتاب التفسير باب (وترى الناس سكارى) ١١/٤٤١، وفى كتاب الرقاق باب قول الله عزوجل (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) ١١/٣٨٨، وفى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ...) ١٣/٤٥٣، ومسلم فى كتاب الايمان باب قوله :" يقول الله لآدم : أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين" ١/٢٠١، من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه . ولفظ الحديث بتمامه :" قال النبى صلى الله عليه =

وقوله صلى الله عليه وسلم : " ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان "[1]، الى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى لا تحصى، وهذه النصوص الشرعية التى استدل بها ابن تيمية أفادت اثبات صفة الكلام لله تعالى .

الكلام صفة ذات وفعل :

ومن موقف ابن تيمية من هذه الصفة أنها صفة ذات وفعل، صفة ذات من حيث قيام هذه الصفة بذاته تعالى ، وصفة فعل من حيث كونها متعلقة بقدرته ومشيئته .

يقول رحمه الله :

" وأما السلف وأئمة السنة وكثير من أهل الكلام كالهشامية ،

= وسلم : يقول الله عزوجل يوم القيامة : يا آدم ، فيقول: لبيك وسعديك ، فينادى بصوت : ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار ، قال : يا رب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف -أراه قال- تسعمائة وتسعة وتسعين ، فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الولد ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم واحد . ثم أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الأسود ، وانى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، فكبرنا . ثم قال: ثلث أهل الجنة ، فكبرنا . ثم قال: شطر أهل الجنة ، فكبرنا . (صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ٤٤١/٨).

(١) رواه أحمد فى المسند ٢٥٦/٤، والبخارى فى كتاب الرقاق باب من نوقش الحساب عذب ٤٠٠/١١، وفى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ٤٢٣/١٣، وباب كلام الرب عزوجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٤٧٤/١٣، ومسلم فى كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ... ٧٠٣/٢، والترمذى فى صفة القيامة باب فى القيامة ٦١١/٤، وابن ماجه فى المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٦٦/١، وفى كتاب الزكاة باب فضل الصدقة ٥٩٠/١، من حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه .

والكرامية ، وأصحاب أبي معاذ التومني[١]، و زهير اليامي[٢]، وطوائف غير هؤلاء يقولون : انه " صفة ذات وفعل" هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته . وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم ، فكل من وصف بالكلام كالملائكة والبشر والجن وغيرهم فكلامهم لا بد أن يقوم بأنفسهم ، وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم .

والكلام صفة كمال، لا صفة نقص ، ومن تكلم بمشيئته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته ، فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق".[٣]

ومن الدليل النقلي الذى استدل به ابن تيمية قوله تعالى (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها ، وسبحان الله رب العالمين)[٤]، وقوله (فلما أتاها نودي من شاطئ الوادا لأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين)[٥]، وفي هذا دليل على أنه حينئذ نودي ولم يناد قبل ذلك ، وقوله تعالى

---

(١) أبو معاذ التومني - بضم التاء وسكون الواو وفتح الميم وفي آخرها نون : نسبة الى تومن - هو رأس الطائفة المعروفة بالتومنية . انظر فيما ورد عنه وعن مذهبه : اللباب في تهذيب الأنساب ٢٢٩/١، مقالات الاسلاميين ٢٠٤/١ و ٣٢٦، ٢٣٢/٢، الفرق بين الفرق ص ٢٠٣-٢٠٤، الملل والنحل ١٤٤/١ .

(٢) ذكرفي درء تعارض العقل والنقل : زهير الأثرى . انظر: ١٩/٢ و١٧٤، ٢٥/٤ . ولم أقف بعد على ترجمته ، وقد تكلم الأشعرى عن آرائه وآراء أبي معاذ التومني في مقالات الاسلاميين : ٣٢٦/١، ٢٣٢/٢ ، و ٢٣٩ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٢١٩/٦ .

(٤) سورة النمل : ٨ .

(٥) سورة القصص : ٣٠ .

(ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين)[1]، فانه وقت النداء بظرف محدود فدل على أن النداء يقع في ذلك الحين دون غيره من الظروف، وجعل الظرف للنداء لا لسمع النداء . وكذلك قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة)[2]، وقوله (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)[3]، وأمثال ذلك مما فيه توقيت بعض أقوال الرب بوقت معين . [4]

وهناك نصوص شرعية كثيرة تدل على أن الله سبحانه يتكلم اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء .

وقد خالف ابن تيمية فى موقفه هذا الجهمية والمعتزلة، فانهم يقولون : ليس له كلام قائم بذاته، بل كلامه منفصل عنه مخلوق، والمعتزلة يطلقون القول بأنه يتكلم بمشيئته، ولكن مرادهم بذلك أنه يخلق كلاما منفصلا عنه .[5]

وخالف أيضا الكلابية والأشعرية والسالمية، فانهم يقولون : انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته بل كلامه لازم لذاته كلزوم الحياة لذاته .[6]

والفرق بين الكلابية ومن وافقهم وبين المعتزلة، أن الكلابية ومن وافقهم جعلوا الكلام صفة ذات، من غير أن يتعلق بمشيئته وقدرته،

---

(١) سورة القصص : ٦٥ .

(٢) سورة البقرة : ٣٠ .

(٣) سورة البقرة : ٣٤، سورة الاسراء : ٦١، سورة الكهف : ٥٠، سورة طه : ١١٦ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى : ١٢/١٣٠ - ١٣١ .

(٥) نفس المرجع : ٦/٢١٩ .

(٦) انظر: نفس المرجع : ٦/٢١٩، ١٢/١٣١ .

وأما المعتزلة فجعلوا الكلام صفة فعل، لكن الفعل عندهم هو المفعول المخلوق بمشيئته وقدرته.[1]

ويظهر مما سبق ذكره أن موقف ابن تيمية من هذه الصفة موقف وسط اذ جعل صفة الكلام صفة ذات وفعل، فهو يتكلم بمشيئته وقدرته بكلام قائم بذاته.

وموقف ابن تيمية رحمه الله هو الأرجح فى هذه القضية لموافقته لما نطق به الكتاب والسنة ودل عليه العقل، ولموافقته لما أجمع عليه السلف وأئمة السنة وكثير من أهل الكلام.

وقصارى القول: ان موقف ابن تيمية من صفة الكلام هو اثباتها لله تعالى حقيقة كما يليق بجلاله، وأنها صفة ذات وفعل، فالله سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته بكلام قائم بذاته.

واثبات صفة الكلام لله عزوجل كما يقول به ابن تيمية وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها وكثير من الخلف الصفاتية فيه تعظيم للرب تبارك وتعالى وتوحيد له. تعظيم له لأن ذلك اثبات صفة الكمال، وتوحيد له لأن نفى هذه الصفة يقتضى تعطيل ألوهيته ورسالته، فان من لا يتكلم و لا يقوم به كلام هو كالجماد، فلا يستحق الألوهية ولا العبادة، ويقتضى تعطيل رسالته لأن الرسل انما بعثوا ليبلغوا كلامه، فاذا لم يكن ثم كلام فماذا يبلغ الرسل ؟ وفى ذلك يقول ابن القيم رحمه الله:

" اذا ثبتت النبوات والرسالة ثبتت صفة التكلم والتكليم، فان حقيقة الرسالة: تبليغ كلام المرسل، فاذا لم يكن ثم كلام فماذا يبلغ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٦/٢١٩.

الرسول ؟ بل كيف يعقل كونه رسولا ؟ ولهذا قال غير واحد من السلف : من أنكر أن يكون الله متكلما ، أو يكون القرآن كلامه ، فقد أنكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، بل ورسالة جميع الرسل، التي حقيقتها : تبليغ كلام الله تبارك وتعالى ...".(١)

والخلاصة من هذا المبحث : فان ابن تيمية رحمه الله أثبت جميع الصفات السبع المتفق على اثباتها مع مخالفة في بعض الأمور لطائفة من الخلف المثبتة للصفات ، ولكن الموقف الذي اتخذه ابن تيمية من هذه الصفات هو الأرجح والحق لموافقته لما دل عليه الكتاب والسنة ولما قال به السلف رضي الله عنهم.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم : ٧٠/١ .

المبحث الثاني : موقفه من الاختلاف في كلام الله تعالى .

اختلف الناس في مسألة كلام الله تعالى اختلافا كثيرا وتنازعوا فيها نزاعا شديدا . وليس عجيبا اذا أولى ابن تيميـــة رحمه الله هـذه المسألة عناية خاصة وأفاض في بحثها ، فان هذه المسألة فيها من التفريع ما امتازت به على سائر مسائل الصفــــات .(١)

والطوائف الكبار في هذه المسألة - كما ذكر ابن تيميـة - نحو ست فرق :(٢)

(١) المتفلسفة والصابئة :

قالوا : ان كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني، اما من العقل الفعال واما من غيره . وهؤلاء زعموا أن الله انما كلم موسى من سماء عقله ، أي بكلام حدث في نفسه لم يسمعه من خارج .(٣)

وهذا القول في رأي ابن تيمـيـة أبعد عن الاسلام (٤) ، وهـو مناقض للنصوص الصريحة من الكتاب والسنة التي تدل على تفضيله تعالى لموسى بالتكليـــــم ، وعلى التفريق بين الايحـــاء وبين التكليــم الذي هو نوع من الايحاء، كما قال تعالى : (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده - الى قوله - وكلم الله موسى تكليما)(٥) ،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٥١٨/٦ .

(٢) نفس المرجع : ٤٢/١٢ .

(٣) انظر: نفس المرجع : ٥٤٠/٦، ٦٦١/٧ - ٦٦٢، ٤٢/١٢ و١٥٦ و١٦٣ و٢٤٤ و٥٥٦ و٥٩٥، جامع الرسائل: ١٦٢/١، مجموعة الرسائل والمسائـــل: ٣٨/٣، منهاج السنة النبوية : ٢٢١/١، التسعينية: ص ٤٣ و ١٢١ ، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة : ٢٨٨/٢ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٤٢/١٢ و١٦٣ .

(٥) سورة النساء : ١٦٣ - ١٦٤ .

وقال تعالى (وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء)(١). (٢)

ويقول ابن تيمية :

" وعلى قولهم : فجميع الخلق يكلمهم تكليما كما كلم موسى، وكل كلام صادق تكلم به ذو نفس صافية فهو كلام الله كما أن القرآن كلام الله، فيلزمهم أن كل ما تكلم به الأنبياء فمن دونهم من الخبر الصادق والأمر بالخير هو كلام الله، وأن ذلك كله من نوع القرآن، وأن يكون القرآن كلام البشر، ولا فرق عندهم بين قول البشر وقول الله، بل يلزمهم أن جميع ما يتكلم به البشر كلام الله، من أجل أن ذلك يفيض على قلوب البشر، حتى الكذب والكفر، فان جهة الافاضة واحدة فى الجميع ...".(٣)

وقول هذه الطائفة فى وجهة نظر ابن تيمية من جنس قول فيلسوف قريش الوليد بن المغيرة الذى كان يقول (ان هذا الا قول البشر)(٤) لأن حقيقة قولهم : ان القرآن قول البشر كغيره، لكنه أفضل من غيره، لأنه صادر عن نفس صافية.(٥)

(٢) الجهمية والمعتزلة :

قالوا : كلام الله مخلوق، خلقه فى بعض الأجسام، فمن ذلك الأجسام ابتدأ، لا من الله، ولا يقوم - عندهم - بذاته تعالى كلام . و زعموا أن

---

(١) سورة الشورى : ٥١ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٥٤٠/٦، مجموعة الرسائل والمسائل : ٩٦/٣ .

(٣) جامع الرسائل : ١٦٣/١ .

(٤) سورة المدثر: ٢٥ .

(٥) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٤/١٢ و١٤٤، التسعينية : ص ٤٣ و١٢١.

الله تعالى انما كلم موسى بكلام مخلوق في الشجرة.(١)

وقولهم في وجهة نظر ابن تيمية أيضا مخالف للكتاب والسنة واجماع السلف، ومناقض لأقوال الأنبياء ونصوصهم(٢)، وهؤلاء بنوا قولهم هذا على أصلهم: أن الرب لا يقوم به صفة من الصفات، لأن ذلك - بزعمهم - يستلزم التجسيم والتشبيه الممتنع، اذ الصفة عرض والعرض لا يقوم الا بجسم.(٣)

وقد اعترض ابن تيمية على هذه الطائفة من وجوه كثيرة:

(أحدها) أن المستقر في فطر الناس وعقولهم ولغاتهم أن المتكلم بالكلام لا بد أن يقوم به الكلام، فلا يكون متكلما بشيء لم يقم به بل هو قائم بغيره، كما لا يكون عالما بعلم قائم بغيره ولا حيا بحياة قائمة بغيره.(٤)

(الثاني) أن الأسماء المشتقة من المصدر انما يسمى بها من قام به مسمى المصدر، فيسمى بالحي من قامت به الحياة، وبالعالم من قام به العلم، وبالقادر من قامت به القدرة، فأما من لم يقم به مسمى المصدر

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٢١٩/٦ و٥٣٩، ٦٦٢/٧، ٤٨/١٢ و١٦٣ و٢٤٥ و٣٠٩ و٥٠٢ و٥٢٤ و٥٣٥، جامع الرسائل: ١٥٦/١، مجموعة الرسائل والمسائل ٤٢/٣، منهاج السنة النبوية: ٢٢٢/١، التسعينية: ص ٤٢ و١٢١. وانظر أيضا: مقالات الاسلاميين: ٢٤١/١، الابانة للأشعري: ص ٥٤ - ٥٥، شرح الأصول الخمسة: ص ٥٢٨، الفرق بين الفرق: ص ١١٤، الفصل ٥/٣، التبصير في الدين: ص ٦٤ و١٠٨، الملل والنحل: ٤٥/١، الارشاد للجويني: ص ١٠١ و١٠٩، المواقف للايجي: ص ٢٩٣ - ٢٩٤، شرح العقيدة الطحاوية: ص ١٨٠، مختصر الصواعق المرسلة ٢٨٨/٢ - ٢٩٠.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٥٣٩/٦، ٤٨/١٢.

(٣) انظر: نفس المرجع: ٤٨/١٢، ١٤٨/١٧ و ١٤٩.

(٤) انظر: التسعينية: ص ٤٧.

فيمتنع أن يسمى باسم الفاعل ونحوه من الصفات. وهذا كما أنه ثابت في الأسماء المشتقة فكذلك في الأفعال، مثل تكلم وكلم، ويتكلم ويكلم، وعلم ويعلم، وسمع ويسمع، سواء قيل: ان الفعل مشتق من المصدر أو المصدر مشتق من الفعل، لا نزاع بين الناس أن فاعل الفعل هو فاعل المصدر. فاذا قيل: كلم أو علم، أو تكلم، أو تعلم، ففاعل التكليم والتعليم هو المكلم والمعلم، وكذلك فاعل التكلم والتعلم هو المتكلم والمتعلم. فالفاعل هو الذي قام به المصدر الذي هو التكليم والتعليم والتكلم والتعلم. فاذا قيل: تكلم فلان، وكلم فلان فلانا، ففلان هو المتكلم والمكلم. فقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما)[1]، وقوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات)[2]، و قوله (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه)[3] يقتضي أن يكون الله هو المكلّم. فكما يمتنع أن يقال: هو متكلم بكلام قائم بغيره، يمتنع أن يقال: كلم بكلام قائم بغيره. وقد أكد الله تكليمه لموسى بالمصدر فقال (تكليما)، والتوكيد بالمصدر كما قال غير واحد من العلماء ينفي المجاز، لئلا يظن أنه أرسل اليه رسولا أو كتب اليه كتابا، بل كلمه منه اليه.[4]

(الثالث) أن الله سبحانه لو خلق كلاما في الشجرة أو في الهواء للزم أن يكون ذلك المخلوق هو القائل لموسى (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري)[5]، وهذا ممتنع لا يجوز أن

---

(١) سورة النساء : ١٦٤ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٣ .

(٣) سورة الأعراف : ١٤٣ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى : ٥١٢/١٢ ـ ٥١٥ .

(٥) سورة طـه : ١٤ .

يكون هذا الا لرب العالمين . واذا كان كلاما لرب العالمين فلم يكن مخلوقا منفصلا عنه ، بل قائم به لأنه صفة من صفاته.[1]

(الرابع) أن الله سبحانه لوجاز أن يتصف بما يخلقه في غيره من الكلام لكان كل ما تنطق به الجمادات به - اذا أنطقها الله - كلام الله ، كما قال تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)[2]، وقال تعالى (حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء)[3]، وقال تعالى (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق)[4].

وأيضا فقد ثبت أن الله خالق أفعال العباد، فكل ناطق فالله خالق نطقه وكلامه . فلوكان الله متكلما بما يخلقه من الكلام ، للزم أن يكون كل كلام في الوجود كلامه ، حتى كلام ابليس والكفار وغيرهم . وهذا الالزام صرح به الاتحادية من غلاة الجهمية ، كابن عربي الطائي صاحب " الفصوص " و " الفتوحات المكية " وأمثاله ، يقولون :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه.[5]

(الخامس) أن الله سبحانه اذا خلق صفة من الصفات في محل، كانت الصفة صفة لذلك المحل، ولم تكن صفة لله . فاذا خلق الله حركة

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٥١٩/٦، ٤٠/١٢ - ٤١، التسعينية : ص ٤٤ .

(٢) سورة يس : ٦٥ .

(٣) سورة فصلت : ٢٠ - ٢١ .

(٤) سورة ص : ١٨ .

(٥) انظر: مجموع الفتاوى : ٥١٩/٦، ١٤٩/١٢ و٥١٠ - ٥١١، ٨٣/١٧ - ٨٤، جامع الرسائل: ١٥٦/١ - ١٥٧، منهاج السنة النبوية : ٢٢٢/١ - ٢٢٣، درء تعارض العقل والنقل: ٢٥٢/٢، التسعينية : ص ٤٤ .

أولونا فى بعض الأجسام كان ذلك الجسم هو المتحرك المتلون. وكذلك اذا خلق حياة أو علما أو قدرة أو ارادة أو كلاما فى محل، كان ذلك المحل هو الحي العالم القادر المريد المتكلم، ولم يكن المعنى الذى خلقه فى ذلك المحل صفة لله، وانما يتصف الله بما يقوم به من الصفات لا بما يخلقه فى غيره. فكما أنه تعالى لا يجوز أن يكون متصفا بما يخلقه فى غيره من الصفات، فكذلك لا يجوز أن يكون كلامه ما يخلقه فى غيره من الكلام، ولا يجوز أن يكون متكلما بذلك الكلام.[1]

هذه جملة من الاعتراضات التى وجهها ابن تيمية الى هذه الطائفة. وبيّن رحمه الله أن حقيقة مذهب هؤلاء تقتضى تعطيل الرسالة، فان الرسل انما بعثوا ليبلغوا كلام الله، بل تقتضى تعطيل التوحيد، فان من لا يتكلم ولا يقوم به علم ولا حياة هو كالموات، بل من لا تقوم به الصفات فهو عدم محض، اذ ذات لا صفة لها انما يمكن تقديرها فى الذهن لا فى الخارج، كتقدير وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص[2]. وهم مخالفون للرسل موافقون لفرعون لأن فرعون كان يجحد الخالق وكان ينكر أن يكون الله كلم موسى كما قال (ما علمت لكم من اله غيرى)[3]، وقال (يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا)[4]. [5]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٤٠/١٢ـ٤١ و٥١١ـ٥١٢، منهاج السنة النبوية ٢٢٢/١.

(٢) مجموع الفتاوى: ٥١٦/١٢.

(٣) سورة القصص: ٣٨.

(٤) سورة غافر: ٣٦ـ٣٧.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ١٧٤/١٢، ١٧٣/١٣ و ١٨٥، ٢٠٩/١٦ـ٢١٠، مجموعة الرسائل الكبرى: ١٣٩/١.

(٣) <u>الكلابية والأشعرية</u>:

قالوا: ان كلام الله معنى واحد قديم قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا. ومنهم من قال: هو عدة معان. (١)

وهذا القول أيضا مجانب للصواب عند ابن تيمية. وقد اعترض رحمه الله على أصحاب هذا القول من وجوه كثيرة:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٦٢/٦ و٢١٩ و ٥٢٢ و ٥٣٩، ٦٦٢/٧، ٤٩/١٢، و١٢١ـ١٢٢ و١٦٥ و ١٧٨ و ٢٤٣ و ٥٢٦ و ٥٥٧ و٥٨٣، درء تعارض العقل والنقل: ٢٦٧/١، منهاج السنة النبوية: ٢٢١/١، مجموعة الرسائل والمسائل: ٤٢/٣ـ٤٣، التسعينية: ص ٦١ و١٢٠ـ١٢١.
وانظر أيضا: مقالات الاسلاميين: ٢٣٣/٢، الفصل: ٥/٣، أصول الدين للبغدادي: ص ١٠٦ـ١٠٨، الارشاد للجويني: ص ١٠٤ و١٣٦، التبصير في الدين: ص ١٦٧، المواقف للايجي: ص ٢٩٤، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٠.
وقد فرق ابن القيم بين مذهب الكلابية والأشعرية في كلام الله مع وجود الاتفاق بينهما، وهذا الفرق يتمثل في أمرين:
(أحدهما): أن الكلابية قالوا: انه أربعة معان في نفسه: الأمر والنهي والخبر والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم. والأشعرية قالوا انه معنى واحد، وهو عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل منها واحد. وهو عين التوراة والانجيل والقرآن والزبور. وكونه أمرا ونهيا وخبرا واستخبارا صفات لذلك المعنى الواحد لا أنواع له، وكونه قرآنا وتوراة وانجيلا تقسيما للعبارات عنه لا لذاته، بل اذا عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا، والمعنى واحد.
(الثاني): أن الكلابية قالوا: ان الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله، وأما الأشعرية فقالوا: انها عبارة عنه. وعلى قول الفريقين فالحروف والأصوات عندهم مخلوقة. انظر: مختصر الصواعق المرسلة: ٢٩٠/٢ ـ ٢٩١.
ونقل الأشعري عن ابن كلاب انه قال: ان كلام الله معنى واحد، لا ينقسم ولا يتجزأ، ولا يتبعض ولا يتغاير. انظر: مقالات الاسلاميين: ٢٣٣/٢.

(أحدها) جمهور العقلاء من أهل السنة وغيرهم قالوا : ان فساد هذا القول معلوم بضرورة العقل، كما هو مخالف للكتاب والسنة. فانا نعلم أن التوراة اذا عربت لم تكن هى القرآن، بل معانيها ليست هى معانى القرآن، ونعلم أن القرآن اذا ترجم بالعبرانية لم يصر هو التوراة المنزلة على موسى، ونعلم أن معنى آية الكرسى ليس هو معنى آية الدين، ولا معنى (قل هو الله أحد)[1] هو معنى (تبت يدا أبى لهب وتب)[2]، وقالوا، اذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة.

وهذا الالزام الذى ألزمهم به جمهور العقلاء ليس لهم عنه جواب عقلى، وقد اعترف بذلك أئمة هذا القول كالآمدى وغيره.[3]

(الثانى) أن المعنى المجرد لا يسمع، وقد ثبت بالنص والاجماع أن كلام الله مسموع منه كما سمعه موسى بن عمران. ولهذا كان محققو هذا القول يقولون : انه لا يسمع، ولكن طائفة منهم زعمت أنه يسمع بناء على قولهم : ان السمع يتعلق بكل موجود، والرؤية بكل موجود، والشم والذوق واللمس بكل موجود. وجمهور العقلاء يقولون : ان فساد هذا معلوم بالضرورة من العقل. وهذا من أعظم ما أنكره الجمهور على أبى الحسن الأشعرى ومن وافقه على مذهبه.[4]

---

(١) سورة الاخلاص: ١ .

(٢) سورة المسد: ١ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٦٤/٦ و٥٢٢ و٥٣٩، ٣٠١/١٢ـ٣٠٢، ٧١/١٧ و١٤٧، درء تعارض العقل والنقل: ٢٦٧/١، مجموعة الرسائل والمسائل: ٩٢/٣.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ٥٣٩/٦ .

(الثالث) أن الله سبحانه وتعالى قد فرق بين تكليمه لموسى عليه السلام وايحائه الى غيره من النبيين ، وفرق بين التكليم ايحاء وبين التكليم من وراء حجاب ، كما قال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده - الى قوله - وكلم الله موسى تكليما)[١]، وقال (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء)[٢]. فلو كان الكلام معنى واحدا لكان الجميع ايحاء ولم يكن هناك تكليم يتميز على ذلك ، ولا متنع أن يكون الرب تعالى مناديا لأحد، اذ المعنى القائم بالنفس لا يكون نداء، وقد أخبر الله تعالى بندائه فى القرآن فى عدة مواضع .[٣]

(الرابع) هؤلاء يقولون : ان تكليمه تعالى لموسى عليه السلام ليس الا خلق ادراك فهم به موسى ذلك المعنى . فيقال لهم : أفهم موسى كل الكلام أم بعضه ؟ ان كان فهمه كله فقد سمع جميع كلام الله ، وكلامه متضمن لجميع خبره وأمره فيلزم أن يكون عالما بجميع أخبار الله وأوامره ، وهذا معلوم الفساد بالضرورة . وان كان فهم بعضه فقد تعدد كلام الله وتبعض ، وعندهم كلام الله لا يتعدد ولا يتبعض .[٤]

(الخامس) لو كان الكلام مجرد المعانى ، لكان المخلوق أكمل من الخالق ، فانا نعلم أن الحي أكمل من الميت وأن العالم أكمل من

---

(١) سورة النساء : ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) سورة الشورى : ٥١ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٥٤٠/٦، ٥٠/١٢، ١٥٤/١٧، مجموعة الرسائل والمسائل : ٩٦/٣ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٢٣/٦، ٤٩/١٢-٥٠، ١٥٤/١٧، مجموعة الرسائل والمسائل : ٩٦/٣ - ٩٧ .

الجاهل والقادر أكمل من العاجز، والناطق أكمل من الأخرس، فنحن نعلم أن الناطق بالمعاني والحروف أكمل ممن لا يكون ناطقا الا بالمعاني دون الحروف. واذا كان الرب يمتنع أن يوصف بصفات النقص ويجب اتصافه بصفات الكمال، ويمتنع أن يكون للمخلوق من صفات الكمال ما لا يكون للخالق، امتنع أن يكون موصوفا بالكلام الناقص وأن يكون المخلوق أكمل منه في اتصافه بالكلام التام، ولهذا كان موسى مفضلا على غيره بتكليم الله اياه، كلمه كلاما سمعه منه، فكان تكليمه له بصوته أفضل ممن أوحى الى قلبه معاني مجردة لم يسمعها بأذنه.(١)

(السادس) لو لم يكن الكلام الا معنى مجردا، لكان نصف القرآن كلام الله ونصفه ليس كلام الله، فالمعنى كلام الله والألفاظ ليست كلام الله، وهذا خلاف المعلوم من دين المسلمين. ولهذا يفرقون بين القرآن الذي هو كلام الله وبين ما أوحاه الى نبيه من المعاني المجردة، ويعلمون أن جبريل نزل عليه بالقرآن كله، ليس لجبريل ولا لمحمد منه الا التبليغ والأداء. وقد أضافه الله الى جبريل تارة والى محمد تارة بلفظ الرسول ليبين أنه انما بلغه وأداه، لا أنه أنشأه وابتدأه، لا لفظه ولا معناه، كما قال تعالى (انه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين)(٢) فهذا جبريل، وقال (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون)(٣) فهذا محمد. وضمير الهاء في قوله تعالى المذكور عائد الى القرآن، والقرآن اسم يتناول اللفظ والمعنى جميعا، ولهذا اذا فسره المفسر وترجمه المترجم لم يقل لتفسيره وترجمته : انه

---

(١) مجموع الفتاوى : ٦/٥٤٠ـ٥٤١ .

(٢) سورة التكوير : ١٩ـ٢١ .

(٣) سورة الحاقة : ٤٠ـ٤١ .

قرآن ، بل اتفق المسلمون على جواز مسّ المحدث لكتب التفسير، وعلى عدم جواز الصلاة بتفسيره ، وكذلك بترجمته بغير العربية عند عامة أهل العلم .

وكذلك اذا قدر أنا ترجمنا القرآن ترجمة جائزة لم يقل : ان ترجمته قرآن ولم نسمها قرآنا . فلو كان القرآن انما كان كلام الله لأجل المعنى فقط ، ولفظه ونظمه ليس كلام الله ، بل سمى بذلك لدلالتـــــه على كلام الله لكان ما شارك هذا اللفظ والنظم من الدلالة مشاركا له فى الاسم والحكم ، فكان يجب تسميته قرآنا واثبات أحكام القرآن له .(١)

الى غير ذلك من الاعتراضات التى وجهها ابن تيمية اليهم .

وهكذا نرى ابن تيمية فى هذه المسألة أفاض فى نقد الكلابية والأشعرية ، وهؤلاء - فى وجهة نظره - وان كان قولهم أقرب من قولـــــى الطائفتين السابقتين الى قول السلف من جهة أنهم يثبتون لله كلاما قائما بذاته ، فانهم قد غلطوا فى جعلهم كلام الله مجرد المعنى وأنه تعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته . وقولهم هذا انما هو مبنى على المقدمة التى تلقوها عن المعتزلة ، وهى : أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث أوما لا يسبق الحوادث فهو حادث . فجعلوا الكلام قديما لازما لذات الرب كقدم الحياة ولزومهـــا لذاته ، ليس هو متعلقا بمشيئته وقدرته ، اذ أنه لوكان متعلقا بمشيئتـــه وقدرته لزم أن يكون حادثا ، وحينئذ فيلزم أن يكون مخلوقا ، أو قائمـــا بذات الرب فيلزم قيام الحوادث به .(٢)

وقصارى القول ، فان ما ذكره ابن تيمية سابقا يبين لنا بطلان قول الكلابية والأشعرية فى كلام الله حيث جعلوه مجرد المعنى سواء جعلوه

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٦/٥٤١-٥٤٣ .

(٢) انظر: نفس المرجـــع : ١٢/١٤٢ و١٤٩ و١٥٠ .

معنى واحدا أوجعلوه عدة معـان ، لأن قولهم مخالف للنصوص الشرعيـة من الكتاب والسنة ومخالف للمعقول أيضا .

(٤) السالميـــة :

قالوا : ان كلام الله حروف وأصوات قديمة لازمة لذاته ، لا يتعلق بمشيئته وقدرته ، وان الباء والسين والميم - في البسملة مثلا - موجودة مقترنة بعضها ببعض معا أزلا وأبدا ، لم تزل ولا تزال قائمة بذاته ، لـم يسبق منها شيء شيئا . (١)

وهؤلاء كما وافقوا الكلابية والأشعرية في أنه تعالى لا يتكلـم بمشيئته وقدرته ، وافقوهم أيضا في أن تكليم الله تعالى لعباده ليـس الا مجرد خلق ادراك فيهم لما كان موجودا في الأزل. (٢)

وقول هذه الطائفة أيضا - في وجهة نظر ابن تيمية - مما هو معلوم الفساد. وقد بيّن رحمه الله فساده من عدة وجوه :

(أحدها) أن الحروف المتعاقبة شيئا بعد شيء يمتنع أن يكـون كل منها قديما أزليا وان كان جنسها قديما ، لامكان وجود كلمات لا نهاية لها وحروف متعاقبة لا نهاية لها ، وامتناع كون كل منها قديما أزليا ، فان المسبوق بغيره لا يكون أزليا . (٣)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٢٣/٦، ٦٦٢/٧، ٥١/١٢ و١٦٦ و١٧٤ و٣٠٢ و٥٨٩ و٥٩٤، ٥٣/١٧ و٨٧ ، مجموعة الرسائل والمسائل : ٤٣/٣-٤٤، منهـاج السنة النبوية : ٢٢١/١ .
وانظر أيضا : مختصر الصواعق المرسلة :٢٩٣/٢، الارشاد للجويني : ص ١٢٨، المواقف للايجي : ص ٢٩٣ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٢٣/٦، ١٦٦/١٢، ٨٧/١٧ .

(٣) نفس المرجع : ٥١/١٢ ، مجموعة الرسائل والمسائل: ٤٤/٣ .

(الثانى) ان القول بأن كلامه حروف وأصوات قديمة لازمة لذاته ليس له قدرة ولا مشيئة، كان هذا - مع ما يظهر فيه من تناقضه وفساده فى المعقول - لا كمال فيه، اذ لا يتكلم بمشيئته وقدرته. فانه من المعلوم أن من يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن يتكلم لا بمشيئته ولا قدرته. (١)

(الثالث) ان قولهم، مع مكابرته للعقل، مخالف أيضا للنصوص الشرعية التى تدل على أنه يتكلم متى شاء اذا شاء. كما قال تعالى (فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها)(٢)، وقال تعالى (فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين)(٣). وهذا يدل على أنه انما نادى موسى حين أتى، لم يكن هذا النداء موجودا قبل ذلك، فضلا من أن يكون قديما أزليا. وقال تعالى (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين)(٤)، وهذا يدل على أنه لما أكلا منها ناداهما، لم يناد هما قبل ذلك. وقال تعالى (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين)(٥)، وقال (ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون)(٦)، فجعل النداء فى يوم معين، وذلك اليوم

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١٨/٢٣٤ .

(٢) سورة النمل : ٨ .

(٣) سورة القصص : ٣٠ .

(٤) سورة الأعراف : ٢٢ .

(٥) سورة القصص : ٦٥ .

(٦) سورة القصص : ٦٢ و ٧٤ .

حادث كائن بعد أن لم يكن، وهو حينئذ يناديهم، لم يناديهم قبل ذلك.(١)

ومما تقدم ذكره يظهر لنا أيضا بطلان قول السالمية الذين جعلوا كلام الله أنه حروف وأصوات قديمة لا تتعلق بمشيئته وقدرته.

(٥) الكرامية والهشامية :

قالوا : ان كلام الله حروف وأصوات قائمة بذاته، تتعلق بمشيئته وقدرته، لكن ذلك حادث بعد أن لم يكن، وعندهم أن الله تعالى فى الأزل لم يكن متكلما الا بمعنى القدرة على الكلام.(٢)

وقول هذه الطائفة أيضا فى رأى ابن تيمية لم يوفق الى الصواب. ومن جملة ما اعترضه عليهم :

(أحدها) أن هذا القول يلزم منه وصف الله سبحانه وتعالى بالكمال بعد النقص، وأنه صار محلا للحوادث التى كمل بها بعد نقصه، كما يلزم حدوث الحادث بلا سبب.(٣)

(الثانى) أن قولهم هذا فيه تشبيه الخالق بالمخلوق الذى ينتقل من النقص الى الكمال، فان هذا القول جعل الخالق متكلما بعد

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٢٣/٦ - ٢٢٤، منهاج السنة النبوية : ٢٢٤/١.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٢٥/٦ و٥٢٤ ، ٦٦٢/٧، ٥٢/١٢ و١٧٢ و١٧٣ - ١٧٣ و٥٩٣، ١٥٤/١٣ و ٤٥٥ ، منهاج السنة النبوية : ٢٢١/١، مجموعة الرسائل والمسائل : ٤٤/٣.
وانظر أيضا : الفرق بين الفرق : ص ٢١٩، الارشاد للجوينى: ص ١٠١ ، التبصير فى الدين : ص ١١٤، مختصر الصواعق المرسلة : ٢٩٢/٢، شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٨٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٢٥/٦، ٢٣٣/١٨، منهاج السنة النبوية : ٢٢٥/١.

أن لم يكن . (١)

(الثالث) أن قولهم فيه تناقض، لأنه في الأزل عندهم لم يكن يمكنه أن يتكلم بمشيئته، ومن لم يكن يمكنه أن يتكلم بمشيئته في الأزل امتنع أن يكون قادرا في الأزل .(٢)

والحاصل أن جميع الطوائف التي سبق ذكرها في وجهة نظر ابن تيمية لم توفق الى الصواب في مذهبها في كلام الله تعالى. واذا كان الأمر كذلك، فما هو المذهب الحق في هذه المسألة ؟

(٦) سلف الأمة وأئمتها :

ومذهب سلف الأمة وأئمتها في هذه المسألة هو: " أن الله تعالى لم يزل متكلما اذا شاء بكلام يقوم به، وليس كلامه مخلوقا بائنا عنه، وهو يتكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وان لم يكن نفس الصوت المعين قديما ".(٣)

وهذا المذهب في رأي شيخ الاسلام ابن تيمية هو الحق في مسألة كلام الله تعالى، لأنه هو الموافق للشرع والعقل .

وممن ذكر أن هذا المذهب هو مذهب السلف والأئمة : ابن قيم الجوزية(٤)، و شارح العقيدة الطحاوية(٥).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٣٣/١٨ .

(٢) انظر: نفس المرجع : ٢٣٧/١٨ - ٢٣٨ .

(٣) انظر: نفس المرجع : ٤٦٦/٥ - ٤٦٧، ٢١٩/٦ و٥١٨، ٦٦١/٧ - ٦٦٢، ٣٧/١٢ - ٣٨ و٥٢ - ٥٣ و ١٧٣ و ٢٤٣ - ٢٤٤ و ٥٩٨، منهاج السنة النبوية : ٢٢١/١ و ٢٢٤، مجموعة الرسائل والمسائل: ٤٤/٣ - ٤٥، شرح العقيدة الأصفهانية ص ٥ - ٧ ، التسعينية : ص ١٢١، مجموعة الرسائل الكبرى : ٩٩/١ - ١٠٠ و ٣٠٠ - ٣٠١ و ٤١٩ .

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة : ٢٩٣/٢ - ٢٩٨ .

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٨٠ .

وخلاصة القول ، فانه اختلف الناس في مسألة كلام الله تعالى اختلافا كثيرا ، وقد اختار ابن تيمية في هذه المسألة مذهب السلف والأئمة ورجحه على غيره من سائر المذاهب . وهذا الموقف الذي اتخذه رحمه الله هو الحق ، لأن مذهبهم هو الموافق لما نطق به الشرع ودل عليه العقل .

الفصل الخامس

موقفه من الصفات المختلف في اثباتها

تبين لنا من الفصل السابق موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الصفات السبع التى اتفق السلف والخلف الصفاتية على اثباتها ، حيث وافق رحمه الله السلف واتبع منهجهم فى كل ما يتعلق بهذه الصفات .

وقد تقدم أن أشرت الى أن صفاته عزوجل ، التى أثبتها لنفسه فى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لم تقتصر على الصفات السبع المذكورة ، بل هناك صفات أخرى كثيرة ، ولكنها اختلف فى اثباتها بين السلف والخلف .

ولما كانت هذه الصفات ، المختلف فى اثباتها بين السلف والخلف ، منها ما يتعلق بذاته تعالى خاصة ، ومنها ما يتعلق بمشيئته وقدرته ، أرى توزيع هذا الفصل الى مبحثين : مبحث فى الصفات الذاتية، ومبحث فى الصفات الفعلية .

المبحث الأول : الصفات الذاتية .

هناك صفات ذاتية كثيرة أثبتها الله تعالى فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد أثبت السلف رضى الله عنهم هذه الصفات على ظاهرها ، كما أثبتها الله ، كما يليق بجلاله بدون تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل .

قال الحافظ الصابونى :

" ان أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة - حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم - يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم - عز و جل - بصفاته التى نطق بها وحيه وتنزيله أو شهدله بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ماوردت الأخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ، ويثبتون له جل جلاله منها ماأثبت لنفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون : انه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه فى قوله - عز من قائل - : (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ)[1] ، ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله ، و لا يكيفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدى المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله ،...". (٢)

وقال أبو الحسن الأشعرى :

" جملة ماعليه أهل الحديث والسنة : الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، لا يردون من ذلك شيئا ، وأن الله - سبحانه - واحد فرد صمد ، لا اله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمدا عبده ورسوله - الى أن قال - وأن الله - سبحانه - على عرشه ، كما قال (الرحمن على العرش استوى)[3] ، وأن له يدين بلا كيف ، كما قال (خلقت بيدىّ)[4] ، وكما قال

---

(١) سورة ص : ٧٥ .

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابونى ، ص ٣ - ٤ .

(٣) سورة طه : ٥ .

(٤) سورة ص : ٧٥ .

(بل يداه مبسوطتان)[١]، وأن له عينين بلا كيف ، كما قال (تجري بأعيننا)[٢]، وأن له وجها ، كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)[٣]».[٤]

فيتضح من كلام الصابوني والأشعري أن السلف كانوا يثبتون الصفات الذاتية التي أثبتها الله تعالى في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وأما الجهمية والمعتزلة - نفاة الصفات - فمنهجهم هو نفي هذه الصفات ، كما نفوا الصفات السبع .

وأما الخلف الصفاتية ، فأئمتهم المتقدمون كابن كلاب ، والحارث المحاسبي[٥]، والأشعري ، والباقلاني[٦] وغيرهم يثبتون هذه الصفات في الجملة ، وكذلك سائر طوائف الاثبات كالسالمية والكرامية

---

(١) سورة المائدة : ٦٤ .

(٢) سورة القمر : ١٤ .

(٣) سورة الرحمن : ٢٧ .

(٤) مقالات الاسلاميين : ٣٢٠/١ .

(٥) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري . توفي سنة ٢٤٣ هـ . انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ٥٧/٢ - ٥٨، تهذيب التهذيب ١٣٤/٢ - ١٣٦، طبقات الصوفية ص ٥٦ - ٦٠، شذرات الذهب ١٠٣/٢، الأعلام ١٥٣/٢، معجم المؤلفين ١٧٤/٣ .

(٦) أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري ، ثم البغدادي ، المعروف بالباقلاني، ولد سنة ٣٣٨، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ. انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ٢٦٩/٤ - ٢٧٠، البداية والنهاية ٣٥٠/١١ - ٣٥١، شذرات الذهب ١٦٨/٣ - ١٧٠، تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص : ٢١٧ - ٢٢٦، اللباب في تهذيب الأنساب ١١٢/١ ، الأعلام ١٧٦/٦، معجم المؤلفين ١٠٩/١٠ - ١١٠ .

وغيرهم.[1] وهم يسمون هذه الصفات بالصفات الخبرية، لأن طريق اثباتها هو الخبر الصادق الذى جاء به الكتاب والسنة الصحيحة.

وأما المتأخرون منهم فقد خصوا الصفات السبع بالاثبات[2]، لأنها فى زعمهم هى التى دل العقل عليها. ولهم فيما لم يثبتوه طريقان: منهم من نفاه، ومنهم من توقف فيه فلم يحكم فيه باثبات ولا نفى.[3]

وفى رأى ابن تيمية أنه لا يلزم من عدم الدليل المعين عدم المدلول، فلا يلزم من عدم دلالة عقولهم نفى ما سوى الصفات السبع، لأن السمع قد أثبت صفات أخرى غيرها، بل ومن الناس من يثبت صفات أخرى بطريق العقل.[4]

وليتضح لنا موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من هذه الصفات الذاتية التى أثبتها السلف وجمهور طوائف الخلف الصفاتية، أذكر جملة منها مع دراسة موقفه رحمه الله منها. ومن هذه الصفات:

(١)

صفة العلو

افترق الناس فى علوه سبحانه وتعالى - كما ذكر شيخ الاسلام - الى أربعة أقوال:

---

(١) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ص ٩. وانظر أيضا: الابانة عن أصول الديانة لأبى الحسن الأشعرى ص: ١٨-١٩، و ٩٥-١٠٦.

(٢) انظر مثلا: أصول الدين للبغدادى ص ٩٠، الاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى ص ٤٢-٦٥، المواقف للايجى ص ٢٨١-٢٩٣، وغيرها من كتب متأخرى الأشعرية.

(٣) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ص ٩.

(٤) انظر: نفس المرجع، بنفس الصفحة.

(الأول) قول معطلة الجهمية ونفاتهم : " لا هو داخل العالم ولا خارجه ، ولا مباين له ولا محايث له "، فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود من أحدهما ، كما يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وافقهم من متأخري الأشعرية[1] وغيرهم . [2]

وأصحاب هذا القول في رأي ابن تيمية ليس معهم من الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه من النفي ، كما أن قولهم هذا في وجهة نظره ممتنع في ضرورة العقل ، فضلا عن أنه ليس وصفا لله تعالى بالمدح ، بل يلزم منه تعطيل وجوده ، فان الشيء الذي لا يكون داخل العالم ولا خارجه ، ولا مباين له ولا محايث له ، ليس له وجود في الخارج . [3]

(الثاني) قول حلولية الجهمية : انه بذاته في كل مكان ، كما يقول ذلك النجارية[4] وغيرهم من الجهمية ، عبادهم و صوفيهم ، كأصحاب

---

(١) كأبي المعالي الجويني والرازي والايجي . انظر: الارشاد للجويني ص ٣٩، أساس التقديس للرازي ص ١٧، المواقف للايجي ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ ، وممن وافقهم على هذا ابن حزم رحمه الله حيث يقول : " ... معنى قوله تعالى (على العرش استوى) أنه فعل فعله في العرش وهو انتهاء خلقه اليه ، فليس بعد العرش شيء ..." الفصل ١٢٥/٢ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٩٨/٢، ١٢٢/٥، و٢٢٧، و ٢٧٢، درء تعارض العقل والنقل : ١٩/٥، ٢٨٧/١٠ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ١٠٣/١٦، و ٣٥٩ .

(٤) النجارية هم أصحاب أبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار الرازي ، المتوفى نحو سنة ٢٢٠ هـ . انظر عنهم : مقالات الاسلاميين ٩٩/١ ـ ٢٠٠، و ٣١٥ ـ ٣١٦، الفرق بين الفرق ص ٢٠٧ ـ ٢١١، التبصير في الدين ص ١٠١ ـ ١٠٣، الملل والنحل ٨٨/١ ـ ٨٩، اعتقادات فرق المسلمين ص ٦٨ ـ ٦٩ ، الفهرست لابن النديم ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ، اللباب في تهذيب الأنساب ٢٩٨/٣، الأعلام ٢٥٣/٢ .

ابن عربي، وابن الفارض[١]، وابن سبعين[٢]، والتلمساني[٣]، وغيرهم.
وهم يحتجون بنصوص المعية ويتأولون نصوص العلو والاستواء. [٤]

ويرى ابن تيمية أنهم تركوا النصوص الكثيرة المحكمة المبينة، وتعلقوا بنصوص قليلة اشتبهت عليهم معانيها. وكل نص يحتجون به انما هو حجة عليهم، فان المعية أكثرها خاصة بأنبيائه وأوليائه، وعندهم أنه في كل مكان. وفي النصوص ما يبين نقيض قولهم، مثل قوله تعالى (سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)[٥]، فكل من في السموات والأرض يسبح له، والمسبَّح غير المسبِّح، وكذلك كل آية في القرآن تبين أن لله ما في السموات والأرض وما بينهما ونحو ذلك فانها تبطل قولهم، فان السموات والأرض وما بينهما وما فيهما اذا كان الجميع له وملكه ومخلوقاته امتنع أن يكون شيء من ذلك ذاته، فان المملوك ليس هو المالك، والمربوب ليس هو الرب، والمخلوق ليس هو الخالق، ولهذا كان

---

(١) أبو حفص عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل المصري، المعروف بابن الفارض. ولد سنة ٥٧٦ وتوفي سنة ٦٣٢ هـ. انظر: الأعلام ٥/٥٥، معجم المؤلفين ٧/٣٠١.

(٢) أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الاشبيلي المرسي الرقوطي المكي، الشهير بابن سبعين. ولد سنة ٦١٤ وتوفي سنة ٦٦٩ هـ. انظر: الأعلام ٣/٢٨٠، معجم المؤلفين ٥/٩٠.

(٣) أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن علي الكومي، المعروف بالعفيف التلمساني. ولد سنة ٦١٠، وتوفي سنة ٦٩٠ هـ. انظر: الأعلام ٣/١٣٠، معجم المؤلفين ٤/٢٧٠.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى : ٢/٢٩٨، ٥/١٢٣ و ٢٢٨ و ٢٧٢، درء تعارض العقل والنقل : ٦/١٦٣ ـ ١٧١ ، ١٠/٢٨٧ و ٢٨٨.

(٥) سورة الحديد : ١.

حقيقة قولهم : ان المخلوق هو الخالق ، والمصنوع هو الصانع، لا يفرقون بينهما ، وغير ذلك من النصوص التي تدل على بطلان قولهم .[١]

(الثالث) قول من يقول : ان الله بذاته فوق العرش و هو بذاته في كل مكان . وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف وبعض السالمية .[٢]

وهذا الصنف الثالث في نظر ابن تيمية وان كان أقرب الى التمسك بالنصوص وأبعدها عن مخالفتها من الصنفين الأولين، فانه لم يوفق أيضا الى القول بالحق ، لأن من قال : ان الله بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف الأمة وأئمتها مع مخالفتهما لما فطر الله عليه عباده ولما دل عليه صريح العقل. [٣]

(الرابع) قول من يقول : ان الله فوق سمواته ، مستو على عرشه ، بائن من خلقه . وهذا قول سلف الأمة وأئمتها . [٤]

وممن ذكر أن هذا القول هو قول السلف و الأئمة الحافظ الصابوني [٥]، والذهبي [٦].

وقد وافق ابن تيمية السلف والأئمة على اثبات صفة العلو لله

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٢٣/٥ و ١٢٥ و ٢٢٨ و ٢٣٠، بيان تلبيس الجهمية ٥٢٥/٢ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٩٩/٢، ١٢٤/٥ و ٢٢٩ - ٢٣٠، درء تعارض العقل والنقل : ٢٨٧/١٠ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ١٢٥/٥ و ٢٣٠ .

(٤) انظر: نفس المرجع : ٢٩٧/٢ ، ١٢٦/٥ و٢٣١، درء تعارض العقل والنقل: ٢٨٧/١٠ .

(٥) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ١٤.

(٦) انظر: العلو للذهبي ، ص : ٣٩ .

تعالى ، ورأى أن هذا القول الأخير هو الصواب فى هذه القضية لأنه - كما أجمع عليه السلف والأئمة - دل عليه الكتاب والسنة وعلم بالفطرة التى فطر الله عباده عليها وبالمعقول الصريح.[١]

وأما الأدلة من الكتاب فهى كثيرة ، وقد تنوعت دلالة القرآن واختلفت عبارته فى ذلك :

فتارة يذكر العلو والفوقية والاستواء على العرش ، كقوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى)[٢]، وقوله (وهو العلى العظيم)[٣]،وقوله (يخافون ربهم من فوقهم)[٤]، وقوله (الرحمن على العرش استوى)[٥].

وتارة يخبر بعروج الأشياء وصعودها ورفعها اليه ، كقوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه)[٦]، وقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)[٧]، وقوله (بل رفعه الله اليه)[٨].

وتارة يذكر نزول الأشياء منه أو من عنده ، كقوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق)[٩]، وقوله (والذين آتيناهم الكتاب

---

(١) انظر، مجموع الفتاوى : ١١٠/١٦، التسعينية ص : ٢٧ - ٢٨ .
(٢) سورة الأعلى : ١ .
(٣) سورة البقرة : ٢٥٥، سورة الشورى : ٤ .
(٤) سورة النحل : ٥٠ .
(٥) سورة طه : ٥ .
(٦) سورة المعارج: ٤.
(٧) سورة فاطر : ١٠ .
(٨) سورة النساء : ١٥٨ .
(٩) سورة النحل : ١٠٢ .

يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)[1]، وقوله (حمٓ. تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)[2].

وتارة يخبر بأنه فى السماء، كقوله تعالى (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هى تمور، أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير)[3]، ولا يجوز أن يفهم من قوله (فى السماء) أن يكون الله فى داخل السموات، بل المفهوم منه أنه سبحانه فى العلو وأنه فوق كل شئ، كما قيل : العرش فى السماء فانه لا يقتضى أن يكون العرش فى شئ آخر موجود مخلوق، وان قدر أن السماء هى الأفلاك، كان المراد أنه عليها، كما قال (ولأصلبنكم فى جذوع النخل)[4].

وتارة يجعل بعض المخلوق عنده دون بعض، مثل قوله (ان الذين عند ربك)[5]، وقوله (وله من فى السموات والأرض ومن عنده)[6]. فلو كان المراد بأن معنى " عنده " : فى قدرته - كما يقول الجهمية - لكان الخلق كلهم عنده، لأنهم فى قدرته ومشيئته، ولم يكن فرق بين من فى السموات وفى الأرض ومن عنده.

هذه من الأدلة القرآنية التى ساقها ابن تيمية لاثبات علوه تبارك وتعالى.[7]

---

(١) سورة الأنعام : ١١٤ .

(٢) سورة الجاثية : ١ - ٢ ، سورة الأحقاف : ١ - ٢ .

(٣) سورة الملك : ١٦ - ١٧ .

(٤) سورة طـه : ٧١ .

(٥) سورة الأعراف : ٢٠٦ .

(٦) سورة الأنبياء : ١٩ .

(٧) انظر : مجموع الفتاوى : ٥٢/٣ - ٥٣ ، ١٣٥ - ١٣٦ ، ١٢/٥ - ١٣ ، و١٢١ ، و ١٦٤ - ١٦٦ ، و٢٢٦ .

وأما الأدلة من السنة فمما استدل به رحمه الله : قصة معراج الرسول صلى الله عليه وسلم الى ربه ،[1] وقوله صلى الله عليه وسلم فى الملائكة الذين يتعاقبون فى الليل والنهار : " فيعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم "[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم فى الخوارج : " ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحا ومساء "[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم فى رقية المريض : " ربنا الله الذى فى السماء ، تقدس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض ، اغفرلنا حوبنا وخطايانا ،

---

(١) رواها أحمد فى المسند ١٤٨/٣ و١٤٩ و٢٢٤ و٢٦٠، ١٤٣/٥، والبخارى فى كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات فى الاسراء ٤٥٨/١ - ٤٥٩ ، وفى بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٣٠٢/٦، وفى كتاب مناقب الأنصار باب المعراج ٢٠١/٧، ومسلم فى كتاب الايمان باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماوات وفرض الصلوات ١٤٥/١ - ١٥٤ .

(٢) رواه أحمد فى المسند ٢٥٧/٢ و٣١٢ و٤٨٦، ومالك فى كتاب قصر الصلاة باب جامع الصلاة ١٧٠/١، والبخارى فى كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر ٣٣/٢، وفى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه) ٤١٥/١٣، وباب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ٤٦١/١٣، ومسلم فى كتاب المساجد باب فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما ٤٣٩/١، والنسائى فى كتاب الصلاة باب فضل صلاة الجماعة ٢٤٠/١ - ٢٤١ ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . ولفظه كما فى البخارى : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون " . (صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ٣٣/٢) .

(٣) رواه أحمد فى المسند ٤/٣، والبخارى فى كتاب المغازى باب بعث على بن أبى طالب عليه السلام وخالد بن الوليد الى اليمن قبل حجة الوداع ٦٧/٨ ، ومسلم فى كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٢/٢ . من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع "[(١)]، وقوله صلى الله عليه وسلم : " ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة "[(٢)]. الى غير ذلك من الأحاديث التي استدل بها ابن تيمية.[(٣)]

وأما ما يدل على علوه تبارك وتعالى من الفطرة ، فان الله تعالى قد فطر عباده - عربهم وعجمهم - على أنهم اذا حزبهم شدة أو حاجة دعوا الله وسألوه ، فوجهوا قلوبهم الى العلو ولا يقصدونه تحت أرجلهم . وهذا أمر متفق عليه بين الأمم التي لم تتغير فطرتها ، لم يحصل ذلك بينهم بتواطؤ واتفاق . [(٤)]

ومما يدل على أن ذلك أمر فطري : ما جاء في الحديث أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأمة أعجمية للعتق فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أين الله ؟"، قالت : في السماء ، قال : " من أنا ؟"

---

(١) رواه أحمد في المسند ٢١/٦، وأبوداود في كتاب الطب باب كيف الرقى ٣٨٥/١٠، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه . وقال فيه ابن تيمية : " حديث حسن ". مجموع الفتاوى ١٣٩/٣ .

(٢) رواه أحمد في المسند ٣٣٥/٢، والبخاري في كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء ...) ٤٠٤/١٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ١٣٩/٣، ١٣/٥ - ١٥ و ١٢٧ - ١٢٨، و١٥١ و١٦٥ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ٤٥/٤، ٢٥٩/٥، درء تعارض العقل والنقل : ١٢/٦ و ١٣، بيان تلبيس الجهمية : ٤٤٥/٢ - ٤٤٦ .

ويبقى لنا دليل آخر استدل به ابن تيمية لاثبات العلو لله تعالى ، ألا وهو دليل العقل . فيرى ابن تيمية أنه يمكن اثبات هذه الصفة عن طريق العقل. وقد ذكر رحمه الله لذلك طرقا ، منها:

(الأول) أن يقال : ان علوه سبحانه وتعالى من صفات المدح والتعظيم اللازمة له ، لأنه من صفات الكمال. فلو قدر أنه تحت الخلق لكان ذلك نقصا لأنهم أعلى منه ، والله منزه عن النقص. فكما لا يجوز أن يوصف بضد الحياة والقيومية والقدرة مثل الموت والنوم والجهل والعجز واللغوب ، فكذلك لا يجوز أن يوصف بضد العلو وهو السفول ، بل هو منزه عن هذا النقص المضاد لكماله. (١)

(الثانى) أن يقال: كان الله ولا شيء معه ثم خلق العالم ، فلا يخلو اما أن يكون خلقه فى نفسه وانفصل عنه ، وهذا محال، تعالى الله عن مماسة الأقذار وغيرها . واما أن يكون خلقه خارجا عنه ثم دخل فيه ، وهذا محال أيضا ، تعالى أن يحل فى خلقه. وهاتان لا نزاع فيهما بين أحد من المسلمين. واما أن يكون خارجا عن نفسه الكريمة ولم يحل فيه ، فهذا هو الحق الذى لا يجوز غيره ، ولا يليق بالله الا هو. فثبت بالعقل أنه مباين للعالم ، واذا ثبت أنه مباين للعالم وثبت أن العالم كرى وأن العلو المطلق فوق الكرة ، لزم أن يكون فى العلو بالضرورة. (٢)

هذه بعض الطرق التى ذكرها ابن تيمية لاثبات علو الله عز وجل بطريق العقل . وابن تيمية ليس هو وحده الذى يرى امكان اثبات هذه الصفة بالعقل ، بل رأى مثل هذا أيضا قبله السلف والأئمة

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١٦/٩٧ ـ ٩٨ .

(٢) انظر: نفس المرجع : ٥/١٥٢، درء تعارض العقل والنقل: ٧/٣ ـ ٧ .

كالامام أحمد وعبد العزيز المكي[1] وغيرهما ، ورأى كذلك ابن كلاب وأكثر المثبتة أن اثبات هذه الصفة معلوم بالعقل ، ولكن الأشعري ومن وافقه كالقاضي أبي بكر الباقلاني والبيهقي يقولون : انه من الصفات الخبرية . [2]

والمخالفون من النفاة انما نفوا علوه تعالى على عرشه ، لأن اثبات ذلك في زعمهم يستلزم كونه جسما ومتحيزا وفي جهة ، فقالوا : لا هو داخل العالم ولا خارجه .

وقد ناقش شيخ الاسلام شبهتهم هذه وقرر أن اثبات موجود لا داخل العالم ولا خارجه أمر ممتنع في العقل بالضرورة ، بل قولهم هذا أبعد عن المعقول من قول من يقول بوجود موجود خارج العالم وليس بجسم ولا متحيز . [3]

وابن تيمية عندما ناقشهم لم يوافقهم على اثبات ما قالوا انه لازم لاثبات العلو أنه تعالى جسم ومتحيز وفي جهة ، أو نفي ذلك اللازم . لأن هذه الألفاظ في رأيه من الألفاظ المبتدعة المجملة ، قد يراد بها معنى حق ومعنى باطل ، وليس لها أصل في كتاب الله ولا في سنة رسوله ، ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها في حق الله ، لا نفيا ولا اثباتا ، ولذلك لم يطلق رحمه الله هذه الألفاظ ، لا نفيا ولا اثباتا ، بل يستفصل المراد

---

(١) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي ، صاحب كتاب الحيدة ، توفي سنة ٢٤٠ هـ . انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ٣٦٣/٦ - ٣٦٤ ، شذرات الذهب ٩٥/٢ ، الأعلام ٢٩/٤ ، معجم المؤلفين ٢٦٣/٥ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى : ٣١٠/٥ - ٣٢٠ ، ٤٠٧/١٦ ، درء تعارض العقل والنقل ٢٠٩/٦ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٢٨٤/٥ - ٢٨٦ .

منها ، فان أريد بها معنى حق قبل ذلك المعنى، وان أريد بها معنى باطل رد. (١) وهذا كما سبق أن عرفنا قاعدة من قواعد منهجه رحمه الله فى قضية الصفات الالهية.

وموقفه هذا هو الصائب ، لأنه بذلك تحرى الحق ، ولأن النفاة استغلوا مثل هذه الألفاظ المجملة المبتدعة أسوأ استغلال حيث موّهوا بها الباطل وروّجوا بها مذهبهم ، فهم انما قصدوا باستخدام هذه الألفاظ نفى صفات الكمال اللازمة لله عز وجل، التى وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك نراهم يرمون من أثبت ما نفوه من الصفات بأنه مجسم أو مشبه.

ومن الأدلة السابقة التى ذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية يظهر لنا صحة قول السلف رضى الله عنهم فى هذه القضية ، وهو أن الله تعالى فوق سمواته ، مستو على عرشه ، لأن قولهم هو الموافق لما دل عليه الكتاب والسنة ولما علم بالفطرة السليمة وبالعقل الصريح، فهم بذلك أقطع بقولهم و أشد تعظيما لربهم ، وأما النفاة والحلولية فهم أقرب الى الظن وأبعد عن التعظيم ، فانه يلزم من قول النفاة تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، بل وتعطيل حقيقة ربهم ، كما يلزم من قول الحلولية أن الله فى كل شئ حتى فى الأقذار والأماكن الرذيلة.

ومن هنا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" ومن لم يعتقد أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه كما جاء بذلك الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، فانه يكون

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ، ٢٩٨/٥ - ٣٠٠، و ٣٠٥ - ٣٠٧ .

مكذبا للرسول صلى الله عليه وسلم ، متبعا لغير سبيل المؤمنين ، بل يكون في الحقيقة معطلا لربه ، نافيا له ، فلا يكون له في الحقيقة اله يعبده ولا رب يسأله ويقصده".(١)

ويقول في موضع آخر: "... نفاة الجهمية لا يعبدون شيئا و مثبتتهم يعبدون كل شيء ...".(٢)

وخلاصة القول ، فان ابن تيمية يرى أنه لا بد من اثبات صفة العلو كما أجمع عليه السلف والأئمة ، لدلالة الكتاب والسنة والفطرة والعقل على ذلك . وموقفه هذا حق ، لقوة الأدلة المذكورة ولما فيه من التعظيم لله والتوحيد له والتصديق لرسوله صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن القيم رحمه الله :

" فاذا تحقق العبد علوه المطلق على كل شيء بذاته ، وأنه ليس فوقه شيء ألبتة ، وأنه قاهر فوق عباده ، يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه ... صار لقلبه أمما يقصده ، وربا يعبده ، والها يتوجه اليه . بخلاف من لا يدري أين ربه ، فانه ضائع مشتت القلب ، ليس لقلبه قبلة يتوجه نحوها ، ولا معبود يتوجه اليه قصده . وصاحب هذه الحال اذا سلك وتأله وتعبد طلب قلبه الها يسكن اليه ويتوجه اليه ، وقد اعتقد أنه ليس فوق العرش شيء الا العدم ، وأنه ليس فوق العالم اله يعبد ويصلى له ويسجد ، وأنه ليس على العرش من يصعد اليه الكلم الطيب ، ولا يرفع اليه العمل الصالح ، جال قلبه في الوجود جميعه ، فوقع في

---

(١) مجموع الفتاوى : ٢٥٩/٥ بتصرف .

(٢) التسعينية : ص ١٩ .

الاتحاد ولا بد، وتعلق قلبه بالوجود المطلق السارى فى المعينات، فاتخذ الهه من دون اله الحق، وظن أنه قد وصل الى عين الحقيقة، وانما تأله وتعبد لمخلوق مثله، ولخيال نحته بفكره، واتخذه الهـا من دون الله سبحانه، واله الرسل وراء ذلك كله (ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد اذنه، ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ...)(١)...".(٢)

(٢)

صفة المعية

والمنتسبون الى الاسلام - كما افترقوا فى علوه تعالى الى أربعة أقوال - افترقوا كذلك فى معيته الى أربعة أقوال : منهم من لا يثبت، لا مباينة ولا علولا ولا اتحادا، وهذا مذهب المعتزلة ومن وافقهم من الأشعرية وغيرهم. ومنهم من يقول بالحلول والاتحاد فقط، وهو قول النجارية وابن عربى وأمثاله. ومنهم من يثبت العلو ونوعا من الحلول، وهو الذى يضاف الى بعض السالمية. ومنهم من يقول : ان الله على عرشه، بائن من خلقه، وهو أيضا معهم : مع العباد بعلمه ومع أنبيائه بالنصر والتأييد.(٣)

ويرى ابن تيمية أن القول الأخير هو مذهب السلف والأئمة، وأنه هو الحق فى هذه القضية.

---

(١) سورة يونس : ٣ .

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية، ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٥/١٢٢ - ١٢٦، درء تعارض العقل والنقل: ٢٨٧/١٠ .

يقول رحمه الله "... من الايمان بالله: الايمان بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه، عليّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون ...".(١)

وقد استدل ابن تيمية على صواب هذا المذهب بأمور:

(أحدها) الأدلة الشرعية، كقوله تعالى (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير)(٢)، وقوله تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة، ان الله بكل شيء عليم)(٣).

(الثاني) اجماع السلف والأئمة رضي الله عنهم على أنهم قالوا: هو معهم بعلمه. وهذا مأثور عن ابن عباس والضحاك ومقاتل بن حيان وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل.(٤) وقد استدل ابن تيمية على هذا أيضا بأقوال العلماء، منهم:

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٤٢/٣.

(٢) سورة الحديد: ٤.

(٣) سورة المجادلة: ٧.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ٤٩٥/٥ - ٤٩٦. وقد ذكر هذا أيضا ابن عبد البر في التمهيد: ١٣٩/٧ و ١٤٢.

قال الطلمنكي[1]، أحد أئمة المالكية، في كتاب "الوصول الى معرفة الأصول" : "أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى (وهو معكم أينما كنتم) ونحو ذلك من القرآن، أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على العرش كيف شاء".[2]

وقال أبو عمر ابن عبد البر في "التمهيد" : "وأما احتجاجهم بقوله عز وجل (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية : هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله". [3]

هذا من جملة ما استدل به ابن تيمية لاثبات معيته تعالى، وأن ذلك معيته بعلمه كما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها.

ومما يؤكد ما ذهب اليه ابن تيمية ما قاله ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) :

" ولهذا حكى غير واحد الاجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في ارادة ذلك، ولكن سمعه أيضا مع علمه بهم،

---

(١) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري الأندلسي الطلمنكي، ولد سنة ٣٤٠ وتوفى سنة ٤٢٩ هـ. انظر في ترجمته : تذكرة الحفاظ ١٠٩٨/٣ ـ ١١٠٠، شذرات الذهب ٢٤٣/٣ ـ ٢٤٤، الأعلام ٢١٢/١ ـ ٢١٣، معجم المؤلفين ١٢٢/٢.

(٢) مجموع الفتاوى : ٢١٩/٣، درء تعارض العقل والنقل : ٢٥١/٦.

(٣) مجموع الفتاوى : ٢٢١/٣، ٨٧/٥، درء تعارض العقل والنقل : ٢٥٥/٦، وانظر : التمهيد لابن عبد البر : ١٣٨/٧ ـ ١٣٩.

وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء". (١)

والمخالفون فى هذه القضية ، فالنفاة يزعمون أن الآيات التى فيها اثبات معيته يمتنع حملها على الحقيقة ، اذ حقيقة ذلك المخالطة والمجاورة ، وأما المثبتة الحلولية فاحتجوا بها لاثبات حلوله فى خلقه. وقد رد شيخ الاسلام عليهم من وجوه :

(أحدها) أن قوله تعالى (وهو معكم) ليس معناه أنه مختلط بالخلق ، فان هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق. وقد ضرب رحمه الله لذلك مثلا بالقمر الذى هو آية من آيات الله ، من أصغر مخلوقاته ، وهو موضوع فى السماء ، وهو مع المسافر وغيره أينما كان. فاذا جاز هذا بالنسبة للقمر ، وهو من أصغر مخلوقاته ، أفلا يجوز بالنسبة الى الله العلى العظيم الذى قد وسع كرسيه السموات والأرض أن يقال : انه مع خلقه مع كونه فوق عرشه. فهذا الكلام الذى ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا على حقيقته ، لا يحتاج الى تحريف. (٢)

(الثانى) أن لفظ " مع" ليس فى لغة العرب ولا شيء من القرآن يراد به اختلاط احدى الذاتين بالأخرى ، كما فى قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه)(٣) ، وقوله (فأولئك مع المؤمنين)(٤) ، وقوله

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣٢٢/٤ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى : ١٤٢/٣ - ١٤٣ .

(٣) سورة الفتح : ٢٩ .

(٤) سورة النساء : ١٤٦ .

(اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)[١]، وقوله (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم)[٢]، ومثل هذا كثير. فامتنع أن يكون قوله (وهو معكم) يدل على أن ذاته مختلطة بذوات الخلق. [٣]

(الثالث) أن المعية جاءت في القرآن عامة وخاصة. فالعامة في الآيتين اللتين سبق ذكرهما . وقد افتتح الله الكلام بالعلم وختمه بالعلم، فكان السياق يدل على أنه معهم بعلمه، وقد فسر بذلك السلف رضي الله عنهم. وأما المعية الخاصة ففي قوله تعالى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[٤]، وقوله لموسى وهارون (انني معكما أسمع وأرى)[٥]، وقوله (لا تحزن ان الله معنا)[٦]. فهو مع محمد وصاحبه، دون أبي جهل وغيره من أعدائه، ومع موسى وهارون دون فرعون، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين. فلو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان لتناقض الخبر العام والخبر الخاص، بل المعنى أنه مع خلقه بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بنصره وتأييده دون أعدائهم. [٧]

---

(١) سورة التوبة : ١١٩ .

(٢) سورة الأنفال : ٧٥ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ١٢٦/٥ - ١٢٧، و٢٣١ - ٢٣٢، ٢٤٩/١١ .

(٤) سورة النحل : ١٢٨ .

(٥) سورة طه : ٤٦ .

(٦) سورة التوبة : ٤٠ .

(٧) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٧٦/٢، ١٠٣/٥ - ١٠٤ ، ٤٩٦ - ٤٩٧ ، ٢٤٩/١١ - ٢٥٠ .

وبهذه الردود التى قدمها ابن تيميـــية يظهر لنا أن المعـية لا تقتضى المخالطة والمجاورة حتى تصرف الآية عن ظاهرها كما يزعـــم النفاة، أو حتى تكون ذاته تحل فى ذوات خلقه كما يزعم الحلولية، ولكنها تدل على مطلق المصاحبة، فلا تعارض بين معيته تعالى وبين علوه، فالله سبحانه معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما فى قوله (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير)(١)

وقصارى القول، فان موقف ابن تيميـــة من اثبات المعيـة لله تعالى موقف صائب لموافقته لما نطق به الشرع وأجمع عليـــه سلف الأمة وأئمتها .

وقد أشار رحمه الله فيما تقدم أن المعية قسمان : عامة وخاصة .
فأما المعـــية العامة فهى من الصفات الذاتية لأن مقتضياتها ثابتــة لله تعالى أزلا وأبدا، وأما المعـــية الخاصة فهى من الصفات الفعليـــة لأن مقتضياتها تابعة لمشيئته وقدرته تعالى. (٢)

وهذه المعية اذا شهدها العبد، تكون له عونا على بلوغ مقام الاحسان، لأنه اذا شهـد أن الله سبحانه معه حيث كان، وكيف كان، ومتى كان، يراقب الله فى كل حركاته وتصرفاته . يقول الأســـــتاذ محمد خليل هراس :

" ولا شك أن هذه المعية اذا استحضرها العبد فى كل أحـوالـه

---

(١) سورة الحـــديد : ٤ .

(٢) انظر: رسائل فى العقـــيدة، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ص ٧٦ .

فانه يستحيي من الله عز وجل أن يراه حيث نهاه أو أن يفتقده حيث أمره ، فتكون عونا له على اجتناب ما حرم الله والمسارعة الى فعل ما أمر به من الطاعات على وجه الكمال ظاهرا وباطنا ، ولا سيما اذا دخل في الصلاة التي هي أعظم صلة ومناجاة بين العبد وربه ، فيخشع قلبه ، ويستحضر عظمة الله وجلاله ، فتقل حركاته ولا يسيء الأدب مع ربه بالبصق أمامه أو عن يمينه ".(١)

(٣)

صفة الوجه

من الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : صفة الوجه . وقد أثبت شيخ الاسلام رحمه الله هذه الصفة لله عز وجل ، كما يليق بجلاله ، بدون تحريف ولا تعطيل وبدون تكييف ولا تمثيل .

ومن الأدلة النقلية التي استدل بها (٢) : قوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)(٣)، وقوله (كل شيء هالك الا وجهه)(٤).

وقد استدل رحمه الله على اثبات هذه الصفة أيضا بطريق العقل وتقريره : اذا قدر اثنان أحدهما يقدر أن يقبل بوجهه والآخر لا يمكنه ذلك : اما لامتناع أن يكون له وجه ، واما لامتناع الاقبال عليه بالوجه ، كان الأول أكمل . (٥)

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ، ص ١٢٠ .

(٢) مجموع الفتاوى : ١٣٣/٣ .

(٣) سورة الرحمن : ٢٧ .

(٤) سورة القصص : ٨٨ .

(٥) انظر: مجموع الفتاوى : ٦٢/٦ .

وذكر ابن تيمية أن اثبات هذه الصفة مذهب أهل الحديث والمتكلمة الصفاتية من الكلابية والأشعرية والكرامية، وأن نفيها مذهب الجهمية من المعتزلة وغيرهم ومذهب بعض الصفاتية من الأشعرية وغيرهم.(١)

وفي رأيه أنه ليس كل آية فيها ذكر الوجه فهي من آيات الصفات فتكون من موارد النزاع بين المثبتة والنفاة. ومثال ذلك قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله)(٢). فقد عدها بعض المثبتة أنها مما يقرر اثبات الصفة، كما جعل النفاة تفسيرها بغير الصفة حجة لهم في موارد النزاع، فانه ذكر البيهقي في كتابه " الأسماء والصفات " في قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) عن مجاهد والشافعي أن المراد قبلة الله.(٣)

وفي رأي شيخ الاسلام أن هذه الآية ليست من آيات الصفات، فليست من موارد النزاع، وأن المراد بالوجه هنا : القبلة، فان الوجه هو الجهة في لغة العرب، يقال : قصدت هذا الوجه، وسافرت الى هذا الوجه أي الى هذه الجهة. وهذا كثير مشهور. وقوله تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) كقوله (ولكل وجهة هو موليها)(٤)، فكلا الآيتين في اللفظ والمعنى متقاربان وكلاهما في شأن القبلة.

وانما رأى رحمه الله أن المراد بالوجه في الآية السابقة هو القبلة لأن السياق يدل على ذلك، لأنه قال (أينما تولوا) وأين من

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١٥/٦ .

(٢) سورة البقرة : ١١٥ .

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي، ص ٣٩١ .

(٤) سورة البقرة : ١٤٨ .

الظروف، وتولوا أي تستقبلوا ، فالمعنى : أيّ موضع استقبلتموه فثم وجه الله ، فقد جعل وجه الله في المكان الذي يستقبله ، هذا بعد قوله (ولله المشرق والمغرب) وهي الجهات كلها ، فأخبر أن الجهات له ، فدل على أن الاضافة اضافة تخصيص وتشريف . وعلى هذا ، فاذا قيل: " فثم قبلة الله " لم يكن هذا من التأويل المتنازع فيه ، الذي ينكره منكرو تأويل آيات الصفات ، ولا هو مما يستدل به عليهم المثبتة ، فان هذا المعنى صحيح في نفسه ، والآية دالة عليه. (١)

وبما ذكره شيخ الاسلام تبطل دعوى المتأولين الذين يدعون جواز تأويل الصفات بحجة أن بعض السلف أول الوجه بالقبلة.

وأهل التأويل نفوا أن يكون لله تعالى صفة الوجه ، فأولوا بذلك النصوص الواردة التي تدل على اثبات هذه الصفة لله تعالى ، كما فعل ذلك الجويني والرازي والبيجوري من الأشعرية.(٢)

ومنهجهم هذا باطل ، لمخالفته لمنهج السلف رضي الله عنهم ، ومما يدل على بطلانه ما ذكره ابن القيم رحمه الله في رده على من ادعى بالمجاز في وجه الله جل جلاله ، فقد رده من وجوه عدة :

(أحدها) أن كون وجه الله تعالى مجازا يستلزم كون حياته وسمعه وبصره وقدرته وكلامه وارادته وسائر صفاته مجازا لا حقيقة.

(الثاني) أن دعوى المعطلة أن الوجه صلة كذب على الله وعلى رسوله وعلى اللغة ، فان هذه الكلمة ليست مما عهد زيادتها ، وأنه لو ساغ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٦/١٥ - ١٧ ، ٢/١٩٣ .

(٢) انظر: الارشاد للجويني ص ١٥٧ ، أساس التقديس للرازي ص ١١٧ - ١١٨ ، تحفة المريد للبيجوري ص ٩٣ .

ذلك لساغ لمعطل آخر أن يدعى الزيادة فى قوله : " أعوذ بعزة الله وقدرته " ، ويكون التقدير: أعوذ بالله ، ويدعى معطل آخر الزيادة فى سمعه وبصره وغيرذلك .

(الثالث) ما ذكره الخطابى والبيهقى وغيرهما قالوا : لما أضاف الوجه الى الذات وأضاف النعت الى الوجه فقال (ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام)[١] دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة ، وأن قوله (ذوالجلال والاكرام) صفة للوجه وأن الوجه صفة للذات .

(الرابع) أن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم فى الجنة ، وهى الزيادة التى فسر بها النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)[٢] ، فروى مسلم فى صحيحه باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : " النظر الى وجه الله تعالى ".[٣] فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة ، ولا سيما اذا أنكر الوجه

---

(١) سورة الرحمن : ٢٧ .

(٢) سورة يونس : ٢٦ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الايمان باب اثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١٦٣/١ ، من حديث صهيب بن سنان رضى الله عنه . ولفظ الحديث كما فى مسلم : " اذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال: يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ ، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم عزوجل" ، وفى رواية : ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . ورواه أيضا أحمد فى المسند ٣٣٢/٤ ـ ٣٣٣ ، والترمذى فى كتاب صفة الجنة باب ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى ٦٨٧/٤ ، وفى كتاب تفسير القرآن باب و من سورة يونس ٢٥٦/٥ ، وابن ماجه فى المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٦٧/١ .

والعلو فيعود النظر عنده الى خيال مجرد ، وان أحسن العبارة قال : هو معنى يقوم بالقلب نسبته اليه كنسبة النظر الى العين ، وليس فى الحقيقة عنده نظر ولا وجه ولا لذة تحصل للناظر.

(الخامس) ما ورد فى سنن أبى داود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا دخل المسجد قال : " أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم "[1]، فقد استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم هنا بذاته وبوجهه وسلطانه ، وهذا صريح فى ابطال قول من قال: انه الذات نفسها ، وقول من قال: انه مخلوق .

الى غير ذلك من وجوه الرد التى ذكرها ابن القيم ، فقد ذكر رحمه الله فى رده لهؤلاء المعطلة ستة وعشرين وجها[2]، مما لا يدع مجالا الا الاقرار بثبوت صفة الوجه لله حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته بدون تكييف ولا تمثيل ، كما نطق بذلك الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها . وبذلك يتبين لنا صحة الموقف الذى اتخذه ابن تيمية من هذه الصفة .

(٤)

صفة اليدين

ومما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم أن له تعالى يدين مختصتين بذاته كما يليق بجلاله .

---

(١) رواه أبوداود فى كتاب الصلاة باب ما يقول الرجل عند دخوله المسجد ١٣٢/٢، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، ورجال اسناده ثقات الا اسماعيل بن بشر بن منصور، صدوق تكلم فيه للقدر ، انظر: تقريب التهذيب ٦٧/١ .

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة : ١٧٤/٢ ـ ١٨٨ .

وذكر ابن تيمية أن الناس في هذه الصفة على ثلاثة أقوال :

(أولها) قول من يقول : يدا الله صفتان من صفات ذاته ، حكمها حكم جميع صفاته من: حياته وعلمه وقدرته وارادته وكلامه ، فيثبتون جميع صفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها أنبياؤه ، مع نفي المشابهة والمماثلة . وهذا مذهب سلف الأمة رضي الله عنهم .

(الثاني) قول أهل التشبيه والتمثيل : يد كيدي ، تعالى الله عن ذلك .

(الثالث) قول أهل النفي والتعطيل : اليدان هما : النعمتان والقدرتان ، والله أكبر كبيرا . [1]

وأما موقفه من هذه القضية فهو اثبات هذه الصفة لله تعالى كما يليق بجلاله ، بدون تحريف ولا تعطيل وبدون تكييف ولا تمثيل ، كما أثبتها السلف رضي الله عنهم .

ومن الآيات القرآنية التي استدل بها [2]: قوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ)[3]، وقوله (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)[4]، وقوله (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)[5]، وقوله (تبارك الذي بيده الملك)[6]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٦٥/٤ ـ ٣٦٦

(٢) نفس المرجع : ١٣٣/٣ ، ٣٦٢/٦ .

(٣) سورة ص : ٧٥ .

(٤) سورة الزمر : ٦٧ .

(٥) سورة المائدة : ٦٤ .

(٦) سورة الملك : ١ .

وقوله (بيدك الخير انك على كل شيء قدير)[١]، وقوله (ألم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون)[٢].

وبعد سرد هذه الآيات يقول رحمه الله :

" فالمفهوم من هذا الكلام أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له[٣] كما يليق بجلاله ، وأنه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة وابليس ، وأنه سبحانه يقبض الأرض ويطوى السموات بيده اليمنى، وأن (يداه مبسوطتان) ومعنى بسطهما بذل الجود وسعة العطاء ، لأن الاعطاء والجود فى الغالب يكون ببسط اليد ومدها ، وتركه يكون ضما لليد الى العنق ، صار من الحقائق العرفية اذا قيل: هو مبسوط اليد فهم منه يد حقيقة ، وكان ظاهره الجود والبخل، كما قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط)[٤]، ويقولون : فلان جعد البنان وسبط البنان ". [٥]

ومن الأحاديث التى استدل بها : قوله صلى الله عليه وسلم : " ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا "[٦]، وقوله

---

(١) سورة آل عمران : ٢٦ .

(٢) سورة يس : ٧١ .

(٣) فى الأصل : يدين مختصتان به ذاتيتان له .

(٤) سورة الاسراء : ٢٩ .

(٥) مجموع الفتاوى : ٣٦٣/٦ .

(٦) رواه أحمد فى المسند ١٦٠/٢، ومسلم فى كتاب الامارة باب فضيلة الامام العادل وعقوبة الجائر ... ١٤٥٨/٣، والنسائى فى كتاب آداب القضاة باب فضل الحاكم العادل فى حكمه ٢٢١/٨، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .

صلى الله عليه وسلم : " يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه ، قال : وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض "[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم : " يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض "[2]، الى غير ذلك من الأحاديث التي أوردها رحمه الله لاثبات صفة اليدين لله تعالى .[3]

وقد أثبت ابن تيمية هذه الصفة بطريق العقل أيضا ، وتقرير ذلك : اذا قدر اثنان أحدهما يقدر أن يفعل بيديه ، والآخر لا يمكنه ذلك ، اما لامتناع أن يكون له يدان ، واما لامتناع الفعل باليدين ، كان الأول أكمل. فاليدان لا تعد من صفات النقص في شيء مما يوصف بذلك . فإن قيل: من يمكنه الفعل بكلامه أو بقدرته بدون يديه أكمل ممن يفعل بيديه ،

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣١٢/٢، والبخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم) ٤٠٣/١٣، ومسلم في كتاب الزكاة باب الحث على النفقة ٦٩١/٢ ، والترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة المائدة ٢٥٠/٥-٢٥١ ، وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٧١/١، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ٦٨ ، والدارقطني في كتاب الصفات ص ١٨ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد في المسند ٣٧٤/٢، والبخاري في كتاب التفسير باب (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) ٥٥١/٨، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (ملك الناس) ٣٦٧/١٣، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٨/٤ ، وابن ماجة في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٦٨/١-٦٩ ، والدارمي في كتاب الرقاق باب في شأن الساعة ونزول الرب تعالى ٣٢٥/٢ ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ٧١ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٧٠/٦ - ٣٧٢ .

قيل: من يمكنه الفعل بقدرته أو تكليمه اذا شاء، وبيديه اذا شاء، هو أكمل ممن لا يمكنه الفعل الا بقدرته أو تكليمه ولا يمكنه الفعل بيديه. ولهذا كان الانسان أكمل من الجمادات التي تفعل بقوى فيها، كالنار والماء، فاذا قدر اثنان أحدهما لا يمكنه الفعل الا بقوة فيه، والآخر يمكنه الفعل بقوة فيه وبكلامه، فهذا أكمل. فاذا قدر آخر يفعل بقوة فيه وبكلامه وبيديه اذا شاء فهو أكمل وأكمل. (١)

هكذا قرر شيخ الاسلام اثبات صفة اليدين بطريق العقل، فاليدان في رأيه من صفات الكمال وليست من صفات النقص كما يزعم النفاة، فهي بذلك ثابتة له تعالى، كما هي ثابتة بالشرع، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متصفا بصفات الكمال.

والمخالفون من النفاة يدعون بمجازية اليد، فيزعمون أن المراد باليد هي النعمة والقدرة. وقد رد عليهم ابن تيمية في هذه الشبهة كما سبق أن عرفنا من خلال دراسة موقفه رحمه الله من التأويل والمجاز، الأمر الذي يبين لنا أنه لا بد من اثبات صفة اليدين، كما أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقدماء الأشاعرة، كالأشعري، صاحب الطريقة المنسوبة اليه في الكلام، والبيهقي، وغيرهما، أثبتوا أيضا هذه الصفة، واستدلوا عليها بأدلة سمعية، وردوا على المعطلة النفاة الذين يؤولونها. (٢)

واذا كان الأمر كذلك، فموقف ابن تيمية من هذه الصفة موقف صائب لموافقته للأدلة الشرعية ولما أجمع عليه السلف ومن وافقهم.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٦/٩٢ - ٩٣.

(٢) انظر: الابانة للأشعري ص ٩٧ - ١٠٦، الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٩٦ - ٤٠٨.

ومما يؤكد صحة موقفه ما قاله ابن القيم :

" ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودا متنوعا متصرفا فيه مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقة، من : الامساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات والنفخ باليد والخلق باليدين والمباشرة بهما، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، وتخمير طينة آدم بيده، ووقوف العبد بين يديه، وكون المقسطين عن يمينه، وقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة عن يمينه، - الى أن قال - فنقطع بالضرورة أن المراد: يد الذات، لا يد القدرة والنعمة، فان التركيب والقصد والسياق لا يحتمله البتة ".(١)

(٥)

صفة العينين والقدم وغيرهما

عرفنا مما مر بيانه أن موقف شيخ الاسلام من صفة الوجه واليدين هو الاقرار بما ورد في ذلك واثباته كما يليق بجلاله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. فهو يثبت ما أثبته الله لنفسه في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، اقتداء بمنهج السلف رضي الله عنهم، بدون تفريق بين بعض الصفات وبعضها، لأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، كما أصبح هذا أصلا من أصول منهجه.

ومن الصفات الذاتية التي أثبتها الله لنفسه: صفة العينين والقدم وغيرهما. وقد أثبت رحمه الله هذه الصفات أيضا، التزاما

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة : ٢/١٧١ - ١٧٢ .

بالمنهج الذى اختاره، واستدل عليها بقوله تعالى (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا)[1]، وقوله تعالى (وحملناه على ذات ألواح ودسر، تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر)[2]، وقوله تعالى (وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى)[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم: " لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوى بعضها الى بعض وتقول : قط قط، بعزتك وكرمك، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشيء الله عز وجل لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة"[4].

هذه من الأدلة التى استدل بها شيخ الاسلام لاثبات الصفتين المذكورتين .[5]

وموقفه رحمه الله من هاتين الصفتين كموقفه من صفة الوجه واليدين وغيرهما، وهو امرارها كما جاءت بلا تكييف ولا تمثيل، فيرفض

---

(١) سورة الطور : ٤٨ .

(٢) سورة القمر : ١٣ - ١٤ .

(٣) سورة طه : ٣٩ .

(٤) رواه أحمد فى المسند ٢٣٤/٣، والبخارى فى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (وهو العزيز الحكيم ...) ٣٦٩/١٣، ومسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٨/٤، والترمذى فى كتاب التفسير باب ومن سورة ق ٣٩٠/٥، والدارقطنى فى كتاب الصفات ص ١٢، من حديث أنس رضى الله عنه .

(٥) انظر: مجموع الفتاوى : ١٣٣/٣ و ١٣٩ .

ومن الأحاديث الدالة على اثبات صفة العينين : مارواه البخارى عن عبد الله - رضى الله عنه - قال : ذكر الدجال عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " ان الله لا يخفى عليكم، ان الله ليس بأعور - وأشار بيده الى عينه - وان المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأنّ عينه عنبة طافية". (صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ٣٨٩/١٣) .

التأويل الذى هو التحريف وادعاء المجاز وغير ذلك، مما كان المراد به نفى تلك الصفات وتعطيلها.

وبعد، فخلاصة هذا المبحث : أن ابن تيمية أثبت الصفات الذاتية التى أثبتها الله تعالى لنفسه فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، اقتداء بمنهج السلف ومخالفة لمنهج الخلف. وهذه الصفات هى التى سماها الخلف الصفاتية " الصفات الخبرية "، لأن طريق اثباتها كما زعموا هو الخبر أو السمع، دون العقل، ولذلك أوّلها بعضهم تأويلا يقتضى نفيها . ونحن عرفنا مما تقدم أن شيخ الاسلام ابن تيمية أمكنه أن يثبت بعض هذه الصفات بطريق العقل، ولذلك كان رحمه الله لا يفرق بين الصفات التى دل عليها العقل وبين التى لم يمكن أن يستدل عليها، مادامت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة دلت على اثباتها . وهذا أصل من أصول منهجه، وهو القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر .

المبحث الثاني : الصفات الفعلية .

اتضح لنا من المبحث السابق موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الصفات الذاتية التي انفرد السلف ومن وافقهم باثباتها . ونأتي في هذا المبحث الى دراسة موقفه من الصفات الفعلية .

وقبل الخوض في موقفه رحمه الله من هذه الصفات ، تجدر الاشارة الى أن المنتسبين الى الاسلام تنازعوا في صفاته الفعلية . وذكر ابن تيمية أن نزاعهم هذا كان مبنيا على أصلين :(١)

(الأصل الأول) أن الرب تعالى هل يقوم به فعل من الأفعال ، فيكون خلقه للسموات والأرض فعلا فعله غير المخلوق ، أو أن فعله هو المفعول والخلق هو المخلوق ؟

فذهب السلف وجمهور الطوائف الى أن الرب عز وجل يقوم به فعل من الأفعال ، فيكون خلقه للسموات والأرض فعلا فعله غير المخلوق .

وذهب آخرون من أهل الكلام : الجهمية وأكثر المعتزلة والأشعرية الى أن الخلق هو نفس المخلوق ، وليس لله - عندهم - لا فعل ولا خلق الا المخلوقات أنفسها .

وأما النفاة من الجهمية والمعتزلة فأصلهم في ذلك نفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما الأشعرية ومن وافقهم ، فحجتهم في ذلك أن الخلق لو كان غير

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٧٨/٥ و ٣٧٩ و ٥٢٨ و ٥٣٦ .

المخلوق لكان : اما قديما واما حادثا ، فان كان قديما لزم قدم المخلوق وان كان حادثا لزم قيام الحوادث به ، ثم ان ذلك الخلق يفتقر الى خلق آخر، ويلزم التسلسل . (١)

وذكر ابن تيمية أن الجمهور قد أجابوا عن حجتهم ، وكل طائفة على أصلها :

فقالت طائفة : الخلق قديم والمخلوق محدث ، كما يقول ذلك الكلابية ومن وافقهم من أهل المذاهب الأربعة . وقالوا : أنتم وافقتمونا على أن ارادته أزلية والمراد محدث ، فنحن نقول في الخلق ما قلتم في الارادة .

وقالت طائفة : بل الخلق حادث في ذاته ولا يفتقر الى خلق آخر، بل يحدث بقدرته . وأنتم تقولون: ان المخلوق يحصل بقدرته بعد أن لم يكن، فان كان المنفصل يحصل بمجرد القدرة فالمتصل به أولى. وهذا جواب كثير من الكرامية والهشامية ومن وافقهم .

وقالت طائفة : هب أنه يفتقر الى خلق آخر، فلم قلتم ان ذلك ممتنع ، بل انه اذا خلق السموات والأرض بخلق ، لم يلزم أن يحتاج ذلك الخلق الى خلق آخر، ولكن ذلك الخلق يحصل بقدرته ومشيئته وان كان ذلك الخلق حادثا .

وقولكم : يلزم التسلسل ، فيقال: ليس هذا تسلسلا في المؤثرين، فان ذلك ممتنع باتفاق العقلاء، بل هو تسلسل في الآثار، وهو حصول شيء بعد شيء، وهذا غير ممتنع، فان مذهب السلف : أن الله تعالى

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٥/٥٢٨-٥٢٩ ، ٦/٢٣١ .

لم يزل متكلما اذا شاء، وقد قال تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا)[١]، فكلماته تعالى لا نهاية لها، وهو سبحانه يتكلم بقدرته ومشيئه.[٢]

ومما ذكره ابن تيميـــــة يظهر لنا ضعف مذهب الأشعرية ورجحان مذهب السلف وجمهور الطوائف، فالله سبحانه يقوم به فعل من الأفعـــال، فيكون الخلق غير المخلوق، بل الخلق فعل الخالق، والمخلوق مفعوله.

ومما يرجح مذهب السلف والجمهور أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ بأفعال الرب وصفاته، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم: " اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعـوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك "[٣]، فقد استعاذ النبـــى صلى الله عليه وسلم برضاه ومعافاته، فدل على أن رضاه ومعافاته وغيرهما من أفعاله تعالى غير مخلوقة.

وأما (الأصل الثانى) فهو: أنه سبحانه وتعالى هل تقـوم به الأمور الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته أو لا ؟

فمذهب السلف وجمهور الطوائف الى جواز ذلك. وذهب النفـــاة من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة، والكلابية ومن وافقهـــم من مثبتـــة الصفات الى امتناع ذلك.

---

(١) سورة الكهف: ١٠٩.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٥/٥٣٠ - ٥٣٥، ٦/٢٣١ - ٢٣٢.

(٣) رواه أحمد فى المسند ٦/٥٨ و٢٠١، ومسلم فى كتاب الصلاة باب ما يقال فى الركوع والسجود ١/٣٥٢، وأبوداود فى كتاب الصلاة باب الدعاء فى الركوع والسجود ٣/١٣٢، والنسائى فى كتاب الطهارة باب ترك الوضوء من مس الرجل امرأته من غير شهوة ١/١٠٢، والترمذى فى كتاب الدعوات ٥/٥٢٤، وابن ماجه فى كتاب الدعاء باب ما تعوذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢/١٢٦٢، من حديث عائشة رضى الله عنهـــا.

أما نفاة الصفات فمذهبهم مبنى على أصلهم أن الله لا تقوم به صفة من الصفات ، كما مرّ قريبا .

وأما الكلابية ومن وافقهم فيقولون : تقوم بذاته تعالى صفات بغير مشيئته وقدرته ، وأما ما يكون بمشيئته وقدرته فلا يكون الا مخلوقا منفصلا عنه . وهم يعبرون عن هذه المسألة بمسألة " حلول الحوادث" . وعمدتهم فى ذلك : أن ما يكون بمشيئته وقدرته فانه حادث ، والله تعالى لا تقوم به الحوادث ، فلو اتصف الله به لقامت به الحوادث ، ولو قامت به الحوادث لم يخل منها ، وما لم يخل منها فهو حادث .(١)

وذكر ابن تيمية أن أصحاب هذه الطائفة المتأخرين كالرازى والآمدى وغيرهما قد استوعبوا حجج النفاة لحلول الحوادث وصرحوا بضعفها وبينوا فسادها (٢)، فلم يستدلوا على نفى حلول الحوادث بذاته الا بأن ما يقوم به ان كان صفة كمال كان عدمه قبل حدوثه نقصا ، وان كان نقصا لزم اتصافه بالنقص ، والله وجب تنزيهه عن النقص بالاجماع .(٣)

وهذه الحجة التى اعتمدوا عليها فى نظر شيخ الاسلام ضعيفة أيضا ، وقد بين رحمه الله ضعفها من وجوه عديدة :

(أحدها) أن هؤلاء يقولون : ان امتناع النقص على الله تعالى انما علم بالاجماع ، لا بالنص من الكتاب والسنة ولا بالعقل . واذا كان كذلك

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٥/٥٣٦ـ٥٣٧، ٦/١٤٦ـ١٤٨ و ٢١٧ ـ ٢٢٠، درء تعارض العقل والنقل : ٢/٦ و ١٨ و ١٤٧ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٦/٢٣٨ـ٢٣٩ و ٢٤٧ـ٢٥٣، درء تعارض العقل والنقل: ٢/١٥٦ و ١٧٧ و ١٨٥، ٤/٣ و ٢٧ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ٦/٢٤٠ـ٢٤١، درء تعارض العقل والنقل: ٢/١٥٦، ٤/٣ .

فمعلوم أن الاجماع لا يحتج به فى مسائل النزاع، فان المنازع لهم يقول: أنا لم أوافقكم على نفى المعنى وان وافقتكم على اطلاق القول بأن الله منزه عن النقص، فهذا المعنى عندى ليس بنقص ولم يدخل فيما سلمته لكم. فان بينتم بالعقل أو بالسمع انتفاءه، والا فاحتجاجكم بقولى - مع أنى لم أرد ذلك - كذب علىّ، فانكم تحتجون بالاجماع، والطائفة المثبتة من أهل الاجماع، وهم لم يسلموا هذا.

(الثانى) أن هذا الاجماع حجة عليهم، فانا اذا عرضنا على العقول موجودين أحدهما يمكنه أن يتكلم ويفعل بقدرته ومشيئته، والآخر لا يمكنه ذلك، لكانت العقول تقضى بأن الأول أكمل من الثانى. وكذلك اذا عرضنا على العقول موجودين أحدهما يقدر على الذهاب والمجىء بنفسه، والآخر لا يمكنه ذلك، لكانت العقول تقضى بأن الأول أكمل من الثانى، كما أنا اذا عرضنا على العقول موجودين أحدهما حي عليم قدير والآخر لا حياة له ولا علم ولا قدرة، لكانت العقول تقضى بأن الأول أكمل من الثانى. فنفس ما يعلم به أن اتصافه بالحياة والعلم والقدرة صفة كمال، به يعلم أن اتصافه بالأفعال والأقوال الاختيارية - التى تقوم به، والتى بها يفعل المفعولات المباينة - صفة كمال.

(الثالث) أن يقال: الحوادث التى يمتنع أن يكون كل منها أزليا ولا يمكن وجودها الا شيئا فشيئا، اذا قيل: أيهما أكمل أن يقدر على فعلها شيئا فشيئا أو لا يقدر على ذلك ؟ كان معلوما بصريح العقل أن القادر على فعلها شيئا فشيئا أكمل ممن لا يقدر على ذلك. وأنتم تقولون: ان الرب لا يقدر على شيء من هذه الأمور، وتقولون: انه يقدر على أمور مباينة له. ومعلوم أن قدرة القادر على فعله المتصل به قبل قدرته على أمور مباينة له. فاذا قلتم: لا يقدر على فعل متصل به،

لزم أن لا يقدر على المباين له ، فلزم على قولكم أن لا يقدر على شيء ولا أن يفعل شيئا ، فلزم أن لا يكون خالقا . وهذا لازم لا محيد لهم عنه .

الى غير ذلك من وجوه الضعف التى بينها شيخ الاسلام[1] ، الأمر الذى يوضح لنا رجحان مذهب القائلين بجواز قيام الأمور الاختيارية بذاته تعالى .

ومما سبق بيانه يظهر لنا أن منهج الكلابية والأشعرية فى الصفات الفعلية يوافق منهج الجهمية والمعتزلة . وموقف هؤلاء مما ورد فى الكتاب والسنة من صفات فعله ، كما ذكر ابن تيمية، على أحد قولين :

اما أن يجعلوها كلها مخلوقات منفصلة عنه ، فيجعلون رضاه وغضبه ومجيئه واتيانه ونزوله واستواءه وغير ذلك مخلوقة منفصلة عنه ، واذا قالوا : هذه الأمور من صفات الفعل، فمعناه أنها منفصلة عنه بائنة ، وهى مضافة اليه ، لا أنها صفات قائمة بذاته ، ولهذا يقول كثير منهم : ان هذه آيات الاضافات وأحاديث الاضافات ، وينكرون على من يقول : آيات الصفات .

واما أن يجعلوا جميع هذه المعانى قديمة أزلية لازمة لذات الله ، كما يقولون : ان القرآن قديم أزلىّ .[2]

وبعد ، فقد عرفنا منهج السلف والخلف من الصفات الفعلية ، وأما موقف ابن تيمية من هذه المسألة فهو اثبات الصفات الفعلية ، كما أثبتها الله تبارك وتعالى لنفسه وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٢٤١/٦ - ٢٤٣، درء تعارض العقل والنقل: ٣٣٤/٢ - ٣٤٢، ٣/٤ - ١٤ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٤١١/٥ - ٤١٢، درء تعارض العقل والنقل: ١٤٧/٢ .

وأجمع على ذلك سلف الأمة رضي الله عنهم، وأن الصفات الفعلية نوعان: لازم ومتعد، وكلا هما حاصل بمشيئته تعالى وقدرته، وهو متصف به. ومن الصفات الفعلية المتعدية: التكليم والسمع والبصر والارادة والخلق والاعطاء والاحسان والاماتة والمحبة والرحمة والبغض وغيرها. ومن الصفات الفعلية اللازمة: الاستواء والنزول والمجيء والاتيان ونحو ذلك مما نطق به الكتاب والسنة.[1]

وابن تيمية لا يفرق بين النوعين من الصفات الفعلية في الحكم، فعنده أن من جوّز قيام الصفات الفعلية اللازمة بذاته تعالى لم يمكنه أن يمنع قيام الصفات الفعلية المتعدية، كما أن من جوّز قيام الصفات التي لا تتعلق بمشيئته وقدرته بذاته تعالى لم يمكنه أن يمنع قيام الصفات التي تتعلق بمشيئته وقدرته.[2] وهذا التزام منه بأصل من أصول منهجه وهو: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

وقد ساق ابن تيمية أدلة نقلية تدل على اثبات الصفات الفعلية لله تعالى، منها:[3]

قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا)[4]، فهذا بيّن في أنه انما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم، لم يأمرهم في الأزل.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٣٢/٦، ٣٩٠/١٦، درء تعارض العقل والنقل: ٣/٢ .

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ٥/٢ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٢٢/٦ - ٢٢٤ .

(٤) سورة الأعراف: ١١ .

وقوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)[١]، فهذا بين فى أنه انما قال له بعد أن خلقه من تراب ، لا فى الأزل .

وكذلك قوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام (فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها)[٢]، فهذا بيّن فى أنه انما ناداه حين جاء لم يكن النداء فى الأزل .

وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ، ان الله يحكم ما يريد)[٣]، فبيّن الله تعالى أنه يحكم ، فيحلل ما يريد ، ويحرم ما يريد ، ويأمر بما يريد ، وينهى عما يريد ، فجعل التحليل والتحريم والأمر والنهى متعلقة بارادته .

وقوله تعالى (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم)[٤]، فعلق الرحمة بالمشيئة كما علق التعذيب ، وما تعلق بالمشيئة مما يتصف به الرب فهو من الصفات الاختيارية .

الى غير ذلك من النصوص الشرعية التى تدل على اثبات الصفات المتعلقة بمشيئته وقدرته .

وقصارى القول ، فان ابن تيمية يثبت الصفات الفعلية التى أثبتها الله تعالى لنفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه

---

(١) سورة آل عمران : ٥٩ .

(٢) سورة النمل : ٨ .

(٣) سورة المائدة : ١ .

(٤) سورة الاسراء : ٥٤ .

وسلم. وموقفـه من هذه الصفات موقف صائب لمتابعته للحق الذى نطق به الكتاب والسنة ولموافقته لما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها رضى الله عنهم. وانكار صفاته تعالى الفعلية يستلزم انكار قدرته ومشيئته، وذلك يستلزم انكار كمال ربوبيته وألوهيته، ولذلك يقول شيخ الاسلام رحمه الله :

" ومسألة الصفات الاختيارية هى من تمام حمده، فمن لم يقر بها لم يمكنه الاقرار بأن الله محمود ألبتة، ولا أنه رب العالمين، فان الحمد ضد الذم، والحمد هو الاخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له، والذم هو الاخبار بمساوى المذموم مع البغض له، وجماع المساوى فعل الشر، كما أن جماع المحاسن فعل الخير.

فاذا كان يفعل الخير بمشيئته وقدرته، استحق الحمد. فمن لم يكن له فعل اختيارى يقوم به، بل ولا يقدر على ذلك، لا يكون خالقا ولا ربا للعالمين ".(١)

ومن هنا يظهر أن تعظيم الخالق سبحانه لا يمكن أن يتحقق أيضا الا باثبات صفاته الفعلية، المتعلقة بمشيئته وقدرته، والاقرار بها كما يليق بجلاله تبارك وتعالى .

وليتبين لنا بوضوح موقف ابن تيمية منها، أذكر جملة من هذه الصفات مع دراسة موقفه رحمه الله منها :

---

(١) مجموع الفتاوى : ٦/٢٥٩ .

(١)

صفتا الخلق والرزق

اتفق المسلمون على اضافة الخلق والرزق الى الله تعالى وأنه هو الذى يخلق ويرزق، ولكن - كما مر بيانه - اختلفوا : هل يقوم به فعل هو الخلق والرزق أو الخلق والرزق عبارة عن المخلوقات من غير أن يكون له فعل يقوم به ؟ [١]

فمذهب الجهمية والمعتزلة والأشعرية أن الخلق والرزق عبارة عن المخلوقات من غير أن يكون له فعل يقوم به .

ومذهب السلف ومن وافقهم أن الخلق والرزق من أفعاله القائمة بذاته المتعلقة بمشيئته وقدرته .

وهؤلاء النفاة من الجهمية والمعتزلة والأشعرية وان كانوا يطلقون على الخلق والرزق وغيرهما من أفعاله القول بالصفات الفعلية ، فان مرادهم بذلك باعتبار ما يخبر عنه تعالى من الكلام عن مخلوقاته المباينة له ، لا باعتبار ما يقوم بذاته من الأفعال . [٢]

وقد أثبت شيخ الاسلام صفتى الخلق والرزق لله تعالى ، وأنهما من صفاته الفعلية ، القائمة بذاته ، المتعلقة بمشيئته وقدرته . ومن الأدلة التى استدل بها [٣]، قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق)[٤]، وقوله تعالى (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٧٣/١٦ .

(٢) انظر: نفس المرجع : ٣٧٤/١٦ - ٣٧٥ .

(٣) نفس المرجع : ٣٦٤/١٦ - ٣٦٥ ، و ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٤) سورة العلق : ١ - ٢ .

من بعد خلق)[١]، وقوله تعالى (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون)[٢]، وقوله تعالى (الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم)[٣]، وقوله تعالى (الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين)[٤].

ومن الأدلة النقلية التى ساقها ابن تيمية يظهر أن الخلق والرزق من صفاته الفعلية ، ولذلك يقول رحمه الله : " الخلق والرزق من أفعاله فعلها بمشيئته وقدرته ، اذ يخلق بمشيئته ويرزق بمشيئته ".[٥]

وقصارى القول ، فان شيخ الاسلام يرى اثبات الخلق والرزق لله تعالى وأنهما من صفاته الفعلية القائمة بذاته حقيقة ، كما دل على ذلك النصوص الشرعية وأجمع عليه السلف ومن وافقهم ، رضى الله عنهم . وموقفه هذا موقف صائب ، فان الخالق والرازق لا يسمى خالقا رازقا الا بما يقوم به فعل هو الخلق والرزق حقيقة ، كما أن العالم والقادر لا يسمى عالما قادرا الا بما يقوم به من العلم والقدرة حقيقة ، فمن جعله خالقا رازقا باعتبار الأمور المباينة له من المخلوقات ، لا باعتبار ما يقوم به من الخلق والرزق يستلزم أن ينكر كونه خالقا رازقا حقيقة ، فيستلزم أن ينكر كونه ربا والها للعالمين .

---

(١) سورة الزمر : ٦ .

(٢) سورة الروم : ٤٠ .

(٣) سورة البقرة : ٢٢ .

(٤) سورة غافر : ٦٤ .

(٥) مجموع الفتاوى : ٦/٢٢٩ بتصرف .

(٢)

صفات الرحمة والمحبة والرضا والفرح

من الصفات الفعلية التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم: صفات الرحمة والمحبة والرضا والفرح.

وقد أثبت شيخ الاسلام هذه الصفات، ومن الأدلة النقلية التي استدل بها:[١]

قوله تعالى (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما)[٢]، وقوله (وكان بالمؤمنين رحيما)[٣] ، وقوله (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة، ان الله على كل شيء قدير، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون)[٤]، وقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم)[٥].

وقوله تعالى (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين)[٦]، وقوله (وأقسطوا ان الله يحب المقسطين)[٧]، وقوله (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)[٨]، وقوله (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله

---

(١) مجموع الفتاوى : ١٣٢/٣ - ١٣٣، و ١٣٨، ٢٢٥/٦ - ٢٢٦، و ٢٦٠ - ٢٦٢ .

(٢) سورة غافر : ٧ .

(٣) سورة الأحزاب: ٤٣ .

(٤) سورة العنكبوت : ٢٠ - ٢١ .

(٥) سورة الاسراء : ٥٤ .

(٦) سورة البقرة : ١٩٥ .

(٧) سورة الحجرات : ٩ .

(٨) سورة البقرة : ٢٢٢ .

يحب المتقين)[1]، وقوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)[2].

وقوله تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه)[3]، وقوله (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر، وان تشكروا يرضه لكم)[4].

وقوله صلى الله عليه وسلم : " لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم براحلته "، الحديث متفق عليه.[5]

والأدلة النقلية السابقة تفيد أن الرحمة والمحبة والرضا والفرح حصلت بالأعمال التي عملها العباد، فهي جزاء لها، والجزاء انما يكون بعد العمل، فهذه الصفات من صفاته المتعلقة بمشيئته وقدرته.

وقد استدل شيخ الاسلام على ثبوت هذه الصفات بطريق العقل أيضا، وتقرير ذلك : أنه اذا قدر موجودان أحدهما يرحم غيره فيجلب له المنفعة ويدفع عنه المضرة، ويحب صفات الكمال ويرضاها ويفرح بها، والآخر قد استوى عنده هذا وهذا ولا فرق عنده بين صفات الكمال وصفات

---

(١) سورة التوبة : ٧.

(٢) سورة آل عمران : ٣١.

(٣) سورة المائدة : ١١٩، سورة المجادلة : ٢٢، سورة البينة : ٨.

(٤) سورة الزمر : ٧.

(٥) رواه البخاري في كتاب الدعوات باب التوبة ١٠٢/١١، ومسلم في كتاب التوبة باب الحض على التوبة والفرح بها ٢١٠٣/٤ـ٢١٠٥. وتتمة الحديث كما في مسلم : " لله أشد فرحا بتوبة عبده، حين يتوب اليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك اذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح ". (صحيح مسلم ٢١٠٤/٤ـ٢١٠٥)

النقص، فلا يرحم لا هذا ولا هذا ، ولا يحب لا هذا ولا هذا ، ولا يرضى لا هذا ولا هذا ، ولا يفرح لا بهذا ولا بهذا ، كان العقل يقضي بأن الأول أكمل من الثاني .(١)

وموقف ابن تيمية من هذه الصفات هو اثباتها حقيقة لله تعالى كما يليق بجلاله ، بدون تأويل ولا تحريف ومن غير تمثيل ولا تكييف .

والمخالفون من الخلف ينكرون اثبات تلك الصفات لله حقيقة ، فمنهم من يجعلها عبارة عما يخلقه من النعمة والثواب ، ومنهم من يجعلها عبارة عن الارادة أو صفات أخر قديمة غير الارادة .(٢)

وشبهتهم في ذلك ، أن اثبات هذه الصفات لله تعالى حقيقة يستلزم النقص ، لأن الرحمة رقة تلحق المخلوق ، والمحبة والرضا والفرح تقتضي مناسبة بين طرفين والمناسبة بين الخالق والمخلوق نقص ، والله تعالى منزه عن النقص . بخلاف الارادة فانها يمكن اثباتها بطريق العقل ، لأن وجود التخصيص في المخلوقات دل على الارادة . (٣)

وقد عالج ابن تيمية هذه الشبهة من وجوه :

(أحدها) القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر ، فاذا أثبت النفاة صفة الارادة ، يلزمهم أن يثبتوا صفات الرحمة والمحبة والرضا والفرح ، لأنه لا فرق بين ما نفوه وما أثبتوه . فاذا أثبتوا له ارادة تليق به ، وللمخلوق ارادة تليق به ، يلزمهم كذلك أن يثبتوا له رحمة ومحبة ورضا وفرحا تليق به تعالى وللمخلوق رحمة ومحبة ورضا وفرحا تليق به .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٩٢/٦، و١١٥ و ١١٨ .

(٢) انظر: نفس المرجع : ١٧/٣ ، ١٣٤/٥، شرح العقيدة الأصفهانية ص ١٠ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ١٨/٣، ٦٩/٦، ٣٥٧/١١ ـ ٣٥٨ .

(الثانى) أن يقال : عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين ، بل السمع قد أثبت هذه الصفات ولم يعارض ذلك معارض عقلى ولا سمعى. وهذه الصفات يمكن اثباتها أيضا بنظير الدليل العقلى الذى أثبتوا به الارادة ، فيقال : نفع العباد بالاحسان اليهم يدل على الرحمة ، كما يدل التخصيص على الارادة ، واكرام الطائعين واثابة التائبين يدل على المحبة لهم والرضا عنهم والفرح بهم.

(الثالث) انا قدرأن هذه الصفات فى حق المخلوقين مستلزمة للنقص ، لم يجب فى حق الله تعالى أن تكون مستلزمة لذلك ، كما أن العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام فينا تستلزم من النقص والحاجة ما يجب تنزيه الله عنه. لأن الصفات تابعة للذات ، فصفاته تعالى كما يليق بذاته ، وصفات المخلوقين كما يليق بذواتهم.

(الرابع) أن يقال : المناسبة لفظ مجمل ، قد يراد بها التولد والقرابة فيقال : هذا نسيب فلان ويناسبه ، اذا كان بينهم قرابة مستندة الى الولادة والآدمية ، والله سبحانه منزه عن ذلك. ويراد بها المماثلة فيقال : هذا يناسب هذا أى يماثله ، والله سبحانه ليس كمثله شىء. ويراد بها الموافقة فى معنى من المعانى وضدها المخالفة ، والمناسبة بهذا الاعتبار ثابتة ، فان أولياء الله تعالى يوافقونه فيما يأمره فيفعلونه ، وفيما يحبه فيحبونه ، وفيما ينهى عنه فيتركونه ، وفيما يعطيه فيصيبونه ، والله وتر يحب الوتر ، جميل يحب الجمال ، عليم يحب العلم ، محسن يحب المحسنين ، الى غير ذلك من المعانى ، بل هو سبحانه يفرح بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد لراحلته عليها طعامه وشرابه فى الأرض المهلكة اذا وجدها بعد اليأس. فاذا أريد بالمناسبة هذا وأمثاله ، فهذه المناسبة حق ، وهى من صفات الكمال ، وليست من

صفات النقص، فلا يلزم بذلك نفي تلك الصفات . (١)

وقصارى القول: فان ابن تيمية يرى اثبات صفات الرحمة والمحبة والرضا والفرح لله تعالى كما أثبتها لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنها من صفات الكمال وليست من صفات النقص كما يزعم النفاة . وهذا الموقف الذي اتخذه ابن تيمية من هذه الصفات هو الصحيح، لموافقته لمنهج السلف ولمتابعته للنصوص الشرعية . كما يظهر من هذا الموقف تعظيمه لله تعالى، فان انكار صفات الرحمة والمحبة والرضا والفرح يستلزم انكار المشيئة، وانكار المشيئة يستلزم انكار كونه ربا خالقا، فصار اثبات هذه الصفات اثباتا لكمال ربوبيته واقرارا بعظمة ألوهيته .

يقول شيخ الاسلام في معرض حديثه لصفة المحبة :

" ... وانكار محبة العبد لربه هو في الحقيقة انكار لكونه الها معبودا، كما أن انكار محبته لعبده يستلزم انكار مشيئته، وهو يستلزم انكار كونه ربا خالقا، فصار انكارها مستلزما لانكار كونه رب العالمين ولكونه اله العالمين، وهذا قول أهل التعطيل والجحود ". (٢)

والعبد اذا شهد صفة الرحمة وتحقق ذلك " انبعثت قوة الرجاء من العبد، وانبسط أمله، وقوى طمعه، وسار الى ربه وحادى الرجاء يحدو ركاب سيره، وكلما قوى الرجاء جد في العمل " (٣)، كما أن العبد اذا شهد

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٧/٣ و ١٩، ١١٤/٦ - ١١٥، و ١١٧ - ١١٨، ١١/ ٣٥٨ - ٣٦١ ، شرح العقيدة الأصفهانية ص ١٠ - ١١ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٧٣/١٠ .

(٣) الفوائد لابن القيم، ص : ٩١ .

صفات المحبة والرضا والفرح ازدادت محبته لربه ورضاه به وذله له، فيجعله ذلك لأن يكون حريصا ومواظبا للامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه.

(٣)

صفات الغضب والبغض والسخط والكراهة

ومن الصفات الفعلية التى أثبتها الله لنفسه فى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم: صفات الغضب والبغض والسخط والكراهة.

وابن تيمية كما أثبت صفات الرحمة والمحبة والرضا والفرح، أثبت أيضا صفات الغضب والبغض والسخط والكراهة.

ومن الأدلة النقلية التى استدل بها [١]:

قوله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدله عذابا عظيما)[٢]، وقوله تعالى (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّلهم جهنم وساءت مصيرا)[٣]، وقوله تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه)[٤]، وقوله تعالى (ولكن كره الله انبعاثهم فثبّطهم)[٥].

فهذه الآيات القرآنية التى ساقها ابن تيمية تدل على اثبات

---

(١) مجموع الفتاوى : ١٣٣/٣ ، ٢٦١/٦ ـ ٢٦٢ .

(٢) سورة النساء : ٩٣ .

(٣) سورة الفتح : ٦ .

(٤) سورة محمد : ٢٨ .

(٥) سورة التوبة : ٤٦ .

صفات الغضب والسخط والكراهة، وأنها من صفاته تعالى المتعلقة بمشيئته وقدرته. ولم أقف على ما يستدل به ابن تيمية من الأدلة النقلية لاثبات صفة البغض بلفظه، وان كان في كلامه ما يشير الى اثبات هذه الصفة. (١)

ومن الأدلة على ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: "ان الله اذا أحب عبدا، دعا جبريل فقال: انى أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادى في السماء فيقول: ان الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. واذا أبغض عبدا، دعا جبريل فيقول: انى أبغض فلانا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادى في السماء: ان الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال: ثم توضع له البغضاء في الأرض"(٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "الأنصار لا يحبهم الا مؤمن، ولا يبغضهم الا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله"(٣). فهذان الحديثان فيهما اثبات صفة البغض، والمحبة معا.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٩٢/٦ و٩٤، ٣٥٧/١١ - ٣٦١.

(٢) رواه مالك في كتاب الشعر باب ما جاء في المتحابين في الله ٩٥٣/٢، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب اذا أحب الله عبدا حببه الى عباده ٢٠٣٠/٤، والترمذي في تفسير سورة مريم ٣١٨/٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند ٤٣٥/٢ - ٤٣٦، والبخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله عزوجل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) ٣٧١/٦، وفي كتاب التفسير باب (ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) ٣٩٥/٨-٣٩٦، ومسلم في كتاب الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٤/١-١٨٦، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب ما جاء في الشفاعة ٦٢٢/٤ - ٦٢٤، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد استدل ابن تيمية أيضا بطريق العقل، وتقرير ذلك كما يقول رحمه الله: "... اذا قدر اثنان: أحدهما يبغض المتصف بضد الكمال، كالظلم والجهل والكذب، ويغضب على من يفعل ذلك، والآخر لا فرق عنده بين الجاهل الكاذب الظالم وبين العالم الصادق العادل، لا يبغض لا هذا ولا هذا، ولا يغضب لا على هذا ولا على هذا، كان الأول أكمل".(١)

فصفات البغض والغضب، وكذلك السخط والكراهة، من صفات الكمال وليست من صفات النقص كما يزعم النفاة حتى لا يجوز اثباتها على الله تبارك وتعالى، ولذلك يقول شيخ الاسلام: "وأما الغضب مع الرضا والبغض مع الحب، فهو أكمل ممن لا يكون منه الا الرضا والحب، دون البغض والغضب للأمور المذمومة التى تستحق أن تذم وتبغض".(٢)

وموقفه من هذه الصفات هو اثباتها لله تعالى حقيقة كما يليق بجلاله، بدون تحريف ولا تعطيل وبدون تكييف ولا تمثيل. فلا يجوّز رحمه الله جعلها مجازا، بل لا بد من اثباتها كاثبات صفات الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام، لأن القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر، فلا فرق بين هذه الصفات وبين تلك الصفات.(٣) ولذلك يرد على النفاة الذين يجعلون هذه الصفات مجازا ويؤولونها ببعض المخلوقات من العقوبات أو بالارادة.

ومن رده على النفاة فى ذلك، يقول:

"... فان من نفى بعض ما وصف الله به نفسه كالرضا والغضب

---

(١) مجموع الفتاوى: ٩٢/٦.

(٢) نفس المرجع: ٩٤/٦.

(٣) انظر: نفس المرجع: ١٧/٣.

والمحبة والبغض ونحوذلك ، وزعم أن ذلك يستلزم التجسيم والتشبيه ، قيل له : فأنت تثبت له الارادة والكلام والسمع والبصر مع أن ما تثبته ليس مثل صفات المخلوقين ، فقل فيما أثبته مثل قولك فيما نفيته و أثبته الله ورسوله ، اذ لا فرق بينهما ، فان قال : أنا لا أثبت شيئا من الصفات ، قيل له : فأنت تثبت له الأسماء الحسنى مثل حي وعليم وقدير ، والعبد يسمى بهذه الأسماء ، وليس ما تثبت للرب من هذه الأسماء مماثلا لما تثبت للعبد ، فقل فى صفاته نظير قولك ذلك فى مسمى أسمائه ...".(١) وهكذا يمضى ابن تيميـة فى رده على نفاة الصفات التى أثبتها الشرع .

ومن الأمور التى سبق بيانها يتبين أن موقفه من صفات الغضب والبغض والسخط والكراهة كموقفه من صفات الرحمة والمحبة والرضا والفرح . وهذا موقف صائب لأنه موافق لما دل عليه النقل والعقل ولما أجمع عليه سلف الأمة رضى الله عنهم . وليس فى هذا الموقف تنقيص لله ، بل فيه تعظيم لجلاله واقرار له بكمال ربوبيته ، فان هذه الصفات من الصفات المتعلقة بمشيئته وقدرته ، فانكارها يستلزم انكار المشيئة والقدرة ، وانكارهما يستلزم انكار ربوبيته .

وهذه الصفات اذا شهدها العبد وتحقق أن الله متصف بها حقيقة كما يليق بجلاله " انقمعت النفس الأمارة بالسوء وبطلت أوضعفت قواها من الشهوة والغضب واللهو والحرص على المحرمات ، وانقبضت أعنة رعوناتها ، فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر"(٢) ، فيجتهد العبد لاجتناب ما يسخط ربه ويغضبه ، وابتعاد ما يكره الهه ويبغضه .

---

(١) منهاج السنة النبوية : ١/١٧٥ .

(٢) الفوائد لابن القيم ، ص : ٩٢ .

(٤)

صفتا الضحك والعجب

من الصفات الفعلية التي أقر شيخ الاسلام باثباتها : صفتا الضحك والعجب. ومن الأدلة التي استدل بها رحمه الله[1]:

قوله صلى الله عليه وسلم : " يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد". [2]

وقوله صلى الله عليه وسلم : " ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره"، فقال له أبو رزين: أويضحك الرب عز وجل، قال : " نعم "، قال : لن نعدم من رب يضحك خيرا . [3]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١٣٨/٣ - ١٣٩ ، ١٢٣/٦ - ١٢٤ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل ٣٩/٦، ومسلم في كتاب الامارة باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ١٥٠٤/٣، ومالك في كتاب الجهاد باب الشهداء في سبيل الله ٤٦٠/٢، وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٦٨/١، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ٢٣٤، والآجري في الشريعة ص ٢٧٧ - ٢٧٨، والنسائي في كتاب الجهاد باب اجتماع القاتل والمقتول في سبيل الله في الجنة ٣٦/٦، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
وفي رواية للنسائي : " ان الله عز وجل يعجب من رجلين يقتل أحدهما صاحبه " ٣٨/٦ .

(٣) رواه أحمد في المسند ١١/٤، و١٢، وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٦٤/١، وابن أبي عاصم في السنة ٢٤٤/١، والآجري في الشريعة ص ٢٨٠، والدارقطني في الصفات ص ٢٧ - ٢٨، من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه. قال ابن تيمية :"حديث حسن" (مجموع الفتاوى ١٣٩/٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم للذى آثر هو وامرأته ضيفهما :"لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك - من فلان وفلانة".(١)

وقوله صلى الله عليه وسلم : " يعجب ربك عز وجل من راعى غنم فى رأس الشظية للجبل يؤذن بالصلاة ويصلى فيقول الله عز وجل: انظروا الى عبدى هذا يؤذن ويقيم يخاف شيئا قد غفرت له وأدخلته الجنة".(٢)

فهذه الأحاديث التى استدل بها شيخ الاسلام ابن تيمية تفيد اثبات صفتى الضحك والعجب ٠

وفى رأى ابن تيمية أن هاتين الصفتين من صفات الكمال ،وليست من صفات النقص كما يزعم النفاة٠ فان من يضحك مما يضحك ، ويتعجب مما يتعجب منه ، تعظيما له لخروجه عن نظائره ، أكمل ممن لا يضحك ولا يتعجب قط ٠ وقد جعل الأعرابى أبو رزين العقيلى ضحكه - كما فى الحديث الذى سبق ايراده - دليلا على احسانه وانعامه ، فدل على أنه مقرون بالاحسان المحمود وأنه من صفات الكمال ٠

واذا كان الضحك والعجب فينا مستلزمين لشئ من النقص ، فالله تعالى منزه عن ذلك ، لأن حقيقة الضحك والعجب مطلقا ليست مقرونة

---

(١) رواه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار باب قول الله عز وجل (ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة) ١١٩/٧، وفى كتاب التفسير باب (ويؤثرون على أنفسهم) الآية ٦٣١/٨، ورواه ابن أبى عاصم فى السنة ٢٥٠/١، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه٠

(٢) رواه أحمد فى المسند ١٤٥/٤ و ١٥٧، و رجال اسناده ثقات الا ابن لهيعة، صدوق ٠ انظر: تقريب التهذيب ٤٤٤/١٠ ورواه أيضا ابن أبى عاصم فى السنة ٢٥٠/١، وقال الألبانى فى تخريجه : " اسناده جيد".

بالنقص ، ومعلوم أن الصفات تابعة للذات ، فاذا كانت لله تعالى صفات كما يليق بذاته المقدسة ، ولنا صفات كما يليق بذواتنا المقرونة بالنقص ، كذلك له الضحك والعجب كما يليق بذاته ولنا الضحك والعجب كما يليق بذواتنا . (١)

والرأى الذى ذهب اليه شيخ الاسلام هو الصواب ، لأن هاتين الصفتين لولم تكونا من صفات الكمال لما أثبتها الشرع لله تعالى ، واثبات الشرع دليل على أنهما من صفات الكمال الثابتة لله عز وجل ، وليست من صفات النقص .

ومما تقدم بيانه يتبين أن موقف ابن تيمية من هاتين الصفتين هو اثباتهما على ما يليق بجلاله تبارك وتعالى ، وهو الموقف الموافق للحق الذى نطق به الشرع وأجمع عليه السلف ، فانهم أجمعوا على اثبات ما وصف الله به نفسه فى كتابه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بدون تأويل ولا تحريف ، ومن غير تمثيل ولا تكييف .

(٥)

صفة الاستواء على العرش

ومن الصفات الفعلية التى أثبتها الله لنفسه : استواؤه تعالى على العرش . وقد أجمع السلف رضى الله عنهم ، ومن وافقهم ، على اثبات هذه الصفة لله كما يليق بجلاله بدون تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل . ومما يدل على ذلك :

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى : ٦/١٢١ ـ ١٢٤ .

قول الحافظ أبى عثمان الصابونى :

" وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رحمهم الله لم يختلفوا فى أن الله تعالى على عرشه ، وعرشه فوق سماواته ، يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى ، ويؤمنون به ، ويصدقون الرب جل جلاله فى خبره ، ويطلقون ما أطلقه سبحانه من استوائه على العرش ، ويمرونه على ظاهره ، ويكلون علمه الى الله ...". (١)

وقول القرطبى(٢) فى تفسير قوله تعالى (ثم استوى على العرش)(٣) :

" ... وقد كان السلف الأول رضى الله عنهم لا يقولون بنفى الجهة ، ولا ينطقون بذلك ، بل نطقوا هم والكافة باثباتها لله تعالى ، كما نطق كتابه وأخبرت رسله ، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة ، وانما خص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته ، وانما جهلوا كيفية الاستواء ، فانه لا تعلم حقيقته ...". (٤)

فهذه النصوص التى أوردتها تدل على اجماع السلف على اثبات استواء الله على العرش حقيقة كما يليق بجلاله .

وشيخ الاسلام ابن تيمية قد أثبت هذه الصفة ، ومن الأدلة التى استدل بها رحمه الله(٥) : قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)(٦) ،

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ، ص : ١٥ - ١٦ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى الأندلسى القرطبى ، المتوفى سنة ٦٧١ هـ . انظر : الأعلام ٣٢٢/٥ ، معجم المؤلفين ٢٣٩/٨ .

(٣) سورة الأعراف : ٥٤ .

(٤) تفسير القرطبى : ٢١٩/٧ .

(٥) مجموع الفتاوى : ١٣٥/٣ - ١٣٦ .

(٦) سورة طه : ٥ .

وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) فى ستة مواضع.(١)

وموقفه من صفة الاستواء كموقفه من سائر الصفات التى وصف الله بها نفسه ، وهو اثباتها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، فلا يجوز نفى استوائه كما لا يجوز تمثيله باستواء المخلوقين. يقول رحمه الله : " ولله استواء على عرشه حقيقة ، وللعبد استواء على الفلك حقيقة ، وليس استواء الخالق كاستواء المخلوقين ، فان الله لا يفتقر الى شيء ، ولا يحتاج الى شيء ، بل هو الغنى عن كل شيء". (٢)

والمخالفون من النفاة يؤولون استواءه تعالى على العرش ، ومثال ذلك تأويلهم (استوى) بـ " استولى ". وقد رد شيخ الاسلام هذا التأويل ، الذى هو فى الحقيقة تحريف الكلم عن مواضعه ، وأبطله من عدة وجوه :

(أحدها) أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف ، وأول من قال ذلك بعض الجهمية والمعتزلة. وأما السلف فكانوا يفسرونه بما يتضمن الارتفاع على العرش ، كما ذكر البخارى فى صحيحه عن أبى العالية فى قوله تعالى (ثم استوى الى السماء)(٣) قال : ارتفع ، وعن مجاهد فى قوله (ثم استوى على العرش) قال : علا على العرش .(٤) وقال البغوى(٥)

---

(١) سورة الأعراف : ٥٤ ، سورة يونس : ٣ ، سورة الرعد : ٢ ، سورة الفرقان : ٥٩ ، سورة السجدة : ٤ ، سورة الحديد : ٤.

(٢) مجموع الفتاوى : ١٩٩/٥ .

(٣) سورة البقرة : ٢٩ ، سورة فصلت : ١١.

(٤) انظر : صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى : ٤٠٣/١٣ .

(٥) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء ، أو ابن الفراء البغوى الشافعى ، المتوفى سنة ٥١٠ ، وقيل سنة ٥١٦ هـ . انظر : وفيات الأعيان ١٣٦/٢ ، الأعلام ٢٥٩/٢ ، معجم المؤلفين ٦١/٤ .

في تفسيره[1]: "(ثم استوى الى السماء) قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف أي ارتفع الى السماء". وروى البيهقي عن الفراء قال[2]: "وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم استوى: صعد". (٣)

(الثاني) أن معنى هذه الكلمة مشهور، ولذلك لما سئل ربيعة ابن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس عن قوله (الرحمن على العرش استوى) قالا: "الاستواء معلوم والكيف مجهول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، ولا يريدان: الاستواء معلوم في اللغة دون الآية، لأن السؤال عن الاستواء في الآية.

(الثالث) أنه اذا كان معلوما في اللغة التي نزل بها القرآن كان معلوما في القرآن.

(الرابع) أنه لولم يكن معنى الاستواء في الآية معلوما لم يحتج أن يقول: الكيف مجهول، لأن نفي العلم بالكيف لا ينفي الا ما قد علم أصله، كما نقول: "انا نقر بالله ونؤمن به، ولا نعلم كيف هو". (٤)

---

(١) تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن: ٤٤/١.
وقال البغوي في تفسيره لقوله تعالى (ثم استوى على العرش): "قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد. وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء. فأما أهل السنة يقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم فيه الى الله عز وجل". نفس المرجع: ٢٣٧/٢.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي، ص: ٥٢٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ١٤٤/٥، شرح العقيدة الأصفهانية، ص: ٢٨، درء تعارض العقل والنقل: ٢٠/٢ - ٢١.

(٤) مجموع الفتاوى: ١٤٤/٥ - ١٤٥.

(الخامس) أن الاستواء لو كان المراد منه الاستيلاء، لكان مستويا على جميع المخلوقات، ولكان مستويا على العرش قبل أن يخلقه دائما . وقد أخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، فمعلوم أن الاستواء مختص بالعرش بعد خلق السموات والأرض.(١)

(السادس) أنه لم يثبت أن لفظ " استوى " في اللغة بمعنى استولى، اذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا : انه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة . وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحتاج الى صحته ، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف اسناده ، وقد طعن فيه أئمة اللغة.(٢)

(السابع) أنه روي عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا : لا يجوز استوى بمعنى استولى الا فيما كان منازعا مغالبا ، فاذا غلب أحدهما صاحبه قيل: استولى . والله سبحانه وتعالى لم ينازعه أحد في العرش ، فامتنع أن يكون بمعنى استولى .(٣)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ١٤٥/٥ و ٢٦٦ :

(٢) انظر: نفس المرجع : ١٤٦/٥ .

(٣) انظر: نفس المرجع : ١٤٦/٥ - ١٤٧ .

وقد سأل ابن الأعرابي رجل فقال: ما معنى قول الله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) ؟ فقال ابن الأعرابي : هو على عرشه كما أخبر، فقال : يا أبا عبد الله انما معناه استولى ، فقال ابن الأعرابي: ما يدريك ؟ العرب لا تقول : استولى على الشيء حتى يكون له مضادّ، فأيهما غلب فقد استولى . (لسان العرب لابن منظور : ٤١٤/١٤).

(الثامن) أن لفظ الاستواء الذي تكرر ذكره في الكتاب والسنة، معلوم معناه علما ظاهرا بين الصحابة والتابعين وتابعيهم، فيكون التفسير المحدث بعده باطلا قطعا.[1]

الى غير ذلك من وجوه الابطال التي ذكرها ابن تيمية، مما يوضح لنا أن تأويل الاستواء بالاستيلاء باطل لا يجوز القول به.

هذا، وقد اعترض ابن تيمية أيضا على من قال بأن الاستواء يحتمل معاني متعددة. وهذا القول في نظره مجمل، لأن الاستواء تتنوع معانيه بحسب ما يتصل به من الصلات، فان قول القائل " استوى على كذا " له معنى، وقوله " استوى الى كذا " له معنى، وقوله " استوى وكذا " له معنى، وقوله " استوى " - بالاطلاق، بدون حرف يتصل به - له معنى. وأما " استوى على كذا " فليس في القرآن ولغة العرب المعروفة الا بمعنى واحد، فقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)[2] نص في معنى واحد، لا يحتمل معنى آخر.[3]

ومن الأمور التي ذكرها رحمه الله يتضح لنا أن الاستواء على العرش ليس له معنى الا ما يتضمن الارتفاع والعلو على العرش، وهذا المعنى هو الذي يصححه الشرع واللغة واجماع سلف الأمة رضي الله عنهم.

وبالجملة، فان شيخ الاسلام ابن تيمية في موقفه من صفة الاستواء على العرش أثبت هذه الصفة لله تعالى حقيقة كما يليق بجلاله، بدون تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وهذا الموقف الذي

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ١٤٨/٥.

(٢) سورة طه، ٥.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ٣٧٤/١٧.

اتخذه رحمه الله موقف ماثب لموافقته للحق الذى نطق به الكتاب والسنة، ودل عليه اللغة، وأجمع عليه السلف ٠

وفى اثبات استواء الله على العرش حقيقة على ما يليق بجلاله، كما ذهب اليه السلف واقتدى بهم شيخ الاسلام، اثبات لعلوه سبحانه على خلقه٠ فنفى الاستواء على العرش يستلزم نفى علوه وفوقيته على خلقه، ونفى ذلك يستلزم تعطيل وجود رب العالمين وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم٠ ولذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: " ٠٠٠ ومن قال انه ليس على العرش رب، ولا فوق السموات خالق، بل ما هنالك الا العدم المحض والنفى الصرف، فهو معطل جاحد لرب العالمين، مثاه لفرعون الذى قال (يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا)[1]٠٠٠"٠[2]

(٦)

صفة النزول الى السماء الدنيا

ومن صفاته تعالى الفعلية التى أثبتها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم: نزوله تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا ٠

وقد اتفق السلف الصالح رضى الله عنهم ومن وافقهم على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول، كما قال الحافظ الصابونى:

" ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف،

---

(١) سورة غافر: ٣٦ ـ ٣٧ ٠

(٢) التسعينية: ص ١٢٢ ٠

بل يثبتون ما أثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينتهون فيه اليه، ويمرّون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه الى الله". (١)

فالسلف رضى الله عنهم كانوا يثبتون نزوله تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حقيقة، بدون تمثيل وتكييف.

وقد أثبت شيخ الاسلام ابن تيمية هذه الصفة أيضا، كما أثبت الصفات السابقة الذكر، بدون تحريف ولا تعطيل، وبدون تكييف ولا تمثيل. والدليل النقلى الذى احتج به(٢)، قوله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعونى فأستجيب له، من يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له؟".(٣)

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص: ٢٦ - ٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٣٨/٣.

(٣) رواه أحمد فى المسند ٢٦٤/٢ و٢٦٧ و٤٨٧ و٥٠٤، ومالك فى كتاب القرآن باب ما جاء فى الدعاء، والبخارى فى كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة آخر الليل ٢٩/٣، وفى كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل ١٢٨/١١، وفى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ٤٦٤/١٣، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل والاجابة فيه ٥٢١/١ - ٥٢٢، وأبو داود فى كتاب الصلاة باب أى الليل أفضل ١٩٩/٤، وفى كتاب السنة باب فى الرد على الجهمية ٥٨/١٣، والترمذى فى كتاب الصلاة باب فى نزول الرب عزوجل الى السماء الدنيا كل ليلة ٣٠٧/٢ - ٣٠٩ وقال: وقد روى هذا الحديث من أوجه كثيرة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم، ورواه أيضا فى كتاب الدعوات ٥٢٦/٥، ورواه ابن ماجه فى كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء فى أى ساعات الليل أفضل ٤٣٥/١، والدارمى فى كتاب الصلاة باب ينزل الله الى السماء الدنيا ٣٤٦/١ - ٣٤٧، وقد روى هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرة من الصحابة، فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث، (انظر: مجموع الفتاوى ٤٧٠/٥)، قال الترمذى: " وفى الباب عن على ابن أبى طالب وأبى سعيد ورفاعة الجهنى وجبير بن مطعم وابن مسعود وأبى الدرداء وعثمان بن أبى العاص" (٣٠٨/٢-٣٠٩ و ٥٢٦/٥).

قال ابن تيمية رحمه الله :

" فان وصفه سبحانه و تعالى فى هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات ، كوصفه بالاستواء الى السماء وهى دخان ، ووصفه بأنه خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، ووصفه بالاتيان والمجيء ... وأمثال ذلك من الأفعال التى وصف الله تعالى بها نفسه ..." .(١)

ولما كان هذا هو الموقف الذى اتخذه ابن تيمية من صفاته تبارك وتعالى ، فقد ردّ رحمه الله تأويل نزوله تعالى بمعنى يتضمن نفى حقيقة نزوله ، كتأويل النفاة نزوله تعالى بنزول أمره ورحمته . ومثل هذا التأويل فى وجهة نظره باطل من عدة وجوه :

(أحدها) أن الأمر والرحمة اما أن يراد بها أعيان قائمة بنفسها كالملائكة واما أن يراد بها صفات وأعراض . فان أريد الأول، فالملائكة تنزل الى الأرض فى كل وقت ، وقد خص هذا الحديث نزوله تعالى بجوف الليل ، وجعل منتهاه السماء الدنيا ، والملائكة لا يختص نزولهم لا بهذا الزمان ولا بهذا المكان. وان أريد الثانى، مثل ما يحصل فى قلوب العابدين فى وقت السحر من الرقة والتضرع وحلاوة العبادة ونحو ذلك فهذا حاصل فى الأرض ، وليس منتهاه السماء الدنيا .

(الثانى) أنه يقول : " من يسألنى فأعطيه ، من يدعونى فأستجيب له ، من يستغفرنى فأغفر له ؟" ، ومعلوم أنه لا يعطى كل سائل سؤاله ولا يجيب دعاء الداعى ولا يغفر الذنوب الا الله . وأما أمره ورحمته فلا تفعل شيئا من ذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٣٢٣/٥ - ٣٢٤ .

(الثالث) أن هذه العبارة لا يجوز أن يقولها ملك عن الله ، بل الملك اذا نادى عن الله لا يتكلم بصيغة المخاطب ، بل يقـــول : ان الله أمر بكذا أو قال كذا ، كما ثبت فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فيقول: انى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء فيقول: ان الله يحب فلانا فأحبـــوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض ..."(١) ، فقــــد بيّن النبى صلى الله عليه وسلم الفرق بين نداء الله ونداء جبريل ، فقال فى نداء الله : " انى أحب فلانا فأحبه " ، وقال فى نداء جبريل: " ان اللـــه يحب فلانا فأحبوه " . وهذا موجب اللغة ، فان ضـــمير المتكلم لا يقـــوله الا المتكلم ، فأما من أخبر عن غيره فانما يأتى باسمه الظاهر أو ضـــمير الغيبة . وهذا التأويل من التأويلات القديمة للجهمية ، فانهـــم تأولوا تكليم الله لموسى بأنه أمر ملكا فكلمه .

هذه من الأمور التى ذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية لا بطـــال تأويل النفاة لنزوله تعالى(٢) ، وبذلك يتبين لنا أنه لا بد من اثبات هذه الصفة لله حقيقة كما يليق بجلاله بدون تمثيل ولا تكييف ، وبدون تعطيل ولا تحريـــف .

ثم هناك سؤال وهو أنه اذا أثبتنا لله تعالى نزوله حقيقـــة ، فهل يخلو منه العرش أو لا يخلو ؟

فالصواب ، فى رأى ابن تيمية ، أنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو منه العرش مع نزوله الى السماء الدنيا ، لأن نزوله ليس كنزول أجســـام

---

(١) سبق تخريجـــه ، انظر : ص ٣٩٦ ، فى الهامش ، رقم (٢) .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٧٠/٥ - ٣٧١ ، و ٣٧٢ - ٣٧٣ ، و ٤١٥ - ٤١٨ .

بني آدم من السطح الى الأرض بحيث يبقى السقف فوقهم ، بل الله منزه عن ذلك . وهذا المذهب - عنده - هو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها .(١)

واستدل رحمه الله على ذلك بما نقل عن الامام أحمد واسحاق ابن راهويه(٢) وحماد بن زيد وغيرهم .

فقد كتب الامام أحمد بن حنبل رسالة الى مسدد بن مسرهد(٣) تلبية لطلبه لما أشكل عليه أمر السنة وما وقع فيه الناس من القدر والرفض والاعتزال والارجاء وخلق القرآن . ومما كتب اليه : " بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، - ثم ذكر فيها - : وينزل الى السماء الدنيا ولا يخلو منه العرش ... ".(٤)

وسأل بشر بن السرى حماد بن زيد فقال : يا أبا اسماعيل ! الحديث الذى جاء " ينزل الله الى سماء الدنيا " أيتحول من مكان الى مكان ؟ فسكت حماد بن زيد ، ثم قال : هو فى مكانه يقرب من خلقه كيف شاء ".

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى : ٣٩٦/٥ و ٤١٥ .

(٢) أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلى التميمى المروزى ، المعروف بابن راهويه ، عالم خراسان فى عصره . ولد سنة ١٦١ وتوفى سنة ٢٣٨ هـ . انظر فى ترجمته : وفيات الأعيان ١٩٩/١ - ٢٠١ ، تهذيب التهذيب ٢١٦/١ - ٢١٩ ، شذرات الذهب ٨٩/٢ ، الأعلام ٢٩٢/١ ، معجم المؤلفين ٢٢٨/٢ .

(٣) أبو الحسن مسدد بن مسرهد بن مسربل الأسدى البصرى ، المتوفى سنة ٢٢٨ هـ . انظر فى ترجمته : تهذيب التهذيب ١٠٧/١٠ - ١٠٩ ، شذرات الذهب ٦٦/٢ ، الأعلام ٢١٥/٧ .

(٤) وقد طعن بعض العلماء فى هذه الرسالة بزعم أن راويها عن أحمد بن حنبل مجهول لا يعرف . ورد شيخ الاسلام ابن تيمية على هذا الطعن ، فذكر أن هذه الرسالة مشهورة عند أهل الحديث والسنة من أصحاب أحمد وغيرهم ، وتلقوها بالقبول . وقد ذكرها ابن بطة فى كتاب الابانة واعتمد عليها غير واحد كالقاضى أبى يعلى وكتبها بخطه . انظر : مجموع الفتاوى : ٣٧٥/٥ و ٣٩٦ .

وقال اسحاق بن راهويه : " دخلت على عبد الله بن طاهر[1]، فقال: ما هذه الأحاديث التي تروونها ، قلت : أي شيء، أصلح الله الأمير؟ قال : تروون أن الله ينزل الى السماء الدنيا . قلت : نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام. قال : أينزل ويدع عرشه ؟ قال : فقلت : يقدر أن ينزل من غير أن يخلو العرش منه ؟ قال : نعم، قلت : ولم تتكلم في هذا ؟".

هذه من نصوص كلام السلف الذي استدل به ابن تيمية[2]، ويتبين من ذلك أنهم كانوا يثبتون أنه سبحانه ينزل كيف شاء ويقرب من عباده كيف شاء من غير أن يخلو منه العرش.

وقد استدل ابن تيمية أيضا على صحة هذا المذهب بمثل من الروح - ولله المثل الأعلى. فان الروح تعرج الى السماء، كما جاء في الأخبار الصحيحة، وهي مع ذلك لم تفارق البدن ولا يخلو منها. ومعلوم أن عروجها ليس من جنس عروج البدن الذي يمتنع هذا فيه. وعروج الملائكة ونزولها من جنس عروج الروح ونزولها ، لا من جنس عروج البدن ونزوله. فاذا وصفت الروح من ذلك بما يستحيل اتصاف البدن به ، كان جواز ذلك في حق الرب تبارك وتعالى أولى من جوازه من المخلوق كأرواح الآدميين والملائكة. فنزوله سبحانه مع عدم خلو العرش منه فوق هذا كله، وأجل من هذا كله، وأبعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق . ومن ظن أن ما يوصف به الرب عز وجل لا يكون الا مثل ما توصف به أبدان بني آدم،

---

(١) أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي، أمير خراسان ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. ولد سنة ١٨٢ هـ ، وتوفي سنة ٢٣٠ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٨٣/٣ - ٨٩، الأعلام ٩٣/٤ - ٩٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ٣٧٥/٥ - ٣٧٨، و٣٨٠ - ٣٨١ .

فغلطه أعظم من غلط من ظن أن ما توصف به الروح مثل ما توصف به الأبدان. (١)

وبالجملة، فان موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من هذه الصفة هو اثباتها لله حقيقة كما يليق بجلاله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وأنه سبحانه اذا نزل الى السماء الدنيا لا يستلزم أن يخلو منه العرش حتى يقال انه تحت العرش، بل هو فوق العرش وينزل كيف شاء من غير أن يخلو منه العرش، فهو سبحانه العلي الأعلى في نزوله ودنوه من بعض مخلوقاته. وموقفه هذا موقف صائب لموافقته للدليل النقلي من السنة، ولمتابعته في ذلك منهج السلف رضي الله عنهم. ويظهر من موقفه هذا تعظيمه لله تعالى لما فيه من اثبات عموم مشيئته وكمال قدرته.

أما بعد، فمن الصفات الفعلية التي ذكرت أمثلة منها، يمكن استخلاص هذا المبحث أن موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الصفات الفعلية، اللازمة منها والمتعدية، التي أثبتها الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم هو: الاقرار بها واثباتها لله كما يليق بجلاله بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. ويتضح من هنا أنه ملتزم بمنهج السلف رضي الله عنهم الذي رجحه ونصره على غيره من مناهج الخلف. وليس في موقفه هذا شيء من التنقيص كما يزعم المخالفون من النفاة، بل فيه اثبات كمال ربوبيته وألوهيته، لأن انكار الصفات الفعلية يستلزم انكار المشيئة والقدرة، المستلزم لانكار كونه ربا للعالمين، وكونه الها للعالمين.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ٥/٤٥٨-٤٥٩ .

ـ((الفصل السادس))ـ

ـ((شبهة حول موقف ابن تيمية من قضية))ـ
الصفـــات

الفصل السادس

شبهة حول موقف ابن تيمية من قضية الصفات

عرفنا مما سبق بيانه أن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله أثبت جميع الصفات التى أثبتها الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. فلا يقتصر على اثبات الصفات السبع المتفق على اثباتها بين السلف والخلف، بل أثبت جميع الصفات التى دل عليها الكتاب والسنة وأجمع على اثباتها سلف الأمة رضى الله عنهم.

وبعد دراستى لموقف ابن تيمية من صفات الله تبارك وتعالى، يتضح لى أن هذا الموقف هو الموافق للحق الذى نطق به الكتاب والسنة وسار عليه السابقون الأولون من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان رضوان الله عليهم أجمعين.

ولكن، أثار بعض المخالفين لمنهج السلف شبهة حول موقفه هذا، وتلك الشبهة هى أن هذا الموقف الذى اتخذه رحمه الله فيه نوع من التجسيم والتشبيه.

وهذه الشبهة يتمثل سببها فى أمرين : (١)

أحدهما : خطأ الفهم لمنهج ابن تيمية فى صفاته تعالى،

الثانى : الافتراء والكذب عليه.

وأما السبب الأول، فقد زعم بعضهم، نتيجة لخطأ فهمه لمنهج ابن تيمية فى الصفات، أن المنهج الذى طبقه رحمه الله فى الصفات

---

(١) وانظر ما يدل على ذلك : الامام ابن تيمية وقضية التأويل، للدكتور محمد السيد الجلينيد، ص : ٣٤٤ و ٣٤٦ .

الالهية يلزم منه التجسيم والتشبيه. ولذلك اتهمه بعضهم بأنه مجسم(١)، بل عده بعضهم بأنه من فرقة المجسمة والمشبهة(٢).

والذى يترجح عندى أن الذى جعلهم يزعمون هذا الزعم هو اثباته جميع الصفات - التى دل عليها الكتاب والسنة وأثبتها سلف الأمة - لله تعالى حقيقة على ظاهرها، ورفضه فى ذلك التأويل، وامساكه عن اطلاق لفظ الجسم والجهة والحيز وغيرها من الألفاظ المبتدعة نفيا واثباتا.

وهذا الزعم لا أساس له من الصحة، وذلك لأمور آتية:

(الأول) أن القرآن الكريم والسنة النبوية وضعا أمامنا آيات وأحاديث فى تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، مثل قوله تعالى (ليس كمثله شيء)(٣)، وقوله تعالى (هل تعلم له سميا)(٤)، وقوله تعالى (ولم يكن له كفوا أحد)(٥)، ومع ذلك فقد ذكرا جميع الصفات التى وصف الله بها نفسه المقدسة من الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والعلو والاستواء والنزول والمحبة والرحمة والغضب والبغض والوجه واليد والعين وغيرها من الصفات. فانا أقر المؤمن بأن الله تعالى موصوف بهذه الصفات حقيقة، لا مجازا، كما يليق بجلاله،

---

(١) ومثال ذلك ماكتبه منصور محمد محمد عويس فى كتابه: "ابن تيمية ليس سلفيا"، ص ٦٧ ومابعدها، فانه اتهمه بأنه مجسم.

(٢) ومثال ذلك ماذكره كياهى الحاج سراج الدين عباس فى كتابه: "اعتقاد أهل السنة والجماعة" - باللغة الاندونيسية - ص ٢٤، فانه بعد أن أحصى الفرق الاسلامية وأنها بلغت ثلاثا وسبعين فرقة، ذكر أن ابن تيمية ومن حذا حذوه من فرقة المجسمة والمشبهة. وانظر أيضا: نفس المرجع، ص ٢٦١ - ٢٦٩.

(٣) سورة الشورى: ١١.

(٤) سورة مريم: ٦٥.

(٥) سورة الاخلاص: ٤.

بدون تمثيل ولا تكييف ، فليس فى ذلك شيء من التجسيم والتشبيه ، بل انه مصيب لأنه متبع لما جاء به الكتاب والسنة.[1]

(الثانى) أن لفظ "الظاهر" أو "الحقيقة" الذى استخدمه ابن تيمية فى اثبات الصفات الالهية ، فان المراد به هو الظاهر أو الحقيقة كما يليق بجلال الله تبارك وتعالى ، وليس كما يليق بالمخلوقين الذى فهمه النفاة أو أهل التأويل . وقد عالج ابن تيمية شبهة هذا اللفظ عند دراستنا لموقفه من شبهات الخلف .

(الثالث) ان ابن تيمية رحمه الله صرح كثيرا فى مؤلفاته وفتاواه بنفى التمثيل والتكييف فى اثباته لصفات الله تعالى . فهذا يدل على أن منهجه ليس منهج التشبيه ولا التمثيل ولا التجسيم .

(الرابع) وأما رفضه لتأويل المتكلمين ، فلأن هذا التأويل الذى ادعوه تأويل الجهمية الذى رد عليه السلف والأئمة ، كما بيّن ذلك ابن تيمية . وهذا التأويل هو فى الحقيقة تحريف الكلم عن مواضعه ، لأنه ازالة اللفظ عما دل عليه من المعنى . وليس هناك دليل شرعى ولا عقلى يدل على أنه يجب تأويل تلك الصفات ، كما أنه ليس هناك نص من كلام السلف يوجب ذلك ، بل انهم أجمعوا على أنه لا بد من امرار آيات الصفات وأحاديثها كما وردت بلا كيف .

(الخامس) وأما عدم اطلاق شيخ الاسلام الألفاظ كالجسم والجهة والحيز، لا نفيا ولا اثباتا ، فلأنها - فى رأيه - ألفاظ مبتدعة لعدم ورود الشرع بها ، وهى مجملة قد يتضمن معنى حقا أو معنى باطلا ، فاثباتها قد يتضمن اثبات باطل، ونفيها قد يتضمن نفى حق ، ولذلك

---

(١) انظر: الامام ابن تيمية وقضية التأويل ، ص : ٣٤٠ .

يراعي شيخ الاسلام ألفاظ القرآن والسنة فيما يثبته لله، وفيما ينفيه عنه، ولا يأتي بلفظ مبتدع مجمل في الاثبات والنفي. وهذا موقف ماثب، لأنه بذلك يتحرى الحق الذي نطق به الشرع. ولا يلزم من هذا الموقف تجسيم ولا تشبيه كما يزعم المخالفون، بل يعد هذا الموقف تطبيقا أمينا لمنهج السلف رضي الله عنهم.

(السادس) انه اذا اعتقد المخالف أن ما نهجه ابن تيمية يلزم منه التجسيم والتشبيه، يلزمه كذلك أن يعتقد أن ما نهجه القرآن والسنة وما نهجه السلف الصالح يلزم منه التجسيم والتشبيه. فمن ألزم ابن تيمية بالتجسيم والتشبيه فقد ألزم الله ورسوله وسلف هذه الأمة بذلك، لأن منهجه - كما يتضح مما تقدم بيانه - هو الاتباع وليس الابتداع.

ومن الأمور المذكورة يظهر أن ما ادعاه المخالفون أن موقف شيخ الاسلام ابن تيمية يلزم منه التجسيم والتشبيه ادعاء باطل، لا أساس له من الدليل.

وأما السبب الثاني، فقد افترى عليه بعض المخالفين له أكذوبة وفرية حول موقفه هذا، وذلك لاثارة الناس ضده، والتشنيع على مذهبه، وتشويه سمعته، وصد المؤمنين عن كتبه ومؤلفاته التي نطقت بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

ومثال ذلك: الأكذوبة التي ذكرت في رحلة ابن بطوطة[1]، وهي قوله عن شيخ الاسلام ابن تيمية: "... وكنت اذ ذاك بدمشق، فحضرته

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي، الطنجي، المعروف بابن بطوطة. ولد سنة ٧٠٣ وتوفي سنة ٧٧٩ هـ.
انظر: الأعلام ٦/٢٣٥ - ٢٣٦، معجم المؤلفين ١٠/٢٣٥ - ٢٣٦.

يوم الجمعة ، وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم ، فكان من جملة كلامه أن قال : ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولى هذا ، ونزل درجة من درج المنبر...".(١)

ومن العجيب أن هذه الأكذوبة أخذها عنه بعض الدارسين وجعلها قضية مسلمة يرويها ويتوارثها الى عصرنا هذا بدون دراستها وتحقيقها فى ضوء أصول البحث العلمى.(٢)

وهذا القول المكذوب باطل من عدة وجوه :

(أحدها) أن ابن بطوطة فى أول كلامه عن ابن تيمية قد أعلن عداءه له ، فقال : " وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقى الدين ابن تيمية ، كبير الشام ، يتكلم فى الفنون الا أن فى عقله شيئا ، وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ويعظهم على المنبر..."(٣)، فليس من المستحيل اذا كان هذا كلامه ، أن لا يقف ازاء هذا العالم موقف منصف بحيث يزن الأمور بميزان الشرع والعقل ، ولا يزنها بميزان الشيطان والهوى .

(الثانى) أن ابن بطوطة يعوزه التحقيق والدقة فيما ذكره فى رحلته ، ومن ذلك قوله : " ...وقرأت فى فضائل دمشق عن سفيان الثورى أن

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص : ٩١ .

(٢) ومثال ذلك : أن دائرة المعارف الاسلامية قد ترجمت لابن تيمية ترجمة بقلم الأستاذ محمد بن شنب ونقلت عبارة ابن تيمية المذكورة ، وكذلك نقل كيا هى الحاج سراج الدين عباس هذه العبارة بمعناها فى كتابه " اعتقاد أهل السنة والجماعة " السالف الذكر، ص ٢٦٣ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ص : ٩٠ .

الصلاة فى مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة ..."،[1] فان هذا لا يقال من قبل الرأى، وسفيان الثورى أجل من أن يفضله على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين، وهما لم يبلغ الثواب فيهما هذه الدرجة.[2] ومن ذلك ما ذكره ابن بطوطة أيضا أن ابن تيمية صنف فى السجن كتابا فى تفسير القرآن سماه بـ" البحر المحيط " فى نحو أربعين مجلدا[3]، ولم أجد من المترجمين لابن تيمية - من تلاميذه أو معاصريه - من ذكر أنه صنف هذا التفسير بنحو هذا الاسم[4].

(الثالث) صرح ابن بطوطة فى رحلته أنه وصل الى دمشق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المبارك عام ٧٢٦ هـ[5]، وأما ابن تيمية رحمه الله فقد اتفق المؤرخون الثقات على أنه سجن فى قلعة دمشق يوم الاثنين السادس من شهر شعبان من ذلك العام[6]، ولبث فيه الى أن توفاه الله تعالى عام ٧٢٨ هـ . فاذا كان شيخ الاسلام رحمه الله قد دخل

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص : ٨٥ .

(٢) انظر: حياة شيخ الاسلام ابن تيمية، للشيخ محمد بهجة البيطار، ص : ٣٧ .

(٣) انظر: رحلة ابن بطوطة، ص : ٩٠ .

(٤) انظر: ابن تيمية وجهوده فى التفسير، تأليف: ابراهيم خليل بركة، ص ٧٤-٧٥، فقد رد فيه المؤلف على ما ذكره ابن بطوطة أن ابن تيمية صنف كتابا فى تفسير القرآن بنحو ذلك الاسم فى أربعين مجلدا . والذى أعرفه أن صاحب " البحر المحيط " فى التفسير هو أثير الدين أبو حيان النحوى، انظر: نفس المرجع، ص : ٧٥، معجم المؤلفين: ١٢/١٣٠ .

(٥) انظر: رحلة ابن بطوطة، ص : ٧٩ .

(٦) انظر: البداية والنهاية ١٤/١٢٣، العقود الدرية ص ٢١٨، الدرر الكامنة ١/١٥٩، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٤٠٥، شذرات الذهب ٦/٧١ و٨٥ .

السجن قبل مجيء ابن بطوطة بنيف وثلاثين يوما ، فلم يره ابن بطوطة ، ولم يجتمع به ، ولم يسمع منه ذلك المقال.(١)

(الرابع) ان منهج ابن تيمية في الصفات واضح كما سبق بيانه . وقد رد رحمه الله على المشبهة الممثلة ، كما رد على المعطلة النفاة . ومثال ذلك ما قاله رحمه الله :

" والذي يجب القطع به أن الله ليس كمثله شيء في جميع ما يصف به نفسه ، فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الأشياء فهو مخطيء قطعا ، كمن قال : إنه ينزل فيتحرك وينتقل ، كما ينزل الانسان من السطح الى أسفل الدار ، كقول من يقول : انه يخلو منه العرش ، فيكون نزوله تفريغا لمكان وشغلا لآخر ، فهذا باطل يجب تنزيه الرب عنه ....".(٢)

فنص كلام شيخ الاسلام هذا صريح في أنه لم ينهج منهج التشبيه والتمثيل والتجسيم ، بل انه يرفض ذلك ، كما أن هذا النص دليل على بطلان ما ذكره ابن بطوطة في رحلته أن شيخ الاسلام مشبه في موقفه من صفة نزوله تبارك وتعالى .

الى غير ذلك من الأمور التي تدل على بطلان الأكذوبة المفتراة على شيخ الاسلام ابن تيمية .(٣)

---

(١) انظر : حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ، للبيطار ، ص : ٣٦ ، ابن تيمية المفترى عليه ، لسليم الهلالي ، ص : ٥٤ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٥٧٨/٥ .

(٣) انظر : حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ، للبيطار ، ص : ٣٦ - ٤٣ ؛ ابن تيمية المفترى عليه ، لسليم الهلالي ، ص : ٥٤ - ٦٧ .

وتجدر الاشارة الى أن ابن بطوطة لم يكتب رحلته بيـــده ، وانما أملاها على ابن جزيّ الكلبي[١]، فيجوز أن يكون ذلك من تحـــريف النساخ أو وسوسة الخصـوم[٢]، كما يجـوز أن يكون لابن بطوطـة.

وأمثال هذه الفرية قديمـــة قدم مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية، أشاعها مخالفوه وحساده حقدا عليه، وقد كان رحمه الله يعلم ذلك، كما قال: " ... وكان قد بلغني أنه زور عليّ كتاب الى الأمير ركن الديـــن الجاشنكير، أستاذ دار السلطان، يتضمن ذكر عقيدة محرفة، ولم أعلـــم بحقيقته، لكن علمت أنه مكذوب." [٣]

ثم اني بعد البحث والدراسة عما كتبه شيخ الاســـــــلام ابن تيمية وما ذكره في مؤلفاته وفتاواه فيما يتعلق بموقفه من قضيـــة الصفات الالهية، لم أجد من كلامه ما يشير الى أنه مجسم أو مشـــبه، بل الذي وجدته هو ما ينقض تلك الشبهة التي أثارها المخالفون.

قال العلامة التفهني الحنفي رحمه الله[٤]:

" ان الشيخ تقي الدين ابن تيمية، كان على ما نقل الينـا من

---

(١) انظر: رحلة ابن بطوطة في مقدمة ابن جزي، ص: ٨، وفي الخاتمـــة ص: ٦٨١.
وابن جزي الكلبي: هو محمد بن محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي، أبو عبد الله. ولد بغرناطة سنة ٧٢١ وتوفي بفاس سنة ٧٥٧ هـ، وقيل سنة ٧٥٨ هـ، وقد أملى عليه ابن بطوطة رحلته سنة ٧٥٦ هـ. انظـــــر: الأعلام للزركلي: ٣٧/٧.

(٢) انظر: حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٤٤، ابن تيمية المفترى عليه ص ٥٥.

(٣) مجموع الفتاوى: ١٦١/٣.

(٤) زين الدين عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي بن هاشـــم التفهني - بفتح المثناة الفوقية وكسر الفاء وسكون الهاء ونون، نسبة الى تفهن قرية بمصر - الحنفي. ولد سنة بضع و٧٦٠ وتوفـي سنة ٨٣٥ هـ. انظر: شذرات الذهب ٢١٤/٧ - ٢١٥

الذين عاشروه، وما اطلعنا عليه من كلام تلميذه ابن قيم الجوزية الذى سارت تصانيفه فى الآفاق، كان عالما متفننا متقنا متقللا من الدنيا معرضا عنها، متمكنا من اقامة الأدلة على الخصوم، حافظا للسنة عارفا بطرقها، عالما بالأصلين: أصول الدين وأصول الفقه، قادرا على الاستنباط لاستخراج المعانى، لا يلومه فى الحق لومة لائم، قائم على أهل البدع المجسمة والحلولية والمعتزلة والروافض وغيرهم، والانسان اذا لم يخالط ولم يعاشر، يستدل على أحواله وأوصافه بآثاره، ولو لم يكن من آثاره الا ما اتصف به تلميذه ابن قيم الجوزية من العلم، لكفى ذلك دليلا على ما قلناه ...".[1]

وقال الحافظ بدر الدين العينى رحمه الله[2]، بعد أن نقل موقفه من صفات الله تعالى:

"... فمن كان على هذه العقيدة كيف ينسب اليه الحلول والاتحاد أو التجسيم أو ما يذهب اليه أهل الالحاد؟ أعاذنا الله واياكم من الزيغ والضلال والعناد، وهدانا الى سبيل الخير والرشاد، انه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير".[3]

---

(١) الرد الوافر، لابن ناصر الدين الدمشقى، ص: ١٥٢.

(٢) بدر الدين أبو الثناء وأبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ابن حسين بن يوسف بن محمود العينتابى، الحلبى ثم القاهرى، الحنفى، المعروف بالعينى. ولد رحمه الله سنة ٧٦٢ وتوفى سنة ٨٥٥ هـ. انظر: شذرات الذهب ٢٨٦/٧ - ٢٨٨، الأعلام ١٦٣/٧، معجم المؤلفين ١٥٠/١٢.

(٣) الرد الوافر، ص: ١٦٥.

وقال الدكتور محمد السيد الجليند:

" ليس في منهج ابن تيمية ولا في مذهبه في الالهيات نوع من التشبيه أو التجسيم، والذين رموه بذلك - ومعظمهم من الأشاعرة والصوفية - لم يستطيعوا ادراك مذهبه في الالهيات، وانما أخذوا في إثارة الفتن والاتهامات ضده وضد تراثه من بعده ...".(١)

وبهذه الأمور التي أسلفت ذكرها يتبين أن شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله بريء من شبهة التجسيم والتشبيه التي أثيرت حول موقفه من قضية الصفات الالهية، فهذه الشبهة ان هي الا مجرد ادعاء عليه لا أساس له من الدليل، أو افتراء عليه لا حقيقة له من الواقع . فموقفه من قضية الصفات الالهية موقف سليم لمتابعته لما نطق به الكتاب والسنة وموافقته لما سار عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) الامام ابن تيمية وقضية التأويل، ص: ٣٥٥ - ٣٥٦ .

خاتمة

وبعد ذلك العرض المستفيض والدراسة الهادفة لموقف شيخ الاسلام ابن تيمية من قضية الصفات الالهية ، على ضوء الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة ، تنتهي هذه الرسالة - التي تتكون من تمهيد وثلاثة أبواب - الى نتائج أجملها فيما يلي :

١ - فساد العصر الذي عاش فيه شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية من النواحي الدينية والسياسية والاجتماعية ، الأمر الذي دفعه الى القيام بحركة اصلاحية شاملة منطلقة من شمول مفهومه لمعنى العبادة ومعنى الجهاد . وقد قام رحمه الله بهذه الحركة في أواخر القرن السابع الهجري وفي أوائل القرن الثامن الهجري .

٢ - ان شيخ الاسلام أحمد بن تيمية من أهل بيت علم وفضل وصلاح ، وقد بدأ حياته العلمية منذ وقت مبكر ، وتلقى العلوم من عدة شيوخ في عصره ، كما قرأ بنفسه الكثير ، مما له أكبر الأثر في سعة ثقافته وغزارة علمه ووفرة نتاجه . وقد أثنى عليه كثير من العلماء ، الأمر الذي يدل على المكانة العلمية المرموقة التي كان يحتلها .

٣ - ان منهج السلف رضي الله عنهم في أمور الدين يمتاز بسمات بارزة ، منها : التمسك بالكتاب والسنة والشمول والوسط بين الافراط والتفريط . ومنهجهم في الصفات الالهية ليس هو النفي ، ولا الوقف ، ولا التشبيه ، بل منهجهم فيها هو اثبات الصفات التي أثبتها الله في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم على ظاهرها

اللائق بجلاله تعالى، بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تمثيل.
وأما منهج الخلف - المخالف لمنهج السلف - فقد اختلف وتعدد ، ويمكن حصره فى ثلاثة : (١) منهج النفى ، ويشمل منهجي، التأويل والتخييل ، (٢) منهج الوقف، (٣) منهج التشبيه.

٤ - وقد رجح شيخ الاسلام ابن تيمية منهج السلف ورأى أن منهجهم هو الحق ، وأن طريقتهم هى أسلم وأحكم وأعلم ، وأنهم منزهون عن كل لقب مذموم رماهم به المخالفون من أهل البدع ، كما أنه انتقد منهج الخلف ورأى بطلانه وزيّف الشبهات التى احتجوا بها فى قضية الصفات الالهية.

٥ - استفصل شيخ الاسلام فى موقفه من التأويل، فلا يرده اطلاقا كما لا يقبله اطلاقا ، لأن لفظ التأويل صار مشتركا بين ثلاثة معان، فان أريد بالتأويل : الحقيقة التى يؤول الكلام اليها - وهو التأويل فى لغة القرآن - فهذا تأويل لا يعلمه الا الله. وان أريد بالتأويل : تفسير الكلام وبيان معناه - وهو التأويل فى اصطلاح جمهور المفسرين - فهذا من التأويل الذى يعلمه الراسخون فى العلم ، وحكمه ليس مذموما بل هو محمود. وأما ان أريد بالتأويل هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح - وهذا اصطلاح كثير من المتأخرين - فان كان موافقا لما دلت عليه النصوص الشرعية فهو جائز، وان كان غير ذلك فهو باطل كتأويلات الخلف للصفات الالهية. وموقف شيخ الاسلام هذا موقف منصف بين الافراط والتفريط ، كما أنه موقف صحيح لموافقته للأدلة الشرعية ولمفهوم السلف رضى الله عنهم.

٦ - اعترف شيخ الاسلام ابن تيمية بوجود المجاز في لغة العرب، ولكن بمفهومه اللغوي، وليس بمفهومه الاصطلاحي عند المتأخرين الذي هو قسيم للحقيقة. فمقصوده: أنه مما يجوز الاستعمال أو التعبير به في اللغة أن يقول أحد: " خالد أسد الله، أو لفلان عندي يد" ونحو ذلك مما ثبت في لغة العرب. وأما تقسيم الألفاظ في دلالتها على معانيها الى الحقيقة والمجاز فهذا تقسيم باطل، اذ لم يقل به أحد من أئمة اللغة الأوائل، كما لم ينطق به أحد من السلف، وللخلف فيه قولان. بل نفس هذا التقسيم باطل، لأنه ليس هناك فرق معقول يمكن به التمييز بين الحقيقة والمجاز. وعلى ذلك، فلا مجاز في الصفات الالهية. وقد ذكرت صحة هذا الموقف لمتابعته للكتاب والسنة ولموافقته لكلام السلف ولغة العرب.

٧ - ان منهج شيخ الاسلام في الصفات الالهية يرتكز على القواعد الأربع الآتية :

(١) اثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - كما يليق بجلاله.

(٢) نفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم. وهذا النفي يتضمن أمرين : نفي مماثلة غيره له في صفات الكمال، ونفي النقص والعيب.

(٣) التوقف فيما لم يرد ذكره في الكتاب ولا في السنة - لا نفيا ولا اثباتا، واستفسار المتكلم عن مراده بكلامه، فان أراد معنى حقا موافقا لما أخبر به الرسول قبل المعنى الذي قصده بلفظه، وان أراد معنى باطلا ردّ، وان اشتمل كلامه على حق

وباطل لم يقبل مطلقا ولم يرد مطلقا ، بل قبل الحق و ردّ الباطل .

(٤) نفى علم الكيفية .

كما أن منهجه ينبني على أصول أخرى بالاضافة الى القواعد الأربع السابقة ، وهى :

(١) وجوب الاقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول وعدم تعارضهما .

(٣) القول فى الصفات كالقول فى الذات .

(٤) القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر .

(٥) الاتفاق فى الأسماء لا يلزم منه التماثل فى مسماها ، ويتبيّن هذا الأصل بمثلين مضروبين - ولله المثل الأعلى : نعيم الجنة والروح .

٨ - وافق ابن تيمية السلف وجمهور الخلف فى جميع ما يتعلق بأسماء الله تعالى من طريق اثباتها ، والقول بعدم مجازيتها وعدم حصرها ، وبصلتها بالصفات ، وانه رجح القول : ان الاسم للمسمى ، لموافقته للكتاب والسنة والمعقول ، وتوقف من القول : الاسم هو المسمى أو غير المسمى ، لأنه بدعة فى الشرع لم يأت به الكتاب والسنة ، ولم ينطق به أحد من سلف الأمة .

٩ - نبه شيخ الاسلام أن لفظ " الذات " فى اصطلاح المتأخرين ، الذى بمعنى النفس والحقيقة ، لفظ مولد ليس من لغة العرب العرباء ، لأنه فى اللغة بمعنى : صاحبة ، تأنيث ذو بمعنى صاحب ، ولا يستعمل الا فيما كان مضافا . فاذا أطلق لفظ الذات فهو مستلزم لوجود صفات

تضاف الذات اليها ، ولا يجوز تصور الذات وهى مجردة عن الصفات ٠
وقد بينت أن موقفه هذا حق، لاتفاقه مع مادلت عليه لغة العرب ، ولغة القرآن ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة٠

١٠ ـ اتفق ابن تيمية مع الجمهور على أن كل واحد من لفظي : " الصفة والوصف" يطلق على القول تارة وعلى المعنى أخرى ،لأن كلا منهما فى الأصل مصدر من :وصف يصف٠كما اتفق مع السلف فى توقفه عن القول بأن صفات الله غيره أو ليست غيره ، أو هى زائدة على الذات أو غير زائدة ، فلا يطلق هذه الأمور نفيا ولا اثباتا ويستفصل السائل عن مراده ، فان كان المعنى الذى أراده صحيحا قبله و ردّ اللفظ المبتدع، وان كان المعنى غير صحيح ردّ اللفظ والمعنى معا ٠

١١ ـ ان تقسيم الصفات الى : الصفات الذاتية والصفات الفعلية هو الأرجح ، لشموله لجميع الصفات التى أثبتها الله فى كتابه وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم٠ وهذا التقسيم هو الذى وافق عليه شيخ الاسلام ابن تيمية٠

١٢ ـ ان شيخ الاسلام ابن تيمية وافق السلف فى جميع ما يتعلق بالصفات السبع، المتفق على اثباتها بين السلف والخلف ، وهى : الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام٠

١٣ ـ ووافق رحمه الله السلف كذلك فى اثبات الصفات الذاتية ، المختلف فى اثباتها ، التى سماها الخلف المثبتة بـ " الصفات الخبرية" مثل صفات : العلو والمعية والوجه واليدين والعينين والقدم وغيرها ، حيث أثبتها لله تعالى كما يليق بجلاله بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل ، وقد ردّ على تأويلات المتأولين فى ذلك التى تقتضى نفى ثبوتها لله تبارك وتعالى ٠

١٤ - كما وافقهم فى اثبات الصفات الفعلية التى سماها الخلف من الكلابية والأشعرية ومن وافقهم بـ" مسألة حلول الحوادث " ، مثل صفات : الخلق والرزق والرحمة والمحبة والرضا والفرح والبغض والغضب والسخط والكراهة والضحك والعجب والاستواء والنزول وغيرها ، حيث أثبتها لله كما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، ورد على شبهات الخلف وتأويلاتهم فى نفيها ؛

١٥ - ان شيخ الاسلام ابن تيمية برىء من شبهة التجسيم والتشبيه التى أثيرت حول موقفه من قضية الصفات الالهية ، لأنه التزم فى موقفه هنا بتطبيق منهج السلف. فهذه الشبهة ان هى الا مجرد ادعاء عليه لا أساس له من الدليل ، أو افتراء عليه لا حقيقة له من الواقع .

وختاما لهذه الرسالة ، فاننى أقرر - بعد دراسة موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من قضية الصفات الالهية - أن الموقف الذى اتخذه هو الذى يجب أن يكون منهج كل مسلم فى طريقه الى الله ، لتمسكه بالكتاب والسنة والتزامه بمنهج السلف الذى أجمعت الأمة على فضلهم وهدايتهم ، ولا سيما ونحن الآن فى عصر تكثر فيه البدع والشركيات وتشيع فيه الخرافات والخلافات ، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، كما جاء فى حديث العرباض بن سارية ، قال: " صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ،

فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟، فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فتمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة".(١)

هذا ، والله ولي التوفيق ، وهو قصد السبيل ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) رواه أحمد في المسند ١٢٦/٤ و١٢٧، وأبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة ٣٥٩/١٢ ـ ٣٦٠، والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وقال : " هذا حديث حسن صحيح" ٤٤/٥ ـ ٤٥، ورواه ابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١٥/١ ـ ١٦، والدارمي في المقدمة باب اتباع السنة ٤٤/١ ـ ٤٥ .

فهارس :

١ - فهرس الآيات القرآنية

أول الآيــــة	رقم الصفحة
حرف الألف	
١- اتقوا الله وكونوا مع الصادقين	٣٦٥
٢- اقرأ باسم ربك الذى خلق	٣٨٨
٣- أأمنتم من فى السماء	٣٥٣
٤- أحلت لكم بهيمة الأنعام	٣٠٤
٥- أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا	٣٢٢
٦- الر كتاب أنزلناه اليك	١٢١
٧- المر تلك آيات الكتاب المبين	١٤٨
٨- ألم تر أن الله يعلم	٣٦٢
٩- ألم يروا أنه لا يكلمهم	٣٢٢
١٠- اليه يصعد الكلم الطيب	١١٨، ١٢٤، ٣٥٢
١١- أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم	٣١٦
١٢- ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره	٣٠٨
١٣- ان تكفروا فان الله غني عنكم	٣٠٨، ٣٩١
١٤- انا سخرنا الجبال معه يسبحن	٣٣٣
١٥- انا أوحينا اليك كما أوحينا	٣٢٩، ٣٣٧
١٦- انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج	٢٤٠
١٧- انا نبشرك بغلام اسمه يحيى	٢٥٧، ٢٦٠
١٨- ان الانسان لفى خسر	٢١٣
١٩- ان الذين عند ربك	٣٥٣
٢٠- ان الذين يلحدون فى آياتنا	٢٥٠
٢١- ان الله بكل شيء عليم	١٥٩
٢٢- ان الله عزيز ذو انتقام	١٥٩
٢٣- ان الله على كل شيء قدير	١٥٩
٢٤- ان الله لا يغفر أن يشرك به	٧١

أول الآيــــــة	رقم الصفحة
٢٥ـ ان الله مع الذين اتقـــوا	٣٦٥
٢٦ـ ان الله نعما يعظكم به	٢٤٠، ٣١٥
٢٧ـ ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين	٢٤٠
٢٨ـ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات	٣١٦ـ٣١٧
٢٩ـ ان الله يحب التوابين	٣٩٠
٣٠ـ ان ربكم الذى خلق السموات والأرض	٣٦١
٣١ـ ان ربى لسميع الدعـــاء	٣١٩
٣٢ـ انما أمره اذا أراد شيئا	٣١٠
٣٣ـ انما الصدقات للفقراء والمساكين	٦
٣٤ـ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس	٣٠٥
٣٥ـ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم	٢٨٦
٣٦ـ انني أنا الله لا اله الا أنا	٣٣٢
٣٧ـ انني معكما أسمع وأرى	٣٤٢، ٣١٧، ٣٦٥
٣٨ـ انه عليم بذات الصـــدور	٢٧١
٣٩ـ انه لقول رسول كريم ذى قوة	٣٣٨
٤٠ـ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر	٣٣٨
٤١ـ ان هذا الا قول البشـــر	٣٣٠
٤٢ـ ان هى الا أسماء سميتمـــوها	١٣١
٤٣ـ ان هي الا فتنـــــتك	١٣١
٤٤ـ أو كالذى مر على قرية	٢٠٧
٤٥ـ أولم يروا أنا خلقنا لهم	٢١٣، ٣٧٣
٤٦ـ أولم يروا أن الله الذى خلقهم	٢٢٣
٤٧ـ أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى	٢٦٣
٤٨ـ الذى جعل لكم الأرض فراشا	٣٨٩
٤٩ـ الذين قال لهم الناس ان الناس	٢١٣
٥٠ـ الذى يراك حين تقوم وتقلبك	٣١٦
٥١ـ الرحمن على العرش استوى	٤، ٢١، ٨٩، ١٠٩، ١١٨، ١١٩، ١٢٤، ١٤٧، ٢٤٠، ٣٤٦، ٣٥٢، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٦

أول الآيـــــــة	رقم الصفحة

حرف الفاء

حرف القاف

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

أول الحديث	رقم الصفحة
حرف الألف	
١- اذا قال الامام سمع الله لمن حمده	٣١٩
٢- أسألك بكل أسم هو لك سميت به نفسك	٢٥٥
٣- أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم	٣٧١
٤- ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء	٣٥٤
٥- ألا تصلون	٨٠
٦- الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه	٣٢٠
٧- الأنصار لا يحبهم الا مؤمن	٣٩٦
٨- اللهم انى أستخيرك بعلمك	٢٩٩ - ٣٠٠
٩- اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك	٣٨١
١٠- المدينة حرم ما بين عير وثور	١٧٢
١١- النظر الى وجه الله تعالى	٣٧٠
١٢- أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله	٦٨
١٣- أنه - صلى الله عليه وسلم - قرأ على المنبر	٣١٦
١٤- ان الله اذا أحب دعا جبريل	٣٩٦، ٤١٠
١٥- ان الله تجاوز عن أمتى	١٩٩
١٦- ان المقسطين عند الله	٢١٦، ٣٧٣
١٧- ان خالدا سيف من سيوف الله	٢٠٨ - ٢٠٩
١٨- ان خيركم قرنى، ثم الذين يلونهم	٦٦
١٩- ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله	٣٥٥
٢٠- انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر	٧٠
٢١- ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا	٢٥١، ٢٦٣
٢٢- أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة	٤٣١
٢٣- أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها	١٩٥
٢٤- أين الله ؟	٣٥٥ - ٣٥٦

٣ - فهرس الآثار السلفية

أول الأثـــــر	رقم الصفحة

أول الأثـــــــر	رقم الصفحة
حرف الميم	
٣٩ـ ما بين السماء الدنيا والتي تليها	٨١
٤٠ـ ما هذه الأحاديث التي تروونها	٤١٢
٤١ـ مسرورة فرحة الى ربها ناظـرة	٨٤
٤٢ـ من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد	١٥١
حرف النون	
٤٣ـ نعم، هو على عرشه، ولا يخلو شيء من علمه	٩١
حرف الهاء	
٤٤ـ هذا كلام الجهمية، بل علمه معهم	٩١
٤٥ـ هو على عرشه، وعلمه معهم	٨٣
٤٦ـ هو على عرشه كما وصف نفسه	٨٦
٤٧ـ هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء	٤١١
حرف الواو	
٤٨ـ وأيم الله، اني لأخشى	٨١
٤٩ـ والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون	١٨٥
٥٠ـ ويلك هل تدري من هذه؟	٨٠
حرف الياء	
٥١ـ يا أبا اسماعيل، الحديث الذي جاء ينزل الله	٤١١
٥٢ـ يا رسول الله انما أنفسنا بيد الله	٨٠

٤ ـ فهرس الأعـــلام(١)

(١) تنبيهـــات :

١ـ لم يذكر ابن تيمية لوروده في أكثر الصفحات ٠

٢ـ ذكرت الأعلام الذين في البحث فقط دون من في الهوامش ٠

٣ـ ويلاحظ أنني عند ذكر العلم لا أعتبر: أل ، أب ، ابن ٠

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٥ - فهرس المراجـــــع

١ - القرآن الكريـــــم

مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية :

٢ - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ،
تصحيح وتعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ .

٣ - التسعينـــــية .
ضمن مجموعة فتاوى ابن تيمية ، المجلد الخامس ، دار الفكر، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤ - تلخيص كتاب الاستغاثة ، المعروف بالرد على البكرى .
المطبعة السلفية ، بمصر، ١٣٤٦ هـ .

٥ - جامع الرسائل .
تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، المجموعة الأولى ، الطبعة الأولى، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

٦ - الجواب الصحيـــح لمن بدل دين المسيح.
مطابع المجد التجارية ، بدون تاريخ .

٧ - درء تعارض العقل والنقل .
تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، جامعة الامام محمد بن سعـــــود الاسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى .

٨ - شرح العقيدة الأصفهانية .
دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٩ - العبـــــودية .
المكتب الاسلامي ، بيروت - دمشق، الطبعة السادسة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٠ ـ مجموعة الرسائل الكبرى .
مطبعة محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م .

١١ ـ مجموعة الرسائل والمسائل .
تعليق السيد محمد رشيد رضا ، لجنة التراث العربى ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٢ ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية .
جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى ، دار العربية ، بيروت ، تصوير الطبعة الأولى ، ١٣٩٨ هـ .

١٣ ـ منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

مراجع أخرى :

حرف الألف

١٤ ـ الابانة عن أصول الديانة .
تأليف أبى الحسن الأشعرى ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م .

١٥ ـ ابن تيمية السلفى .
تأليف محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

١٦ ـ ابن تيمية ليس سلفيا .
تأليف منصور محمد محمد عويس ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م .

١٧ ـ ابن تيمية المفترى عليه .
تأليف سليم الهلالى ، المكتبة الاسلامية ، عمان ـ الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

١٨ ـ ابن تيمية وجهوده فى التفسير .
تأليف ابراهيم خليل بركة ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م .

١٩ - أبو الحسن الأشعري وعقيدته.
تأليف الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٢٠ - اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية.
لابن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٢١ - الاحكام في أصول الأحكام.
للآمدي، ت ٦٣١ هـ، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ.

٢٢ - الاحكام في أصول الأحكام.
لابن حزم، ت ٤٥٦ هـ، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة الامام، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٣ - الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد.
للجويني، امام الحرمين أبي المعالي عبد الملك، ت ٤٧٨ هـ، تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.

٢٤ - أساس التقديس في علم الكلام.
تأليف فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، ت ٦٠٦ هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م.

٢٥ - أسماء مؤلفات ابن تيمية.
تأليف شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

٢٦ - الأسماء والصفات.
للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين، ت ٤٥٨ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.

٢٧ - أصول الدين.
للبغدادي، أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي، ت ٤٢٩ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٢٨ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .
تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ.

٢٩ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين.
تأليف فخر الدين الرازي ، مراجعة وتحرير علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٣٠ - اعتقاد أهل السنة والجماعة .
تأليف كياهي الحاج سراج الدين عباس ، باللغة الاندونيسية ، نشر بوستاكا تربية ، جاكرتا ، الطبعة التاسعة ، ١٩٨٣ م .

٣١ - الاعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.
تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٠م .

٣٢ - الأعلام العلية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية .
تأليف البزار ، الحافظ أبي حفص عمر بن علي ، ت ٧٤٩ هـ ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

٣٣ - الاقتصاد في الاعتقاد.
للغزالي ، أبي حامد محمد بن محمد ، ت ٥٠٥ هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأخيرة ، بدون تاريخ.

٣٤ - الامام ابن تيمية وقضية التأويل.
للدكتور محمد السيد الجليند ، شركة مكتبات عكاظ ، جدة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

حرف الباء

٣٥ - بدائع الفوائد.
لابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ.

٣٦ - البداية والنهـــــاية

لابن كثير، أبى الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقى، ت ٧٧٤ هـ، دار الفكر العربى، بيروت، بدون تاريخ.

٣٧ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.

للشوكانى، محمد بن على، ت ١٢٥٠ هـ، مطبعة السعادة، القاهـرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٨ هـ.

٣٨ - البيهقى وموقفه من الالهيات.

تأليف الدكتور أحمد بن عطية بن على الغامدى، المجلس العلمـــى بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

حرف التاء

٣٩ - تاج العروس من جواهر القاموس.

للزبيدى، أبى الفيض محمد بن محمد المرتضى الحسنى، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، نسخة مصورة عن طبعة المطبعة الخيرية بالقاهرة، ١٣٠٦ هـ.

٤٠ - تاريخ ابن الوردى.

تأليف زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردى، ت ٧٤٩ هـ، جمعية المعارف بمصر، ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م.

٤١ - تاريخ الجهمية والمعتزلة.

تأليف الشيخ جمال الدين القاسمى الدمشقى، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٤٢ - التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين.

تأليف أبى المظـفر الاسفراييني، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٣ - تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام أبى الحسن الأشعرى.

تصنيف ابن عساكر الدمشقى، أبى القاسم على بن الحسن، ت ٥٧١ هـ، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٤٤ - تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد.
تأليف ابراهيم بن محمد البيجوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٥ - التحف في مذاهب السلف.
تأليف الشوكاني، محمد بن علي، ت ١٢٥٠ هـ، من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، بدون تاريخ.

٤٦ - تذكرة الحفاظ.
للذهبي، شمس الدين أبي عبد الله أحمد، ت ٧٤٨ هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٤٧ - ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية.
تأليف محمد كرد علي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٤٨ - تفسير القرآن العظيم.
لابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٤٩ - تفسير البغوي، المعروف بمعالم التنزيل.
لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ت ٥١٦ هـ، بهامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٥٠ - تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠ هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٥١ - تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.
تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت ٦٧١ هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

٥٢ - تقريب التهذيب.
لابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٥٣ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.
تأليف الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، ت ٤٦٣ هـ ، الجزء السابع ، تحقيق عبد الله بن الصديق ، المملكة المغربية وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

٥٤ ـ تهذيب التهذيب .
لابن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢ هـ ، دار الفكر العربي ، نسخة مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدرآباد الدكن ـ الهند، الطبعة الأولى ، ١٣٢٥ هـ .

٥٥ ـ تهذيب اللغة.
للأزهري ، أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، ت ٣٧٠ هـ .
الجزء الحادي عشر، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، مراجعة الأستاذ علي محمد البجاوي ، الدار المصرية للتأليف، القاهرة بدون تاريخ. والجزء الخامس عشر، تحقيق الأستاذ ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ م.

٥٦ ـ التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل .
لابن خزيمة ، محمد بن إسحاق ، ت ٣١١ هـ ، مراجعة وتعليق محمد خليل هراس ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

حرف الجيم

٥٧ ـ الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي .
لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، ت ٢٧٩ هـ ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ.

٥٨ ـ جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الاسلامي .
تأليف خالد العلي ، المكتبة الأهلية ، بغداد ، ١٩٦٥ م.

حرف الحاء

٥٩ ـ حاشية البناني على متن جمع الجوامع للسبكي .
دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون تاريخ.

٦٠ - حياة شيخ الاسلام ابن تيمية.
للشيخ محمد بهجة البيطار، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

حرف الخاء

٦١ - خطط المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
تأليف تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، ت ٨٤٥ هـ، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٦٢ - خلق أفعال العباد.
للامام محمد بن اسماعيل البخاري، ت ٢٥٦ هـ، ضمن عقائد السلف، تحقيق علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي، منشأة المعارف بالاسكندرية، ١٩٧١ م.

حرف الدال

٦٣ - دائرة المعارف الاسلامية.
نقلها الى اللغة العربية: محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، دار المعرفة، بيروت، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م.

٦٤ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.
تأليف شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م.

حرف الذال

٦٥ - الذيل على طبقات الحنابلة.
تأليف زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد، الشهير بابن رجب الحنبلي، ت ٧٩٥ هـ، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.

حرف الراء

٦٦ - رحلة ابن بطوطة.
تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، ت ٧٧٩ هـ، دار التراث، بيروت، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

٦٧ - رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد.
تأليف الامام عثمان بن سعيد الدارمي ، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى في سنة ١٣٥٨ هـ .

٦٨ - الرد على الزنادقة والجهمية.
لامام أهل السنة أحمد بن حنبل، ت ٢٤١ هـ ، ضمن مجموعة عقائد السلف ، تحقيق علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٧١ م.

٦٩ - الرد على الجهمية.
للامام عثمان بن سعيد الدارمي الشافعي ، ت ٢٨٠ هـ ، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٧٠ - الرد الوافر .
تأليف الحافظ محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي ، ت ٨٤٢ هـ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣ هـ .

٧١ - رسائل في العقيدة .
تأليف الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.

٧٢ - الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام.
تأليف السهيلي ، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي ، ت ٥٨١ هـ ، تعليق وضبط طه عبد الرؤوف سعد ، الجزء الثاني، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م.

حرف السين

٧٣ - السنة.
لابن أبي عاصم ، أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، ت ٢٨٧ هـ ، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة ، بقلم محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٧٤ - سنن ابن ماجه .
للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ت ٢٧٥ هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٧٥ - سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود .
ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

٧٦ - سنن الدارمي .
للامام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، ت ٢٥٥ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

٧٧ - سنن النسائي .
للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، ت ٣٠٣ هـ ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

حرف الشين

٧٨ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
تأليف المؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، ت ١٠٨٩ هـ ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٧٩ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .
تأليف اللالكائي ، الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن ، ت ٤١٨ هـ ، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان الغامدي ، دار طيبة ، الرياض ، بدون تاريخ .

٨٠ - شرح الأصول الخمسة .
تأليف القاضي عبد الجبار بن أحمد ، ت ٤١٥ هـ ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ .

٨١ - شرح أم البراهين .
تأليف محمد السنوسي ، بهامش حاشية الدسوقي ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٨٢ - شرح السنة .
للبغوي ، أبي محمد الحسين بن مسعود ، ت ٥١٦ هـ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، الجزء الخامس ، المكتب الاسلامي ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م .

٨٣ - شرح العقيدة الطحاوية .
لابن أبي العز الحنفي ، علي بن علي بن محمد ، ت ٧٩٢ هـ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩١ هـ .

٨٤ - شرح العقيدة الواسطية .
تأليف محمد خليل هراس ، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الرابعة ، بدون تاريخ .

٨٥ - الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية .
تأليف مرعي يوسف الكرمي ، ت ١٠٣٣ هـ ، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف ، دار الفرقان ، عمان الأردن ، ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٨٦ - شيخ الاسلام ابن تيمية ، سيرته وأخباره عند المؤرخين .
جمع وتقديم ، الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦ م .

٨٧ - شيخ الاسلام الحافظ أحمد بن تيمية .
تأليف أبي الحسن علي الحسني الندوي ، تعريب سعيد الأعظمي الندوي ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

حرف الصاد

٨٨ - الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية .
تأليف اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٨٩ - صحيــــح البخارى .

للامام محمد بن اسماعيل البخارى ، ت ٢٥٦ هـ ، مع شرحه فتح البارى للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، ت ٧٥٢ هـ ، ترقيم محمـــد فؤاد عبد الباقى ، دار الفكر، بيروت ، بدون تاريخ .

٩٠ - صحيـــــح مسلم .

للامام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، ت ٢٦١ هـ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى، دار احياء التراث العربى، بيروت ، بدون تاريخ .

٩١ - الصفــــــات .

للامام الحافظ على بن عمر الدارقطنى ، ت ٣٨٥ هـ ، تحقيق وتعليق عبد الله الغنيمان ، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعــــة الأولى ، ١٤٠٢هـ .

حرف الطاء

٩٢ - طبقـــات الشافعية .

تأليف تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى ، ت ٧٧١ هـ ، المطبعة الحسينية بمصر ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ .

٩٣ - طبقـــات الصوفية .

تأليف أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدى السلمى ، تحقيق نور الدين شريبة ، جماعة الأزهر للنشر والتأليف ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ .

٩٤ - طريق الهجرتين وباب السعادتين .

لابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن أبى بكر ، ت ٧٥١ هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

حرف العين

٩٥ - العقـــائد

للامام حسن البنا ، دار الشهاب ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

٩٦ ـ العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام أحمد بن تيمية.
تأليف محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي ، تقديم على صبح المدني ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٨٣ م.

٩٧ ـ عقيدة السلف أصحاب الحديث .
للحافظ الصابوني ، أبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن ، ت ٤٤٩ هـ ، تحقيق بدر البدر ، الدار السلفية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

٩٨ ـ العلو للعلي الغفار .
تأليف الامام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، ت ٧٤٨ هـ ، تقديم ومراجعة عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م.

حرف الغين

٩٩ ـ الغنية لطالبي طريق الحق في الأخلاق والتصوف والآداب الاسلامية.
للشيخ عبد القادر الجيلاني ، ت ٥٦١ هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ .

حرف الفاء

١٠٠ ـ الفرق بين الفرق .
تأليف عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني التميمي ، ت ٤٢٩ هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٠١ ـ فرق وطبقات المعتزلة ،
تأليف القاضي عبد الجبار ، تحقيق الدكتور علي سامي النشار والأستاذ عصام الدين محمد علي ، دار المطبوعات الجامعية ، ١٩٧٢ م.

١٠٢ ـ الفصل في الملل والاهواء والنحل .
لابن حزم الظاهري ، أبي محمد علي بن أحمد ، ت ٤٥٦ هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

١٠٣ ـ فضل علم السلف على الخلف .
تأليف زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى ، ت ٧٩٥ هـ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ١٣٤٧ هـ .

١٠٤ ـ الفهرست .
لابن النديم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

١٠٥ ـ الفوائد
لابن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ، تخريج وحواشى أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

١٠٦ ـ فوات الوفيات والذيل عليها .
تأليف محمد بن شاكر الكتبى ، ت ٧٦٤ هـ ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٠٧ ـ فى العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة .
تأليف دكتور محمود أحمد خفاجى ، الجزء الأول، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

حرف اللام

١٠٨ ـ اللباب فى تهذيب الأنساب .
تأليف عزالدين ابن الأثير الجزرى ، ت ٦٣٠ هـ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

١٠٩ ـ لسان العرب .
لأبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى ، ت ٧١١ هـ ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

١١٠ ـ لسان الميزان .
لابن حجر العسقلانى ، ت ٨٥٢ هـ ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١ م .

١١١ ـ لمعة الاعتقاد .
تأليف الامام الموفق ابن قدامة المقدسى ، ت ٦٢٠ هـ ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥ هـ .

١١٢ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضيـة .
للشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي ، مؤسسة الخافقين، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

حرف الميم

١١٣ - مجـاز القرآن .
لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، ت ٢١٠ هـ ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

١١٤ - مجمع الزوائد ومنبـع الفوائد .
للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، ت ٨٠٧ هـ ، مكتبـة القدسي ، ١٣٥٣ هـ .

١١٥ - المحلـى .
لابن حزم ، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتب التجاري ، بيروت ، بدون تاريخ .

١١٦ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة .
للإمام المحقق محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، اختصره محمد بن الموصلي ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض، بدون تاريخ .

١١٧ - مدارج السالكين بين منازل " إياك نعبد وإياك نستعين" .
لابن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

١١٨ - المسـتدرك .
للحاكم ، دار الفكر بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ .

١١٩ - المستصـفى في علم الأصول .
تأليف الغزالي ، أبي حامد محمد بن محمد، ت ٥٠٥ هـ ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، مكتبة الجندي ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

١٢٠ - المســــــند .

للامام أحمد بن حنبل ، ت ٢٤١ هـ ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٢١ - معجم البلـــدان .

تأليف شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ، ت ٦٢٦ هـ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

١٢٢ - معجم قبـــائل العرب .

تأليف عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٢٣ - المعجــــم الكبــــير .

للطبرانى ، ت ٣٦٠ هـ ، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى ، وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

١٢٤ - معجم المؤلفــــين ، تراجم مصنفى الكتب العربية .

تأليف عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى و دار احياء التراث العربى ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٢٥ - المفـــــردات فى غريب القرآن .

تأليف الراغب الأصفهانى ، أبى القاسم الحسين بن محمد ، ت ٥٠٢ هـ ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٢٦ - مقالات الاسلاميين و اختلاف المصلين .

تأليف أبى الحسن على بن اسماعيل الأشعرى ، ت ٣٣٠ هـ ، تحقيـــق محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

١٢٧ - مقاييس اللغـــــــة .

لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت ٣٩٥ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، الطبعـــة الثانية ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

١٢٨ - الملل والنحـــــل .

تأليف الشهرستاني ، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم ، ت ٥٤٨ هـ ،
تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

١٢٩ - منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفـات .

للشيخ الفاضل محمد الأمين الشنقيطي ، ت ١٣٩٣ هـ ، من مطبوعات
الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ١٣٩٥ هـ .

١٣٠ - المواقف في علم الكلام .

تأليف الايجي ، القاضي عبد الرحمن بن أحمد ، ت ٧٥٦ هـ ، عالـم
الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٣١ - الموطـــــــأ

للامام مالك بن أنس ، ت ١٧٩ هـ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ،
دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

حرف النون

١٣٢ - ناحية من حياة شيخ الاسلام ابن تيمية .

للغياني ، ابراهيم بن أحمد ، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب ،
المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ هـ .

١٣٣ - النجـــاة - مختصر الشفـاء .

تأليف ابن سينا ، أبي علي الحسين بن عبد الله ، ت ٤٢٨ هـ ، مطبعة
السعادة ، القاهرة ، ١٣٣١ هـ .

١٣٤ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكـــي ،
ت ٨٧٤ هـ ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعـــة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

١٣٥ - النهاية في غريب الحديث والأثر .

لابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ،
ت ٦٠٦ هـ ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطنـــاحي ،
المكتبة الاسلامية ، بدون تاريخ .

حرف الواو

١٣٦ - الوافي بالوفيـــــــات .

للصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، ت ٧٦٤ هـ ، الجزء السابـــع ، اعتناء احسان عباس ، دار النشر فرانزشتاينز بفيسبادن ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٣٧ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .

تأليف أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكـــــر بن خلكان ، ت ٦٨١ هـ ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

٦ - فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الباب الأول

الباب الثاني

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الباب الثالث

الموضـــــــوع | رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٣	٨	المشمس	المشمش
٢٩	٢٢	(٢)	(٣)
٣٢	١٥	جودا	جوادا
٣٣	٢	تبعاليق	تعاليق
٤٤	٦	يفاجأهم	يفجأهم
٤٦	٣	بغزارتها	بغزارتها
٤٧	٥	وكتب ورسائل	وكتب رسائل
٥١	١	يتحتلها	يحتلها
٦٩	١٨	سورة التوبة: ٩	سورة التوبة: ٦
٧٢	١٨	سورة الحشر: ١١	سورة الحشر: ١٠
٩٤	٧	جاؤوا من يعد	جاؤوا من بعد
١٠٦	٢٠	تمثيل	تمثيل
١٢٣	١٠	سبيـ	سبيلهم
١٣٤	١٤	تشبيهه بالموجودات	تشبيهه بالموجودات
١٤٨	١٧	مثل ما للمخلوق	مثل ما للمخلوقين
١٩٠	١٥	لا يعلمه الملائكة	لا يعلمها الملائكة
٢٠٦	٥	يريـد	يريد
٢١٤	١٢	لكن لما لا يجوز	لكن لم لا يجوز
٢٣٨	١	كالقول فى الأخر	كالقول فى الآخر
٢٥٤	٧	الدعاء المشرع	الدعاء المشروع
٢٥٩	٢٢	جميع الناس	جميع الناس
٢٦٧	١٥	الســوآى	السوآى
٢٨٥	٢٠	شرح أم البراهين ص ١١٨	شرح أم البراهين ص ١١٩
٢٩٥	٢٤	أى كمال	أى كل كمال

الصفحة	السطر	الخطـــــأ	الصـــــواب
٢٩٧	٧	كل أحوله	كل أحواله
٣١٢	٣	عالم بالمسوعات	عالم بالمسموعات
٣١٥	٢٠	وسع سمصمه	وسع سمعه
٣٣٥	٢٤	ثوراة	توراة
٣٣٩	١٧	لزم أن يكون	للزم أن يكون
٣٥٧	٢٠	أيضا قهصله	أيضا قبله
٣٦٥	١	والذين أمنوا	والذين آمنوا
٣٦٧	١١	بدون تحريف ولا	بدون تحريف
٣٧٣	١	ألم يروا	أولم يروا
٣٨٣	١٨	أزليا	أزليا
٣٨٣	٢٠	وأنتـ	وأنتم
٣٨٧	٨	المحبة	المحبة